# يوسف النبهاني

## الشاعر الفلسطيني الرائد





رسالة مقدمة من الطالب

عيسى محمد على منصور ماضى

للحصول على درجة العالمية «الدكتوراه» من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف



تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد السلام سرحان

الجزء الأول

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

القاهرة

## العلامة الشيخ يوسف

بن اسماعيل النبهاني ( ابو المحاسن ) شافعي



ولد سنة ١٢٦٥ هجرية الموافق سنة ١٨٤٩ ميلادية : في بلدة اجزم من قضاء حيفا .

نسبه ونشأته : ينسب العلامة الى قبيلة ( بني نبهان ) وهي من اعرق القبائل

# الاهـــــداء

الى روح العالم الجهبذ والاديب الفذ الى روح المكافح المنافح والمجاهد المجالا عن المجالد بيضة الاسلام ودين المسلمين الى الرجل الذى وقف حياته على العيش مع ذخائـــــر العلم وكنوز المعرفة الى الرجل الذى شب فى مضمار الثقافة ولم يشب الى العالـــــم الازهرى الحصيف الشيخ يوسف النبهانى أهدى هذا البحث راجيا الله أن يسامحنـــــى فى كشف الستار عما حرص على خبئه من الاسرار المتحدثة عنه المطرية له المشيـــدة بـــــه فى كل مجال .

بسم الله الرحمن الرحيم

قبس من آي ذكر الحكيم

يقول الله تبارك وتعالى " يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة واصيلا * هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم أجرا كريما * يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا * ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا " سورة الأحزاب آية ٤١ ــ ٤٨

ويقول تبارك وتعالى أيضا ( " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم " سورة محمد آيه ١ ــ ٣

ويقول تبارك وتعالى أيضا : " ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور * أم أمنتم مَن فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير * أمّن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور * أمّن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور * أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمّن يمشى سويا على صراط مستقيم * قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون * قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين " ( صدق الله العظيم )

سورة الملك آية ١٢ ــ ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم


## (( شكر وتقدير ))

أشكر المولى تبارك وتعالى أن وفقنى لاختيار هذا البحث وأتم على نعمته باكماله واخراجه الى حيز الوجود .

ثم أشكر استاذى المشرف الدكتور عبد السلام سرحان الذى تفضل بالموافقة على مهمة الاشراف الشاقة وشاركنى جميع المتاعب والمصاعب المتعلقة بهذا البحث فى مراحله المختلفه موجها ومشجعا وممهدا ومعبدا حتى صرت فى بيته أحد أبنائه الذين ينعمون بعطف أبوته الحانية ونظراته الرانية طوال أربع سنوات متوالية من التفرغ الكامل وأسأل الله أن يجزيه كل خير هو وجميع الاساتذه الأفاضل من علماء الأزهر الشريف الذين شاركوا فى تنميتى ثقافيا من جميع الوجوه .

وأشكر للاستاذ الدكتور سليمان حسن ربيع الذى لجأت اليه كثيرا لتيسير بعض الشدائد وتسهيل بعض الصعاب .

وأشكر للاستاذ الدكتور حسن جاد حسن عميد كلية اللغة العربية الحالى ما قدم لى من مساعدات ومساندات تشجيعية أو توضيحية فى معترك الصراع العنيف الذى عشته مع الشاعر المترجم .

وأشكر للسيد الدكتور الطبيب فاضل زيدان ابن " اجزم " البار وفتاها الكمى الذى استوعب تاريخ أبنائها وثبت أعلامها وشجعنى على اختيار هذا الموضوع الفسيح وقدم لى من معلوماته ومعارفه عن تلك القرية وأهلها الكثير الكثير كما تفضل متطوعا بترجمة جميع النصوص الاجنبية التى استشهدت بها من اللغة الانجليزية الى لغتنا العربية كما أنه هو الذى تولانى برعايته وشملنى بحدبه وعطفه طيلة دراستى فى القاهرة .

وأشكر لفضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب رئيس رابطة العلماء فى لبنان أن عرفنى وصحبنى الى دارات جميع العلماء والشخصيات الفذه التى قابلتها فى بيروت .

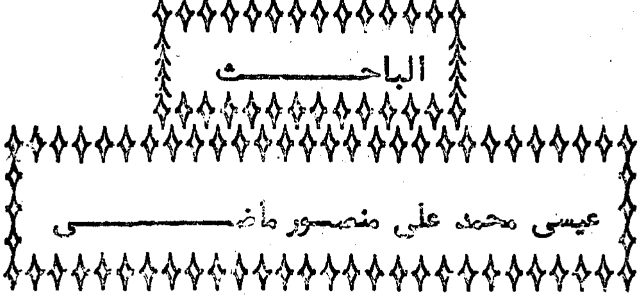
وأشكر للدكتور احسان عباس رئيس الدائره العربية فى الجامعة الامريكية ببيروت أن أمدنى بكثير من المعلومات ووجهنى الى عديد من النواحى المهمة بجوانب هذا البحث ٠

وأشكر للدكتور عبد الرحمن ياغى استاذ الادب العربى بالجامعة الاردنية فى عمان أن زودنى بكثير من المعلومات الهامة عن مدائح النبهانى النبوية ٠

وأشكر للاستاذ محمد عطيه خميس المحامى المصرى ورئيس شباب سيدنا محمد سابقا أن قدم الى الكثير من المصادر العلمية والأدبية عن النواحى السياسيه العصريه التى لمع فيها أو تحدث عنها شاعرنا المترجم ٠

وأشكر لجميع العلماء والأدباء والاساتذه والزملاء الذين احاطونى بكوكبة من النصح والارشاد والتشجيع والتقدير اثناء رحلتى العلميه الطويلة مع كنوز الأدب وذخائره ٠

وأشكر لمصر الحبيبة ولجامعة الازهر الشريف ما أفاءت على من ظلال وما أهدتنى من معارف وعوارف وما أسدت الى من بيض الايادى على أيدى أبنائها الكرماء ٠



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله واصحابه ومن والاه وبعد ..

فهذه دراسة أدبية نقدية عن الشيخ يوسف النبهاني ومدائحه النبوية أدرت فيها البحث حول بيئته الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية حول حياته ومصادره الفكرية ومكانته العلمية والاجتماعية في العالم الاسلامي وكفاحه الديني وعن أدبه المنثور منه والمنظوم وعن مؤلفاته التي زادت على الستين ثم تكلمت عن المدائح النبوية - بصورة عامة - في تاريخ الادب العربي وعن ريادته للمدائح النبوية بشكل عام . وقد شغلتني هذه الدراسة قرابة أربع سنوات مع التفرغ الكامل للكتابة والبحث عن أخبار النبهاني ومؤلفاته المبعثرة في مختلف المكتبات وفي الغوص وراء قصائده في غير المدائح النبوية التي أوصى بأتلافها فضاع تراث قيم من الشعر الجزل الرصيني الذي شهد له لداته وأندادهُ من كبار الادباء والعلماء بالسبق والرفعة وعلو المقام .

وقد استعنت بالبحث الدؤوب المتواصل حتى استطعت أن أعثر على بعض هذه القصائد المفقودة وجعلت منها نموذجاً لقصائده الأخرى . التي كان ينافس بها أمراء الشعر في عصره .

والحقيقة أن صلتي بالموضوع لم تكن وليدة الساعة التي قررت فيها اختياره موضوعا لتسجيل رسالة الدكتوراة فالشيخ يوسف النبهاني ولد في قرية " اجزم " التي ولدت فيها وكان معروفا بتقواه وصلاحه حتى أصبح ممن يعتقد فيهم الولاية حيث كانت تصدر عنه بعض الكرامات التي يحفظها سكان القرية .

وعندما بلغت سن التمييز كنت اسمع والديّ وأهل قريتي يتحدثون عن الشيخ يوسف النبهاني ومع توالي السنوات كانت معرفتي عنه تزداد وتتنوع وتتسع وثبت في عقلي ان الشيخ يوسف النبهاني الذي ولد في قريتي وتربطني به قرابة كان عالما فاضلا تقيّاً تصعدت به الأيام حتى صار رئيس محكمة وكان يتميز عن بقية العلماء من آل النبهاني بمكانته العلمية والاجتماعية .

ولقد انهيت تعليمي الثانوي في الاردن واخترت كلية الشريعة في بغداد لاتمم ثقافتي الجامعية ، وكان اختيارها أثرا للتربية الدينية التي أنشأني عليها والداي جزاهما

الله كل خير وتعرفت على أحد أساتذتي في الكلية وهو الشيخ يوسف عبد الرازق أحد شيوخ وعلماء الأزهر المنتدبين للتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد وهو فلسطيني الأصل مصري الجنسيه • وحين قويت الصلة بيننا قلت له اني فلسطيني من " اجزم " قرية الشيخ يوسف النبهاني وهو قريبي فرحب بي ترحيباً حارا يفيض عاطفة ومحبة وصار يترحم على الشيخ يوسف النبهاني سائلا الله أن يعيد أمثاله في الاسلام وأوصاني ان أكون مثل الشيخ النبهاني في العلم والتقوى وعرض علي مساعدته في كل ما أحتاج اليه وكنت أزوره في بيته فيكرمني ويشعرني بعطفه ورعايته لي كلما سنحت فرصة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته •

ولقد كان لهذه الحادثة أبلغ الاثر في نفسي اذ أثبتت ما كنت أسمعه من أهل قريتي عن الشيخ يوسف النبهاني من مجرد حفظ بعض الوقائع المتفرقة عن تقواه وفضله الى شهادة شيخ أزهري فاضل يدعو الله أن يعيد أمثاله للاسلام والمسلمين عندها ثبت في عقلي بصفة يقينية علم وفضل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله •

وفي سنة ١٩٦٩ حصلت على ليسانس شريعة وآداب من كلية الشريعة جامعة بغداد وتوجهت للسعودية حيث عملت مدرسا لمدة سنة واحدة ثم استقلت وتوجهت نحو مصر الاسلام حيث الازهر الشريف منارة العلم الكبرى والتحقت عام ١٩٧١ بكلية اللغة العربية شعبة الأدب والنقد ولا أدري كيف أخترت هذه الكلية وهذه الشعبة حيث أنني ما قدمت الى مصر الا لدراسة التصوف الذي ما فارقتني مصادره طيلة مراحل حياتي •ولكنها مشيئة الله والخيرة فيما اختاره سبحانه • والتقيت بأساتذتي من علماء الأزهر الشريف وشاهدت من عظيم فضلهم وسعة علمهم ما ذكرني بزميلهم وأخيهم الشيخ يوسف النبهاني فتوجهت بلا ارادة مني الى دار الكتب المصرية وفتشت في فهارس المؤلفين عن اسم " يوسف النبهاني " فوجدت له أكثر من سبعين بطاقة باسمه وقد كانت هذه مفاجأة اوقعتني في دهشة فسجلت جميع مؤلفاته مع ارقامها في كراسة وطلبت الاطلاع على بعضها خاصة ديوانه " العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " ورجعت الى كتاب الاعلام للزركلي وكتاب معجم سركيس وكتاب معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة •• كما رجعت الى المصادر التي أثبتوها في ترجمتهم للنبهاني فتصفحت مجلتي المنار والمشرق وقرأت كتاب

المنار والأزهر لرشيد رخا وغيرها فوجدت أن الشيخ النبهاني كان شخصية متعددة الجوانب كثيره المواهب فهو رئيس محكمة الحقوق العليا فى بيروت وهو فقيه له مؤلفات فى مسائل فقهية وهو فيلسوف مناظر للنصارى مدافع عن الاسلام بالحجة العقلية والفعلية وهو مكافح للتيارات الفكرية المتولدة من الحضارة الغربية وهو حافظ لمعالم الاسلام من أدعياء التجديد والتحول من علماء المسلمين وخاصة مدرسة الأفغاني ٠ وهو رجل مجتمع يقصده المظلومون وذووا الحاجات وهو الشاعر الذى مدح حكام عصره ووجهاءه وفوق هذا كله هو الشيخ يوسف البنهاني الصوفى المعروف بحجته للرسول صل الله عليه وسلم حتى أصبحت لفظه " المحب " لدى الصوفية مصطلحاً معناه الشيخ يوسف النبهاني حيث قصر مؤلفاته على أخباره وحياته صلى الله عليه وسلم ٠

وقد كان لهذه الاتجاهات المتعددة المتمثلة فى شخصية الشيخ يوسف النبهاني مع انقطاعي للدراسة والتحصيل فى الادب والنقد ما صرفني شيئا ما عن متابعة الاستقصاء والبحث ٠ وأمضيت سنتين فى الدراسات العليا حصلت بعدهما على درجة التخصص " الماجستير " فى الأدب والنقد وكنت أود أن يكون بحث الماجستير عن الشيخ يوسف النبهاني ولكن ضيق الوقت وتعدد الاتجاهات والجوانب فى شخصيته ثبطني وصرفني للكتابة عن " ابن زيدون عصره وحياته وشعره " واستشرت قريبى الدكتور الطبيب فاضلازيدان فى جعل رسالة الدكتوراه عن الشيخ يوسف النبهاني بعد ان أطلعته على ما توصلت اليه من معلومات أولية فشجعني وأبدى استعداده لمساعدتى بما يتوفر لديه من معلومات عن الموضوعات لانه من بلدتنا " اجزم " ثم توكلت على الله الذى لا يخيب من رجاه ٠

وكأن الله سبحانه وتعالى قد ادخر لى النبهاني ومدائحة النبوية لتكون موضوعا لرسالة الدكتوراة ٠

وقد تكشف لى أثناء بحثى جوانب مختلفة من هذه الشخصية جعلتني أمضى قدما فى تسجيله موضوع رسالة أتقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه ٠

من هذه الجوانب المشجعة :—

اولا : لان الشيخ يوسف النبهانى من رجال العصر الأدبى الحديث ونحن فى أمس الحاجة الى دراسة رجاله وآثاره ليتضح لنا طريقنا نحو مستقبل أفضل بعد ما قضينا أزمانا طويلة نبدىء ونعيد فى تراجم السابقين ولعل قلة مراجع الدراسة لرجال العصر الادبى الحديث والتى لا تتوفر الا فى مصادرها الاصلية كالدوريات أو صعوبة الرجوع الى الشخصيات العصرية التى لديها المعلومات هو ما صرف الباحثين الى تراجم السابقين الذين توافرت حولهم الدراسات والبحوث فى مختلف العصور .

ثانيا : ان الشيخ يوسف النبهانى فلسطيني المولد والنشأة متعلم فى الأزهر وعاش فى تركية وسورية وشمال العراق وبلاد الحجاز وتردد كثيرا على مصر واستقر فى لبنان حيث توفى ببيروت . فدراسته فيها توثيق لروابط الأخوة بين الأقطار الاسلامية التى كانت تعيش فى اطار الوحدة الاقليمية لأنها واحدة .

ثالثا : ان يوسف النبهانى تعلم فى الأزهر مدة سبع سنوات وكان هو النبع الاول والمصدر لثقافته ومعرفته وقد بقيت الصلة والثقة قائمة بينه وبين أساتذته وغيرهم من علماء الازهر . وظهرت أثارها باجازاتهم له وبما قرظوا من كتبه بالاضافة الى ان الشيخ النبهانى كثيرا ما كان يهيب بعلماء الازهر للنهوض باصلاح الامة بعد ان فسدت ولم يكن يرى صلاحها بغيرهم بالاضافة الى اكرامه للعلماء الذين كانوا يزورون بيروت وتواضعه لهم مع علو مقامه فى القضاء . وكل هذا يدل على تمجيده للازهر ورجاله ورسالته .

رابعا : كان الشيخ يوسف النبهانى مثال العالم المسلم الذى ينظر الى الاسلام من حيث هو عقيدة وشريعة فالحسن ما حسنه الاسلام والقبيح ما قبحه الاسلام فكان يدعو للتمسك بالكتاب والسنة ناعيا على كل من يجتهد فيما ورد فيه نص عن أحدهما . ولقد عاش حياته المديدة فما عابه أحد فى عقيدته وسلوكه حتى ممن ناصبوه العداء وأصبح رئيسا لأعلى محكمة قضائية فى الولايات العثمانية فما حكم بغير الشريعة الغراء متحريا للحق والعدل فى كل سبيل .

خامسا : بقى الشيخ يوسف النبهانى مخلصا بقلبه وعاطفته للرابطة الاسلامية بين الشعوب فى دولة الخلافة العثمانية داعيا الى تقويتها بأدبه وشعره عن طريق مؤلفاته الكثيرة التى خدم بها الاسلام ليقوى فى قلوب المسلمين فيزداد وا ترابطا وتماسكا وقوة ، ولقد خيل لبعض الباحثين المحدثين انه قد نسى عروبته الأصلة ولكن سرعان ما خلع السلطان عبد الحميد وظهرت سياسة التتريك فأقبل فى حماس يذكر بالعرب وفضلهم فى حفظ الاسلام ونشرهم له وبأن الرسول عربى والقرآن نزل بلغة العرب ونفث من كثيرا القصائد الطنانة التى جعلها دعاة القومية من أناشيدهم الوطنية التى يرددونها فى وجه الدعوة الطورانية كما اتخذها بعضهم تهمة قومية يلصقونها ببعض الشخصيات الاسلامية لاسقاط مكانتها لدى الدولة العثمانية مثل قوله :-

| | |
|---|---|
| ويممت دار الملك أحسب أنها | الى الآن لم تبرح الى المجد سلما |
| فالفيتها قد أقفرت من ربوعها | ولم يبق فيها الفضل الا توهما |
| حوت قوم سوء أسلموا أى نفوسهم | الى الكفر الا من له الله سلما |
| وألفيت فيها أمة عربية | يرى القوم منها أمة الزنج أكرما |
| وما نقموا منا بنى العرب خصلة | سوى أن خير الخلق لم يك أعجما |
| ولكن حجاب الحق أعمى قلوبهم | فلم ينظروا من خلفهم حجب العمى |
| بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجيا | ولكن قلبى من جفاكم تكلما |
| ولو لم يكن قصدى مديح أبى الهدى | لجرعتكم لوذقتم الهجر علقما |

• • • • •

فمن يقول مثل هذا الشعر بهذه العاطفة الفياضة لا شك أنه كان عربيا مخلصا لعروبته كما كان مخلصا لاسلامه •

سادسا : نزع الشيخ يوسف النبهانى الى منهج اصلاحى عملى فى حياته ، حيث دعا مشايخ الأزهر ان يتفرغوا لاصلاح الأمة الاسلامية ورد الشبهات التى يثيرها اعداء الاسلام من دعاة التجديد أو من تلاميذ الجامعات الغربية الصليبية ونبههم

الى وجوب ترك الحواشى والتقارير على المؤلفات القديمة التى استوعبت جميع
مناحى الشريعة وفيها الكفاية كما انه دعا الى عدم التضلع فى علوم اللغة
العربية والبلاغة والمنطق وعلم الكلام وغيرها مما يسمونه علم الآلة لانها وسيلة
وليست غاية اذ الغاية منها فهم الكتاب والسنة والتعبير بصورة فصيحة وصحيحة
وفى عشر ما هو موجود منها كفاية بل فوق الكفاية كما يقول •

سابعا : كان الشيخ النبهانى نسيج وحده فى أثاره الأدبية فقد خلف لنا أكثر من
ستين مؤلفا كلها فى شؤون الرسول صلى الله عليه وسلم كما خلف لنا ديوان
شعر فى المدائح النبوية لم يثبت فيه الا ما قاله فى المدائح النبوية مع جودة
شعره الذى قاله لاغراض أخرى والذى أوصى باتلافه لانه لا يحب ان يؤثر
عنه الا ما قاله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه ظاهرة فريدة فى
تاريخ الأدب العربى كما أنه يمتاز فى مدائحه بطول النفس فله قصيده مكونة
من الف بيت وأخرى من ٧٢٥ بيتا وثالثة من ٥٥٠ بيتا وليس له قصيدة فى
مدح الرسول أقل من أربعين بيتاً وهذه أيضا ظاهرة فريدة فى الأدب العربى
ومؤلفات النبهانى المنثور منها والمنظوم تعد دائرة معارف محمدية كاملة
فلا تجد شأنا من شؤونه صلى الله عليه وسلم الا وقد أفاض الشيخ النبهانى
فى توضيحه وبيانه •

وقد كان الشيخ النبهانى يهدف من هذا الى نشر مآثر الرسول وفضائله من
حيث هو الانسان الكامل والقدوة الأمثل وقد كان لهذا أهمية كبرى فى عصر
الشيخ النبهانى حيث وفدت الحضارة الغربية الى المشرق بأساليب مختلفه
وكان دعاتها يظهرونها وكأنها قارب النجاة من كل ما يعانيه المسلمون من
جهل وفقر ومرض ولكن الشيخ النبهانى كان ينشر فضائل الرسول ومآثره على
أنها البديل الصحيح ، ويظهر هذا واضحا فى مدائحه النبوية اذ كثيرا
ما ينبه الامة الى خطر الانزلاق وراء الكفرة وعلومهم التى لا يقصدون منها
الا افساد عقيدة المسلمين وبالتالى ضياعهم وقد ذكر بروكلمان مثل هذا فى

ترجمته للنبهاني حيث يقول " .... والذي تكشف عن نشاط أدبي خصب جداً صادر عن روح الاسلام القديم ابتغاء وقايته من تيارات أوروبة المسيحية )

فاذا كان بروكلمان يعبر عن العلوم الحديثة الوافدة ب "تيارات أوروبة المسيحية" فان " أهل مكة أدرى بشعابها " كما يقولون ورحم الله الشيخ النبهاني الذي تنبه لهذا الخطر العظيم ولم يتنبه له من يسمولهم رواد الفكر الحديث

ثامنا : وقف الشيخ النبهاني من حملات التبشير المسيحي بمدارسه ومؤسساته الاجتماعية وقفة صامدة أثبت فيها عزيمة وثباتاً على الحق منقطع النظير فقد كان يقف لهم بالمرصاد مدافعا عن الاسلام مثبتاً كفاءته لمعاجلة مشاكل العصر وموضحا فساد الديانتين اليهودية والنصرانية بالحجة والمنطق محذراً من أساليب مدارسهم داعياً المسلمين الى افتتاح مدارس تدرس العلوم العصريه .

وينبغي أن نعلم أنه كان يحارب التبشير المسيحي ومدارسه في بيروت التي كانت مقراً للحركة التبشيرية بالاضافة الى تخطيط الدول الاستعمارية لجعلها عاصمة لدولة مسيحية .

وكذلك غلبة التيارات الفكرية الحديثة في بلاد الشام وضعف الدولة العثمانية وفقدان سيطرتها على شعوبها وتشويه صورة السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين المعدودين .

وبخلع السلطان عبد الحميد فقد الشيخ النبهاني نصيره الوحيد ولكنه بقي ثابتاً على مبادئه لم يغيرها على الرغم من عزله من وظيفته حيث اضطر الى الالتجاء الى الخديوي عباس حلمي باشا الذي رتب له الف قرش شهريا .

تاسعا : بقي الشيخ النبهاني مغمورا في الاوساط الادبية على الرغم مما خلفه من تراث أدبي عظيم في المدائح النبوية ولم أجد أحدا أقام دراسه مستقله عنه وقد ورد ذكره عابرا في كتب التراجم فقط التي شهدت له بالفضل والمقدرة الادبية حتى شهد له بعضهم بأنه من أشعر شعراء عصره علما بأنه عاش زمن شوقي وتوفيا في عام واحد ١٩٣٢ .

فالموضوع فى حد ذاته بكر لم يتطرق اليه أحد مع أنه معروف ومشهور لدى الأوساط الصوفيـــة .

عاشرا : لقد كان اهتمام النبهانى موجها الى المدائح النبوية فى أدبه اولا ، وكان ذلك ملفتا للنظر حيث تستدعى هذه الظاهرة مزيدآ من الدراسة والبحث لمعرفة أعماق وأبعاد هذا الاهتمام الفريد .

فالمدائح النبوية لم تسترع انتباه الادباء ودارسى الادب منذ أقدم الازمنه ولعـل جلالة قدرها ومكانة ممدوحها صلى الله عليه وسلم فى قلوبهم ما رغبهم عن اخضاعها لمقاييس الأدب الأخرى حفاظا على مكانتها . وفى العصر الحديث خاض الباحثون والدارسون من الادباء جميع مناحى الأدب بجرأة ولم نجد هناك من اهتم بدراسة المدائح النبوية دراسة مستقلة واعية تناسب ما لدينا من هذا التراث الضخم الذى بدأ متصلا من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا لم ينقطع علـى الرغم من الظروف القاهرة التى مرت بالمسلمين ولم تضعفه بل كانت تزيد أواره .

ولعل فن المدائح النبوية هو الوحيد من سائر فنون الأدب فى هذا المضمـار لذلك كان اهتمام النبهانى بفن المدائح النبوية ، هذا الاهتمام الذى لم يسبقـه اليه غيره فى العصر الحديث على أقل تقدير ـ جديرا بأن يلفت أنظار الباحثين لدراسة هذه الظاهرة الأدبية المتمثلة فى شخص الشيخ يوسف النبهانى .

احدى عشر : لقد أثرى الأدب الاسلامى اثراء عظيما بما خلفه الشيخ النبهانى من مدائح نبوية نظما ونثرا . وقد طوّع الشكل الشعرى لهذا الغرض حتى استوعبت القصيدة الواحدة الف بيت والاخرى بلغت ٧٢٥ بيت والثالثه بلغت ٥٥٠ بيت ، وهكـذا وفى هذا قوة ونهوض بالادب الاسلامى الذى يسجل قيمنا ويحفظ اخلاقنا الـى مدى حدٍ بعيد .

كل هذه المشجعات والدوافع جعلتنى أمضى قدما فى اختيار هذا البحث ليكـون موضوعى للحصول على درجه الدكتوراة بعد أن وافق الاستاذ الدكتور / عبد السلام سرحان ان يكون مشرفا وموجها جزاه الله كل خـير .

ولقد استغرق الحديث فى هذا البحث آمادا بعيدة ،وشغل آفاقا واسعة واشتمل على أربعة أبواب وخاتمة ، وكل باب تضمن عدة فصول وأجزاء .

أما الباب الاول فكان حديثا تمهيديا وان كان ضروريا من عصره وبيئته تناولت فيه الكلام عن فلسطين من الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية وامتد بنا الحديث فيها لسببين .

الأول ان دراسة هذه الجوانب تعد اساسا للدراسات الاصلية عن الشيخ يوسف النبهانى ومدائحه النبوية .

يقول الدكتور شكرى فيصل ( .... وأن الدراسات الأدبية من هنا يجب ان تتضمن هذين النوعين من الدراسات التى يكمل بعضها بعضاً ، الدراسات الجانبية أو المساعدة والدراسات الاصلية ... فالدراسات الاصلية ... فالدراسات الجانبية تتناول هذا الذى يحيط بالظاهرة الأدبية من الثقافة والسياسة والاجتماع والاقليم وما الى ذلك والدراسات الاصلية تتناول الظاهرة الأدبية بالذات ،أعنى تتناول هذا الكاتب أو هذا الشاعر أو هذا الاثر الفنى بالدراسة العميقة والبصيرة النافذة ... ومن تعاونهما تكون الدراسة الحقة ومن التقائهما يبرز هذا المجرى الأدبى الذى نحاول كشفه وازاحة الضباب الذى ران عليه"[1] .

والسبب الثاني أن حياة الشيخ النبهانى امتدت من عام ١٨٤٩ - ١٩٣٢ وفى هذه الحقبة حدث الكثير من التحولات والتغيرات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى لها أكبر الأثر فى حياة الأديب وذلك بالاضافة الى كون الشيخ النبهانى فلسطينى الاصل وفى هذه المدة بدأ اليهود يخططون رسميا لجعل فلسطين وطنهم القومى وصدر وعد بلفور وأخيرا تحقق الوعد ،وقامت اسرائيل .

---

(١) مناهج الدراسة الادبية فى الادب العربى الدكتور شكرى فيصل ص ( ٢٣٨ ) راجع ايضا ص ٢٢٧ وص ٢٣٠ .

وقد كان كل هذا نتيجة للظروف الثقافيه والسياسية والاقتصادية التى مرت بهـــا المنطقه ، ولقد كان من المحتم ان ارسم صورة البيئة وأهيء بيانا عن جغرافية فلسطين وطبيعتها الساحرة ، وكانت مصادرى فى هذا الباب هى الدوريات والكتب المتخصصة مضافة الى كتب الدراسات الأدبية التى أشارت الى بعض هذه النواحى وكذلك كـتب الرحلات والحفريات الأثرية وكتابات الشخصيات المؤرخة لهذه الفترة مثل الأســتاذ محمد جميل بيهم ، والاستاذ محمد عزة دروزة وغيرهما •

وفى الباب الثانى: تحدثت عن نشأته وحياته وتكلمت عن مولده وأسرته وثقافتـــه ومكانته العلمية والاجتماعية وعن شخصيته ومبادئه وكفاحه الدينى •

وقد كانت مصادرى فى هذا الباب ما ذكره النبهانى نفسه عن شؤونه فى مؤلفاتـــه وما سمعته من والدى ومن الدكتور فاضل زيدان ومن أحفاد النبهانى وابناء عمه الذين زرتهم فى بيروت ودمشق وكذلك من العلماء الذين عاشوا زمنه واحتكوا به مثل الشـــيخ مختار العلايلى أمين الفتوى فى لبنان وأخيه عبد الله العلايلى الملقب بأعجوبـــة الدهر لا تقانه عدة علوم أو من الذين شهدوا حياته مثل الاستاذ / خير الدين الزركلى والاستاذ محمد عزة دروزة اللذين زرتهما فى بيروت ودمشق •

وفى الباب الثالث : " أدبه " تكلمت عن أدبه المنشور وأغراضه وعن شعره وفنونه بشكل عام وشهادة لداته وأنداده له بالسبق فى الشعر ، كما تكلمت عن آثاره الـــتى زادت عن الستين وأوضحت أهميتها من الناحية الاسلامية •

وفى الباب الرابع : " مدائحه النبوية " بسطت القول عن المدائح النبويـــة وأطوارها وعن مدائح النبهانى وبواعثها وأوردت نماذج من مدائحه النبوية عارضـــا لخصائصه الفنية فى تلك المدائح ، كذلك تحدثت عن معارضاته فيها ومركزه الادبـــى بين مادحى الرسول ، واخيرا تكلمت عن ريادته للمدائح النبوية لانه استطاع ان يجتاز بمدائحه النبوية ما وصل اليه السابقون ويفوق ماديحه المادحون ، ومن هنا كان يحـــق رائد هذا اللون فنياً وان تأخر به العصر ، ولهذا كان من حقه ان يردد مع الزمـــن

قول أبى العلاء المعرى مفاخرا الزمان •

وانى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل.هذا وقد تكشف لى فى ثنايا البحث الكثير من الحقائق الخطيرة التى لو درست دراسة وافية لاسقطت الكثير من الافكار والمفاهيم التى تعد -حتى الان- من المسلمات لدى الكثير من الأدباء والمفكرين فى العصر الحديث •

هذا ويهمنى أن أقرر أننى لم التزم منهجا معينا من مناهج البحث لقصوره وحده عن الوصول الى النتيجة بل كان منهجى " وحدة فى الهدف وكثرة فى الوسائل " فقد أفدت من كل ما وصلت اليه من معلومات فى سبيل الوصول الى الغاية وهى ابراز المكانة العلمية والادبية للشيخ يوسف النبهانى التى اغفلها الباحثون لسبب أو لاخر •• بعمد وبغير عمد •

ولقد تفتحت لى جوانب من المعرفة فى اثناء البحث كانت تجذبنى نحوها خصوصا فى الناحية الثقافية والسياسية من خلال الباب الاول ، وفى كفاحه الدينى وشخصيته ومبادئه فى ثنايا الباب الثانى •

وفى معارضاته الشعرية للمدائح النبوية القديمة فى الباب الرابع • ولكن هدفى الاول كان توضيح صورة الشيخ يوسف النبهانى بمقدار ما يسمح به البحث دون استطراد ما أمكن •

هذا ولقد تجمعت لى مادة غزيرة لم أستطع ان أضمنها البحث وأرجو صادقا ان أوفق فى اخراجها فى دراسات مستقلة • وفى المدائح النبوية تكشفت لى روائع من الشعر العربى الذى قاله شعراء أفذاذ حكم عليهم بالنسيان لانهم اتجهوا بأشعارهم هذا الاتجاه •

ولعل القارئ الكريم يلاحظ اننى فى دراستى للنبهانى لم أكن متحيزا له فى موقف من المواقف مع حبى له وشغفى به وميلى اليه وعلاقتى الشديدة به •

ولعلى لا أغلو اذا قررت اننى لقيت كثيرا من العنت ، وصادفت عديدا من المتاعب فى السير وراء المراجع ، وتجميع المعلومات خاصة ان الشيخ النبهانى - لظروف شخصيه -

حرصي على طمس معالم حياته ، وربما كان ذلك خوفا من ان يداخله عجب أو كبرياء كما طمس شعره في غير المدائح النبوية لانه عده من السيآت التي ارتكبها في شبابه وأيام طيشه وجهله ، ولهذا أوصى بعدم روايته ، ولكنني عثرت على بعضه لدى الشيخ زهير الشاويش في بيروت والشيخ النبهاني كان يبث معالم حياته في أماكن مختلفه من مؤلفاته لذلك اضطررت لقراءة جميع مؤلفاته لأقف على معالم حياته وسافرت مرتين الاولى في ١٢/٦/١٩٧٤ الى بيروت ودمشق وعمان وبغداد وجمعت معلومات غزيره من مكتباتها وقابلت الكثير من الشخصيات وصورت بعض المخطوطات • وممن قابلتهم هناك أحفاد الشيخ يوسف النبهاني الذين يعيشون في بيروت الان ومع الأسف وجدتهم لايعرفون شيئا عن أحوال جدهم ذلك أن والدهم محمد شمس الدين توفي عام ١٩٣٦ فباعدت السنين الطويله بينهم وبين جدهم خصوصا وقد انغمروا في مصارعة الحياة وقسوتها لان والدهم لم يرث عن والده شيئا بل حدثني المهندس يوسف النبهاني - الحفيد - ان الله سبحانه قد استجاب لدعوة جدهم وهو على فراش الموت حيث قال " اللهم لا تغنني ولا تغن أحدا من ذريتي " وفي حياته جعل حق طبع مؤلفاته لجميع المسلمين •

وقد عدت من هذه السفرة الاولى في ١٥/١/١٩٧٥ ثم عاودت السفر في ٢/٢/٧٦ الى دمشق وبغداد وعمان وعدت ثانيه في ٥/٤/١٩٧٦ •

وأمام اتساع دائرة البحث وتشعب جوانبه حدثتني النفس كثيرا بالتوقف • ودفعتني الى ترك البحث في هذا الموضوع لصعوبة الحصول على مصادره ولأني لم أجد أحدا من الباحثين كتب عنه ولو بصورة أولية • حتى يمهد لي معالمه • واتجنب البدء من الصفر وهو أمر صعب شديد ولكن استاذي المشرف رفض هذا التراجع بكل حزم وحسم وشجعني على المضي قوما (قدماً) في الكشف عن هذه الشخصية الاسلامية الفذة التي حرص أعداء الاسلام من أدباء النصارى وغيرهم على طمسها وأخيرا وفقني الله بمساعدة أستاذي المشرف وتعاونه الكامل على اتمام هذا البحث واعطائه حقه في مجالات العلم والأدب وبقدر مايسمح لي الزمان والمكان •

وسوف يجد القارئ الكريم ان هناك جوانب مختلفه من شخصية النبهاني في مدائحه النبوية يستحق كل جانب منها أن يستقل ببحث للدكتوراه •

الصعو

بسم الله الرحمن الرحيم

((( الباب الأول )))

( عصره وبيئته )

## الفصل الاول :

### الصورة الجغرافية لوطنه :

**الموقع :**

تقع فلسطين فى القسم الجنوبى الغربى من سورية الواقعة فى أقصى الغرب من قارة آسية على البحر المتوسط .

**الحدود :**

كانت حدود فلسطين زمن الانتداب البريطانى كما يلى :

من الشمال : الجمهورية اللبنانية ومن الشرق الجمهورية السورية والمملكة الاردنية الهاشمية ، ومن الغرب البحر المتوسط ومن الجنوب جمهورية مصر العربية وخليج العقبة

**المساحة :**

تقدر مساحة فلسطين بـ ٢٧ الف كم مربع بين ماء ويابسة (١) .

**السكان :**

لقد أدت هجرة اليهود لفلسطين الى زيادة ملحوظة فى عدد السكان خلال مدة الانتداب البريطانى سنة ١٩١٩ ذلك لان مهمة الانتداب كانت فى الواقع تحقيق وعد بلفور الذى يفرض على الدولة المنتدبة وضع كافة الامكانات لاقامة الوطن اليهودى فى فلسطين وأهمها تسهيل الهجرة والاستيطان أما الهجرة فتبدو خطورتها اذا عرفنا أن عدد سكان فلسطين حسب التقديرات الرسمية عام ١٩٤٤ كان ١٫٧٦٥٠٠٠ نسمة بينهم ٥٥٤٫٠٠٠ يهودى (٢) وفى عام ١٩٤٨ بلغ عدد سكان فلسطين ١٫٩٤٣٠٠٠ نسمة

---

(١) يذكر الاستاذ الدباغ أن مساحة فلسطين ٢٧٠٢٤ كم مربع " بلادنا فلسطين " ج ١ ص ح .

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ ص ح .

منهم ٧٠٠ ألف يهودى بنسبة ٣٦ ٪ من مجموع السكان بينما لم تكن نسبتهم عام ١٩١٩ غير ٨٪ فقط (١) .

ونلاحظ أن زيادة اليهود عامى ١٩٤٤ — ١٩٤٨ هى ( ٠٠٠ر١٤٦ ) نسمة بينما زيادة العرب لم تتجاوز ٣٢ الف نسمة فقط مع ملاحظة الفارق بين الاصيل والدخيل منهما " وقد كانت هذه الزيادة هى المهمة التى كلف بها المندوب السامى البريطانى " وهو " هربرت صموئيل " وهو أحد زعماء الصهاينة فى بريطانيا فقد كانت مهمته الاولى هى العمل على تسهيل الهجرة والاستيطان لليهود(٢) .

التضاريس الطبيعية لتقسيم فلسطين من حيث تضاريس طبيعتها الى اربعة أقسام :

أولا : أ — السهول الساحلية المشرفة على البحر الأبيض المتوسط وهى سهل عكة

ب — سهل مرج ابن عامر

جـ — سهل سارون

د — سهل يافا

هـ — سهل غزة

ثانيا : المرتفعات الوسطى :

أ — القسم الشمالي :

وهى عبارة عن جبال الجليل التى يتراوح عرضها بين ٤٠ — ٥٠ كم وتكاد تكون تكون تكملة لجبال جنوبى لبنان التى تقع شمالها وتمتد من شمال صفد الى جنوب الناصرة ومن سهل عكة الى سهل الحولة وتبلغ اقصى ارتفاعها فى جبل الجرمق قرب صفد ويبلغ ارتفاع قمته ( ١٢٠٨ م ) وهو أعلى جبال فلسطين ، وفى جنوبها جبل طابور ويبلغ ارتفاعه ( ٥٦٢ م ) وتتكون غالبية جبال الجليل من الصخور الجيرية وهذا النوع من الصخور قلما يحتفظ بمياه الأمطار ، هذا مع فقر التربة الناجمة عن تفتيت هذه الصخور وجعل الانتاج الزراعى محدودا الى درجة كبيرة .

ب — القسم الجنوبى :

١ — جبال الكرمل ٢ — جبال نابلس ٣ — جبال القدس

٤ — جبال الخليل

(١) جغرافية فلسطين ص ١٠ بتصرف .
(٢) حديث الهيئة الاذاعة البريطانية صباح يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧٧ بتصرف

ثالثا : **سهل الغور :**

وهو يشمل ٥٪ من مساحة الاراضى الفلسطينية ويتراوح عرضه بين ٤ — ١٥ كم وقد دعى بهذا الاسم لانخفاضه فى معظم اجزائه عن مستوى سطح البحر . ويعتقد علماء طبقات الأرض أن هذا الانخفاض بين مرتفعات غربية وشرقية نشأ عن حركات عنيفة فى القشرة الارضية فى العصور الجيولوجية ....... وما سهل الغور الا قطعة ضيقة من القشرة الارضية انخفضت مئات الأمتار عن سطح البحر من جهتى الشرق والغرب وهو فى أقصى شماله عن سهل الحولة يرتفع نحو مترين عن سطح البحر . وتقدر مساحة سهل الغور بنحو مليون دونم ويشتهر مع زراعة الحبوب بالموز والنخيل والقطن وقصب السكر والثمار .

رابعا : **النقب :**

وهو عبارة عن هضبة يتراوح ارتفاعها بين ( ٥٠٠ ) و ( ١٠٠٠ )م كما تبلغ مساحتها نصف مساحة فلسطين التى تشكل القسم الجنوبى منها ، ويكاد النقب يكون على شكل مثلث قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبى من البحر الميت ورأسه الجنوبى العقبة ولقلة الامطار التى تسقط فى هذه المنطقة تقل فيها الزراعة جدا وكثيرا ما تنحبس الامطار فيعم القحط . أما الثروة الحقيقية فى هذا الجزء فهى ما يحويه من معادن وافرة أهمها الاورانيوم والفوسفات (١) .

؟

**الانهار والبحيرات :**

١ — **الانهار الساحلية وهى :**

١ — نهر الكابرى     ٢ — نهر النعامين     ٣ — نهر المقطع

٤ — نهر الزرقاء     ٥ — نهر العوجة وهو أطول الأنهار الساحلية وتكثر على ضفافه الحدائق والرياض .

٦ — نهر روبين     ٧ — نهر سكرير     ٨ — وادى الحسى

٩ — وادى غزة

٢ — **الأنهار الدخلية وهى :**

١ — نهر الحاصبانى     ٢ — نهر دان أو اللدان     ٣ — نهر بانياس

٣ — نهر [illegible] وهو أطول الانهار الداخلية .

الاردن

## البحـــــيرات :

١- بحيرة الحولة : كانت مساحة هذه البحيرة ذات المياه المذبه قبل النكبة ( ١٤ ) الف دونم وقد جففها اليهود للاستفادة من تربتها فى الزراعة ولم يعد لها من أثر الا المجرى الذى يسير فيه نهر الاردن •

٢- بحيرة طبرية وتبعد عن سابقتها نحوا من ٥ر ١٧ كم الى الجنوب وتكثر فيها الاسماك التى تعيش فى المياه العذبة وكان صيد الاسماك قبل النكبة مصدر عيش ورخاء لكثير من السكان العرب الذى يسكنون على ضفافها وتبلغ مساحتها ( ١٦٥ ) الف دونم وهى ذات مناظر خلابة لموقعها الاخاذ وماؤها أزرق رقراق تحيط به الجبال الشاهقة •

٣- البحر الميت : وكان يعرف قديما ببحيرة لوط وهو نهاية المطاف لنهر الاردن حيث يصب فى أقصى شماله وقد سمى بهذا الاسم لاستحالة وجود الاحياء فيه بسبب ارتفاع نسبة الاملاح فى مياهه الى درجة تجعل طعمها مرا كالعلقم وتبلغ مساحة هذا البحر ( ١٠٥٠ ) دونم وأقصى طوله ٧٦ كم ومتوسط عرضه ١٥ كم وأما عمقه فكبير فى الاقسام الشمالية خاصة حيث يصل الى ٤٥٠ م بينما نجده فى أقصى الجنوب المعروف بالغور الصافى .. لا يتجاوز مترا واحدا وتزداد نسبة الاملاح فيه سنة بعد سنة لأن الكمية الهائلة المتبخرة من مياهه بسبب اشتداد الحرارة على هذا الانخفاض الهائل عن سطح البحر ( ٣٩٢ ) مترا وهو أقصى انخفاض عن سطح البحر فى الكرة الارضية لا تعوضها المياه التى يصبها فيه نهر الاردن وتبلغ درجة الملوحة فيه ٢٥٪ بينما هى فى سائر المحيطات تتراوح بين ٢٪ - ٤٪ •

وهذه الملوحة لم تترك مجالا لادنى أنواع الحيوان وأيسر اشكال الحياة للظهور فيه فكان أن لزمه اسم " البحر الميت " ولكن هذه الاملاح التى سببت اطلاق هذا الاسم عليه هى فى الوقت نفسه مصدر ثروة اقتصادية هائلة خاصة البوتاس الذى يقدر الخبيراء أن مياهه تحتوى منه على الفى مليون طن والبوتاس من المواد الهامة للصناعة أما ملح الطعام فيقدر ما يوجد منه فى مياهه الف ألف مليون طن وهذا كله غيض من فيض كما يوجد فى مياه البحر الميت كثير من كنوز المواد الكيماوية التى تقدر قيمتها بمليارات الجنيهات •

الخبراء



ولذا يعد وان كان " ميتا " بالنسبة لعدم وجود الاسماك والاحياء المائية الاخرى فيه عونا كبيرا على أفضل أنواع الحياة اذا ما استثمرت كنوزه كما يجب

## الينابيـــع :

تنتشر الينابيع فى فلسطين انتشارا كبيرا وتسمى عيونا ومن أعظمها العيـــون الاتيـــة :ـ

١ ) عين جارود قرب بيســـان ٢ ) عين السلط قرب اريحـــا
٣ ) عين الجدى على الشاطىء الغربى من البحر الميت
٤ ) ينابيع السهل الغربى :ـ

أ ـ نبع الكابر قرب عكـــة ب ـ نبع كردانة شرق حيفـــة
جـ ـ رأس العين شمال شرق يافة د ـ نبع قرية فراضية فى قضاء صفد
هـ ـ نبع قرية البمنة فى قضاء عكة وهناك عدد من الينابيع المعدنية منهـــا نبع المقلى ونبع الريح وهناك ينابع معدنية فى طبرية اسمها "الحارة " ينابيع
وهناك نبع " عين مالح " فى قضاء نابلس ونبع " عين عصب " جنوبـــى البحر الميت •

## المناخ درجة الحرارة :

تقع بلادنا المغتصبة فلسطين فى المنطقة المعتدلة الشمالية ولكن طبيعة تضاريسها الارضية جعلت المناخ فيها على الرغم من صغر مساحتها متنوعا يختلف من بقعة الـــى اخرى فنجده فى فصل الصيف معتدلا فى السهل الساحلى وأكثر اعتدالا فى منطقـــة المرتفعات الوسطى أما فى فصل الشتاء فالجو دافىء نوعا فى السهول الساحلية دافىء تماما فى الغـــور •

### أ ـ الريـــاح :

شأن فلسطين شأن جميع الاقطار الواقعة فى المنطقة المناخية المعروفة بمنطقـــة ( البحر الابيض المتوسط ) أى أنها تتعرض للرياح ذاتها التى تتعرض لهـــا هذه المنطقة وهى :ـ

١ ) الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافـــة •
٢ ) الرياح العكسية التى تهب فى فصل الشتاء قادمة من البحر فتهطل أمطارها على المرتفعات ، ولهذا يعد فصل الشتاء فصل الامطـــار •
٣ ) الرياح الشرقية حيث تتعرض فلسطين فى أوائل الصيف الى رياح تهب مـــن الصحراء وتكون هذه الرياح جافة شديدة الحرارة مشحونة بالرمال والاتربة الدقيقة الخانقة فتضايق الناس وتضر المزروعات وتساعد علـــى نشر الامـــراض

ولها عدة أسماء ( الخماسية ) أو ( الخماسينية ) أو ( الشلوق )[1] .

## الأمطـــار :

تسقط الامطار فى فصل الشتاء من هبوب الرياح العكسية ونتيجة طبيعة لذلك كانت أكثر الاماكن أمطارا فى فلسطين الجهات ( الشمالية والغربية ) والمناطق الجبلية وأكثرها تسقط بدون أنتظام بين شهرى تشرين أول ونيسان حسب مرور الأعاصير وعدم انتظامها ، هذا من حيث الكثرة والقلة ومن حيث تبكير موسمها أو تأخره مما يجعل مصير المواسم الزراعية غير مضمون الوجود او غير مؤقت بأى من الاوقات[2] .

## النـــدى :

ويتكون ليلا لدى ملامسة الهواء المشبع بالرطوبة للارض الأبرد ، وأكثر ما يتكون فى فصل الصيف ويكثر فى السهول ويقل فى الأماكن المرتفعة .

## الثـــلج :

قلما تتساقط الثلوج فى فلسطين واذا سقط فقلما يستمر طويلا وقد حدث أن تساقط الثلج بكثرة عام ١٩٢٠ وبمقادير وافرة هدمت كثيرا من الأبنية القديمة وكسرت ألوفا من الأشجار وسدت طرق مدينة القدس لمدة أسبوع وعطلت الأعمال فيها ولكن هذا من النوادر فلا يقاس عليه[3] .

---

(١) جغرافية فلسطين ص ٣١ - ٣٢ بتصرف

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ بتصرف

(٣) المصدر السابق ص ٣٣

حتى صفحة ٤٢ تفاصيل اقتصادية لاحصلة لها بالبحث

( الفصـــــل الثانـــــى )

*

الحياة الاقتصاديـــة :

فلسطين بلد زراعى من الدرجة الاولى فقد كانت الحاصلات الزراعية هـــى عماد الاقتصاد الفلسطينى شأن باقى البلاد العربية وكان ثلثا أهالى فلسطـــين يعيشون على الزراعة وتبلغ مساحة الأراضى الزراعية مليون دونم أى ثلث مساحة البـلاد ومن أهم ثروات فلسطين :-

١- الثروة النباتيـــة :

وهـــى :

أ ) الأحـراج فقد كانت المساحة التى تكسوها الغابات حتى أواخر عهـــد الانتداب ٣ % من مساحة البلاد •

ب) المزروعات أهمها الحمضيات الـتى كانت تزرع على الساحل وتقدر مساحتهـا بـ ( ٣٠٠ ) ألف دونم وقد قدر عدد أشجار البرتقال قبل النكبة بـ ١٥ مليون شجرة زاد انتاجها السنوى على ٧٠٠ الف طن •

جـ) الحبوب وتعتمد فى زراعتها على مياه الامطار ويقدر متوسط ما تنتجه الارض الفلسطينية من القمح والشعير والسمسم والذرة بـ ٣٠٦ ألف طن سنويا •

د ) الزيتون ويصل محصوله حوالى ٤٥ ألف طن سنويا وقد ينخفض الى ٥ الاف طـــن •

هـ) الخضـروات ومعظمها يعتمد فى زراعته على مياه الابار وفلسطين مكتفيـــة ذوويا منها - ما عدا البطاطس- وتوجد فيها الفواكه بأنواعها والتبغ •

٢ - الثروة الحيوانيـــــة :

أهتم المزارع الفلسطينى بتربية الأبقار والأغنام والماعز ويقدر عددها بربع مليــون رأس لكل منها وقد كان لقرى ومدن فلسطين الساحلية نشاط هام فى صـــيد الاسماك خصوصا سواحل بحيرة طبرية [1] •

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٠ •

٣) **الثروة المعدنيـــــة :**

[illegible]

وأهمها الفوسفات والكبريت ومواد البناء وهى الصخر الكلسى والجير وهنـاك الأملاح المعدنية وأهمها ملح الطعام والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسـيوم وجميع الأملاح موجودة فى البحر الميت •

٤) **الثروة الصناعية :**

لم تنشأ فى فلسطين صناعة معدنية لعدم اكتشاف الحديد والفحم الحجـرى وقد قامت صناعات خفيفة تعتمد على الخامات الموجودة فى البـلاد وأهمهـا استخراج الزيوت من الزيتون والسمسم وصنع الحلوى بأنواعها وطحن الحـبوب وصناعة التبغ وصناعة الصابون والمنسوجات القطنية والحريرية وصناعة التحـف الخشبية من خشب الزيتون وهناك صناعات أخرى مثل الأسلاك والانابيـب والمسامير وشفرات الحلاقة ولكن على نطاق ضيق [1] •

هذا وان كانت الصفة الرئيسية للاقتصاد الفلسطينى قائمة على الزراعة ولكـن الصناعة التى نشأت فيها لا يستهان بها بالنسبة للبلاد المجاورة [2] •

**التجـــــارة :**

كان لموقع فلسطين المتوسط بين ثلاث قارات أثر فى نشاط التجارة فيها منـذ أقدم الازمنة وكانت تصل اليها البضائع من الشرق الاقصى ومن مصر والحبشـة لتنقل منها الى أوروبة وقد كانت القوافل العربية القادمة من اليمن والجزيـرة العربية تلتقى فى غزة منذ الاف السنين [3] •

وكان ميناء حيفة وعكة ملتقى قوافل الشرق ومنهما تنطلق السفن محملة بالبضائـع المختلفه الى موانى البحر المتوسط وقد كان لتجار حيفة وعكة وكلاء فى فرنسـة وايطالية واسبانية واليونان وكان التجار الاجانب من أيطاليين ويونانـيين مسيطرين على التجـارة الخارجية بفضل الامتيازات التى كانت تمنح لحكوماتهم

---

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٣ ـ ٥٠ •

(٢) مجلة الطريق ج ١٦ ص ٢١ •

(٣) التعليم والتحديث فى فلسطين ص ٣٥ •

الى أن صدر القرار السلطاني لعام ١٨٥٦ والذى قبل وصاية الدول الاوروبية على الاقليات المسيحية فى الشرق [١] ومنحهم بعض الامتيازات فأقبل المسيحيون الوطنيون على التجارة الخارجية وساعدهم على ذلك انتشار العلم عن طريق الارساليات الاجنبية واتقانهم للغات الاوروبية • كما أن الضغط الاوروبى على الدولة العثمانية جعلها تقبل برسوم جمركية زهيدة وقد استغل موظفوا القنصليات الاجنبية من الوطنيين فى المدن العثمانية والشرق عامة وكلهم من المسيحين وظائفهم لاستيراد بضائع بأسم القنصلية وبيعها بأسمهم وذلك تهربا من دفع رسوم الجمرك أو الاسراع فى ادخال السلع دون دفع رشوة وزاد من شراء التجار المسيحيين اهتمام مصانع الحرير فى مدينة ليون بالانتاج اللبنانى السورى عامة خصوصا ما بين ١٨٤٥ — ١٨٨٠ فكانوا هم الوسطاء لتصدير هذا الانتاج ومن خلال احتكاكهم بالاسواق الاوروبية وقد انشأت بعض الارساليات المسيحية خصوصا الفرنسية صفوفا لدراسة العلوم التجارية •
فقد استفاد عدد كبير من العائلات المسيحية من الظروف المواتية التى مكنتها من الدخول فى جميع المجالات الاقتصادية الممكنة [٢] •

هذا وقد كانت الحمضيات تشكل ٧٠٪ من صادرات فلسطين وهى عماد الاقتصاد الفلسطينى ثم الصابون والبطيخ والشمير والذرة والسمسم • أما الواردات فهى المنسوجات والالات والمأجولات • والمأكولات

**التجارة الداخلية :**

بين المدن والقرى حيث كانت تقام أسواق أسبوعية مثل سوق الاثنين فى اللد وسوق الاربعاء فى الرملة وبيسان وسوق الخميس فى المجدل وغيرها [٣] •

---

(٢) التعليم والتحديث فى المجتمع العربى الفلسطينى ج ١ ص ٣٦ — ٣٧ •
(٣) تاريخ فلسطين ص ٢٦٠ •

## طـرق المواصـلات :

يوجد فى فلسطين مختلف طرق المواصلات فالسكك الحديدية تمتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وهناك خطوط داخلية أخرى يبلغ طول هذه الخطوط ٥٨٣ كم وجميع هذه الخطوط أنشئت فى العهد التركى وفى عهد الانتداب البريطانى لم يزد أى شىء وهناك موانئ مهمة فى حيفة ويافة وغزة وكان فى فلسطين ثلاثة مطارات هى مطار اللد ومطار غزة ومطار قلنديه فى القدس •

## الاقتصاد الفلسطينى قبل الاحتلال الانجليزى :

كانت فلسطين معرضا تجاريا لسلع وبضائع دول أوروبية شأنها شأن باقى البلاد العثمانية فقد كانت المعارض التجارية المتجولة تطوف بالموانى تعرض المصنوعات الغربية بأنواعها[1] وكانت التجارة مقيدة بسلاسل الامتيازات الاجنبية ومغلولة بأغلال المذاهب الدينية التى كانت مدعاة للتدخل الأجنبى فى شؤون الدولة العثمانية وكان أصحاب المذاهب الدينية يتمتعون بامتيازات كثيرة ويعفون من دفع بعض الضرائب فى حين أن المتوطن[2] العثمانى المسلم تقع على كاهله ميزانية الدولة العثمانية كلها فقد شاهد عالم الاثار لورتيت نفسه كيف أن أحد المشرفين على أملاك آل سرسق قرب الناصرة يهدم بمساعدة الجند بيت أحد الفلاحين لأنه لم يستطع دفع الديون الى صاحب الأرض كما ألقى القبض على الفلاح وتركت اسرته فى العراء وعلى الرغم من أن أكثر هذه الحوادث جرى فى حوالى سنة ١٨٨٠ ظلت هذه الحالة كما هى حتى الحرب العالمية الاولى[3] وقد ادى هذا الوضع الى العجز عن السيطرة على اقتصاد البلاد بشكل عام وفلسطين بشكل خاص لكثرة المذاهب الدينية وللأطماع الاستعمارية المركزة فيها لموقعها الاستراتيجى والدينى الذى افادها تقديسا من الاديان الثلاثة •

---

(١) مجلة النفائس العصرية ج ٤ مجلد ٢ ١٩١٠ ص ٢٤٢ — ٢٤٤

(٢) توطنه : اتخذه وطنا • أما وطنه فمعناه : واقفه على الامر • والاولى وافقه ادق فى المعنى المراد • د • عبد السلام سرحان •

(٣) نقلا عن كتاب التعليم والتحديث فى فلسطين ص ٥٣ بتصرف

ومن مظاهر هذا العجز انها كانت غير قادرة على نشر نقودها فى مملكتهــا من توحيدها وترويجها بسعرها القانونى • لذا أخذ كل بلد يتداولهــا كما يريد وتفاوتت الاسعار وتعددت الموازين واختلفت المكاييل •

فالمسافر الذى يزور فلسطين يحتاج الى درس طويل واختبار كبير لمعرفة النقـد وأسعاره وفهم الموزونات والمكيلات •• فكيف به اذا ساح فى جميع الاقطـــار العثمانية(١) فاذا كانت الفوضى قد بلغت هذه الدرجة فى الموازين والمكاييـل والاسعار •• فكيف تكون الحالة بالنسبة للجوانب الاقتصادية الاكثر أهميـــة ؟ أضف الى هذا أن الضرائب كانت تجبى بالمزاد العلنى مما يعطى الوالـــى التركى فى المدينة وأمراء الاقطاع فى القرعة الحرية فى استرداد ما دفعوه مـن اتاوات للحكومة من الفلاحين وزيادة •••

الحرية

وتصور كتب الرحالة أولينفت ماسى حالة الفلاحين فى العقدين الثامن والتاسع من القرن التاسع عشر أدق تصوير فقد حدثه الاهالى عن فقرهم الزائد وشاهـد هو نفسه نفوذ الملتزمين واضطهادهم للفلاحين وتآمر شيوخ القرية مع المـلتزم فى افقار القرويين وسلب الارض منهم مع اعطاء الشيخ حصة منها(٢) •

والرحالة أوليفنت أرسلته وزارة الخارجية البريطانية لدراسة امكان استيطـــان اليهود فى فلسطين فدعا بحماس لهذا التوطين على الرغم من تقديره للفلاحين العرب الا أن النظرة الاستعمارية أوحت له بامكان الاستفادة من هذه اليـــد العاملة فى المزارع المقبلة وأما العشائر النصف الحضرية فيمكن عزلها كما حصـل فى الولايات المتحدة وكنــدا(٣) •

---

(١) تاريخ فلسطين ص ٢٥٧ — ٢٦٠



**الاقتصاد الفلسطيني بعد الاحتلال الانجليزى :**

لقد تبدلت الأحوال فى فلسطين بعد احتلال الانجليز ونشطت الصناعة نشاطاملحوظا وتركزت بأيدى عدد قليل من أصحاب رؤس الاموال لأنها اتجهت نحو الاحتكار وتركز الثروة وقد أصبحت نسبة عدد المشروعات الصناعية الكبيرة فى فلسطين عام ١٩٣٧ ، ٧ر٢٧٪ من مجموع الصناعات ونسبة المشروعات الصناعية الصغيرة ٣ر٧٢ ٪ ونسبة عدد العمال المشتغلين بالصناعات الكبيرة ٧٣٪ وفى الصغيرة ٢٧٪ وقد بلغ عدد المؤسسات الصناعية فى فلسطين عام ١٩٢٩ ( ٢٤٧٥ ) مؤسسة وزاد العدد الى ( ٥٦٠٦ ) عام ١٩٣٧ وتضاعف رأس المال الى خمسة أمثال وتضاعف الانتاج الى أربعة أمثال •

وقد أصبحت فلسطين مركزا لتوظيف رؤس الاموال الاجنبية وأنشئت عدة بنوك منها البنك الانجليزى الفلسطيني والبنك الصناعى وبنك العمل •

وقد كانت تشترط هذه البنوك الاشراف على المؤسسات الصناعية لاجل مدها بالقروض اللازمة •

وبعد الحرب العالمية الثانية أنشئت مصفاة البترول فى حيفا وقد تحسن الاقتصاد فى اثناء الحرب الثانية نتيجة لاختفاء أملاح البوتاس التى تصنع منها المفرقعات فتضاعف دخل الفلسطينين منه وارتفع سعره الى أربعة أمثال[1] •

وكان نصيب العرب من هذه الصناعات قليلا فنسبة المشتغليين فى صناعة الصابون العربية ٥ ٪ من السكان وقد كانت السياسة البريطانية تتجه الى دعم الصناعات اليهودية عن طريق تهيئة الظروف الصعبة أمام الصناعات العربية[2] وقد بلغت أرباح شركة ( تنوفا ) التى كانت تحتكر الاتجار فى المنتوجات الزراعية فى المنطقة اليهودية مليونا من الجنيهات الفلسطينية وقد كانت الصناعات الفلسطينية تقع تحت السيطرة الملكية للرأسمال الاجنبى •

فقد كانت شركة بوتاس فلسطين انجليزية ومالكة لشركة فلسطين للكهرباء ، وكان الاشراف على مالية البلاد من عدة شركات بنكية معظمها انجليزية وكان المسيطر

---

(١) مجلة الطريق مجلد جـ ١٩ ص ٤٠٣

(٢) مجلة الطريق مجلد ٥ جـ ٤ ص ٢٦ — ٢٧ •

الفعلى على تداول النقد فى فلسطين هو ( بنك باركليز ) فى لنـــدن (١) .

ولكن هذه النهضة الاقتصادية لم تستفد منها البلاد كثيرا لانها كانت موجهة لخدمة القضية الصهيونية من أولها ومن جهة أخرى كانت استثمارا انجلــيزيا لأجل الربح وليس لانعاش البلاد وتقدمها اذ أن البلاد لم تكن سير علـــى سياسة اقتصادية سليمة " ..... اذ أن دخول السلع الحديثة سوق فلسطين وتقبل الناس لهذه السلع وما نتج عنه من تغيير فى الاستهلاك أجبر العـديد من المصانع على اقفال أبوابها وترك العديد من الحرفيين لعملهم ، كمـــا ان السياسة الاقتصادية الاستعمارية أقفلت أبواب الأسواق العربية المجـاورة أمام الصناعة الفلسطينية التقلدية ويؤكد تقرير سبمسون هذا الوضع .

(( وفى الوقت ذاته كانت البطالة منتشرة بكثرة آنذاك بين الصناع العرب (٢) وتفاقمت الحال بعد ١٩٣٠ اذ بدأت العصابات الصهيونية بتشريد آلاف العمـــال العرب لتشغيل العمال اليهود مكانهم وأكثرهم من المهاجرين الجدد ونتج عن هذا الوضع انخفاض فى الاجور نتيجة المناقصة الكبيرة بين العمال ))

ولتكوين صورة واضحة عن الوضع من مصادر أصيلة يستحسن الاعتماد على تقرير سيمبسون عام ١٩٣٠ وشهادة جورج منصور أمام اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ .

يقول الخبير سيمبسون فى تقريره " أمام هذه المعلومات المستقاة من مصـادر مستقلة لا مناص لنا من الاستدلال بأن البطالة بين العرب فى الوقت الحاضـر أصبحت من المظاهر الخطرة فى حياة البلاد الاقتصادية ولقد عرض على أنـاس معلومات كثيرة من تلقاء أنفسهم عن حالة أجور العمال من العرب فظهر لـــى ان البطالة قد أثرت فى مستوى المعيشة وهذا أمر طبيعى بين العمال غــير المنظمين ويستدل من هذه المعلومات على أن أجرة الصناع الحاذقين والنجارين والنحاتين قد انخفضت نحو ٥٠٪ وأصبح الصانع الماهر يشتغل بـ ١٥ قرشـا الى ٢٠ قرشا فى اليوم اما العامل الفلاح فيقتنع بثمانية الى عشرة قروش وقـال لى حاكم مقاطعة القدس ان أسعار العطاءات لمناقصة بلدية القدس فى سـنة ١٩٣٠ كانت نصف أسعار سنة ١٩٢٩ وقد نجم هذا النقصان فى الأكثر عـــن

---

(١) مجلة الطريق مجلدة جزء ١٦ ص ٥ — ٦ = ٢١ — ٢٢

(٢) تقرير سمبسون ص ١٩٢

عن سقوط أجر العامل العربى ومن يسمع أقوال العمال العرب يتأثر لاحوالهم ويرثى لهم فقد كان كثيرون منهم فى الايام السالفة يتمتمون بقسط وافر من البحبوحة والرخاء فساءت أحوالهم فى السنوات الاخيره (١) .

اما شهادة النقابى جورج منصور فكانت دقيقة وشاملة تعطى صورة محزنة لوضع الطبقة العاملة الكادحة ، فقد جاء فى التقرير الذى قدمه :

" فقد قمنا باحصاء آخر فى شهر تشرين الثانى نوفمبر سنه ١٩٣٦ لالف عامل فى يافا لمعرفة معدل دخل العامل الشهرى فحصلنا على النتائج الاتية :—

٧٥٠ عاملا دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٧٥٠ر٢ جنيه
٢٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٢٥٠ر٤ جنيه
١٢٠ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٠٠٠ر٦ جنيه
٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٠٠٠ر١٢ جنيه
١٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٠٠٠ر١٥ جنيه

وقمنا باحصائيه اخرى لمعرفة نسبة المدينين فوجدنا أن ٩٥٪ من العمال مدينون . أما لأصحاب الاعمال أو لأصحاب الحوانيت .. وقد تساءلنا كيف يمكن للعامل أن يتدبر أمر معيشته على الرغم من ضآلة هذه الاجور فوجدنا أن الاسرة فيها عددا من الافراد المنتجين وهؤلاء جميعا يتعاونون فى الانفاق على البيت واذا كانت الاسرة خاوا من الافراد المنتجين فان ، المرأة وأطفالها يشتغلون خدما فى البيوت وأجرة المرأة الشهرية تبلغ من جنيه الى جنيهين والولد من ٢٥٠ مليم الى جنيه . أما تكاليف المعيشة فى يافا فغالية جدا وقد قدرت الحكومة النفقات التى تحتاجها الاسرة المتوسطة من عشرين مادة غذائية ضرورية فوجدت انها بلغت ٥ر٥ جنيهات واذا اضفنا الى هذه ثلاثة جنيهات للسكن وجنيها ونصفا للملبس وجنيهين للنفقات الاضافية ( التسلية / المرض / النقليات ) وجدنا الاسرة المتوسطة تحتاج الى ( ٠٠٠ر١١ جنيه ) على أقل تقدير وهذا يؤكد أن ٩٨ ٪ من طبقة العمال يعيشون فى حالة دون الوسط بكثير وهذا الرقم يفسر أيضا السبب فى اتخاذ العمال السراديب والتخاشيب

---

(١) تقرير سيمبسون ص ١٩٤

مسكناً لهم والاكتفاء بالمواد الغذائية الفقيرة طعاما لهم [١] .

ولابد من القول أنه منذ اليوم الذى وضعت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطانى انتهجت البلاد سياسة اقتصادية واجتماعية يمكنها من تطبيق نصوص وعد بلفور التى تلزم الدولة المنتدبة بوضع فلسطين فى " احوال تمكنها من أقامة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وكانت اولى تلك المحاولات أن عينت " هربرت صموئيل " مندوبا ساميا لبريطانية فى فلسطين وهو أحد زعماء الصهيونية فى بريطانية . وتحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة التى كانت تعيشها البلاد أمرت الحكومة بتكوين " لجنة لدراسة أحوال المزارعين الاقتصادية فى فلسطين . لتقدم تقريرها السنوى الى جامعة الامم [٢] برياسة و . ج . جونسون . ل . أندروز مفتش منطقة نابلس و . أ ت . ليز مفتش منطقة حيفة وغيرهم من كبار الموظفين الانجليز فى فلسطين . وقد نشر الاعلان عن اللجنة فى الجريدة الرسمية عدد ٢٥٨ المؤرخ فى " ايار سنه ١٩٣٠ [٣] وقد تجولت اللجنة فى مختلف انحاء فلسطين وأقامت دراستها على القرى المذكورة فى احصاء ١٩٢٢ وعددها ٨٤٤ قرية وقد ورد فى ذلك الاحصاء أن عدد سكان فلسطين يبلغ ٧٥٧١٨٢ نسمة منهم ٣٨٩٥٣٤ من سكان القرى عدا مناطق العشائر وتبين اللجنة أن معدل الزيادة السكانية فى الريف بلغت $\frac{1}{3}$ ٣٣٪ [٤] .

---

(١) الشهادات الاساسية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين ص ٢٨٧ ـ ٣٠٢

(٢) النظام الاقتصادى فى فلسطين سعيد حماده المقدمة

(٣) حكومة فلسطين تقرير اللجنه التى عينت لدرس حالة المزارعين الاقتصادية فى فلسطين والتدابير التى تتخذها الحكومة بشأن الضرائب بالنسبة لتلك الحالة ص أ

(٤) المصدر السابق ص ع .

ونحن لايمكننا فى هذا المقام ان نفصل ما أوردته اللجنه من مختلف التقارير عن أحوال المزارعين فى الريف الفلسطينى ولذلك نكتفى بالاشارة الى التقارير التى تبين المعوقات القائمة فى طريق تقدم المزارع الفلسطينى وأهمها الضرائب الفاحشة ونظام ملكية الأراضى ثم اهمال الدولة للمزارع من حيث تقديم القروض اليه أو ارشاده للزراعة الحديثة ، والمنافسة الأجنبية لمحاصيله وقد ختمت اللجنه تقريرها بتوصيات أهمها :-

أ : على الحكومة أن تعمد الى القيام بتجارب زراعية على مرأى من المزارعين تدرب القرويين على اتباع أساليب زراعية أفضل من التى يتبعونها الآن وأن تعين هيئة استشارية لايجاد الأسواق يعهد اليها باسداء النصح والمشورة للمزارع بشأن تصريف حاصلاته وبيعها •

ب : وجوب تأسيس هيئات تعاون فى القرى يعهد اليها بأصدار قروض زراعية وبعد ئذ شراء اللوازم الزراعية وتحسين الزراعة فى القرى وايجاد أسواق للحاصلات وتعيين خبير لاسداء النصح للحكومة بشأن الطرق التى تؤدى الى تحقيق هذه الغاية •

ج : التخفيف قليلا عن دافعى الضرائب فى الأرياف اعتبارا من أول شهر كانون الثانى سنه ١٩٣٠ بتنزيل ضريبة العشر ال ٧ ١/٢ وبرفع ضريبة الأملاك فى المدن لتلافى هذا النقص •

د : على الحكومة أن ترصد فى سنة ١٩٣٠ مائة ألف جنيه فلسطينى لتوزيع قروض قصيرة الأجل على صغار المزارعين لتمكنهم من زراعة أراضيهم فى الموسم المقبل (١) •

هذا بعض ما أوردته اللجنه بخصوص المزارع العربى فى فلسطين • ويجدر بنا أن نذكر ما أوردته اللجنه بخصوص المزارع اليهودى لتكون الصورة الاقتصادية شاملة •

ذكرت اللجنه تحت عنوان حالة المزارع اليهودية المالية قبل ١٩٢٩ :

---

(١) تقرير اللجنه ص ٢٥ — ٣١ • بتصرف

و ٠٠٠٠٠٠٠ ومن رأينا على العموم أن الدخل الاجماعى للمزارع اليهودى هو تقريبا ضعف المزارع العربى من أرض بنفس المساحة ومن الجهة الأخرى نجد أن ما ينفقه على الانتاج وعلى معيشته يزيد كثيرا على ماينفقه المزارع العربى وبالتالى نرى المزارع اليهودى ملزما بايجاد مبلغ كبير من المال لتحسين أرضه ولدفع فائدة القروض التى استدانها ثم ان الزراعة اليهودية منظمة تنظيما جيدا كما أن لدى المزارع اليهودى طرق عديدة — للاستقراض ولهذا نرى حالة المزارع اليهودى ميسورة ولديه العدد والأدوات الزراعية لتحسين زراعته أكثرهما هى ميسورة لدى المزارع العربى ومستوى معيشته أرفع وهو يتمتع بوسائل اجتماعية وثقافية مجهولة لدى المزارع العربى[1] " (١) .

وبالايجار

## عبء الضرائب على المزارع اليهودى :

جاء فى تقرير اللجنة " ٠٠٠٠ فان مايدفعه المزارع اليهودى من الضرائب بالنسبة الى دخله الصافى أقل مما يدفعه المزارع العربى بالنسبة الى دخله الصافى وهذا رأى مزارعى اليهود فى المستعمرات يؤيد هذه النظرية فقد أفهموا اللجنة أنهم لايعدون الضرائب نبذة مهمة من نفقاتهم بالنسبة لغيرهم "(٢)

## حالة المزارع اليهودى المالية فى الوقت الحاضر :

" لامندوحة لنا عن القول بأن المزارع اليهودى كالمزارع العربى قد عانى من هبوط أسعار الحاصلات فى المدة الاخيرة ومع ذلك قيل فى احدى المستعمرات ان هبوط الأسعار عاد بالفائدة وليس بالضرر على المزارعين ذلك لان أسعار الحاجيات الأخرى هبطت أيضا وأصبح فى وسع المزارع أن يحسن مستوى معيشته مع هبوط قيمه حاصلاته .

مثال ذلك متى ارتفع ثمن البيض يشعر المزارع أنه مضطر الى بيعه جميعه أما متى كانت رخيصة فانه يبقيها له ولأسرته " (١٤)

أقول هذا صحيح بالنسبة للمزارع اليهودى لأنه يجد الوكالة اليهوديه تسدد له نفقات معيشته الأخرى متى احتاج لذلك فانه يغتبط بهبوط " الأسعار لأن الحاصلات ستكون من نصيبه ونصيب عياله أما المزارع العربى فليس له مورد آخر سوى حاصلاته .

كما أرسلت الحكومة الانجليزية أيضا الى فلسطين لجنه للبحث فى تشكيلات ادارة فلسطين وفى الطرق التى تؤ من زيادة الواردات ونقص النفقات . فكتب الأستاذ محمد

(١) تقرير اللجنه التى عينت لدراسة حالة المزارعين الاقتصادية فى فلسطين ص ٦٩
(٢) تقرير اللجنه ص ٧٠ . أقول لانه ليست الضريبة بحد ذاتها هى العبء بل

عزة دروزة عدة مقالات جريدة الجامعه العربية ثم جمعها فى رسالة واحده تحت عنوان " كتاب مفتوح الى اللجنة المالية الانجليزية " وقد نوه فى مقدمة الكتاب بالآمال المعلقة على اللجنه منبها الى الضرائب الفاحشة التى يدفعها المكلف الفلسطينى والتى هى أكثر من ٦٠ ٪ من الانتاج العام طالبا موازنة الوضع المالى فى سورية ولبنان لتشابه الظروف السياسية والاجتماعية والمعيشية والعمرانية مع غض النظر عما فى سورية من أرض واسعة ومدن كبرى مما يجعلها أقوى اقتصادا ، من فلسطين ثم يدعو الى المقايسة بين ما هو موجود فى فلسطين وما هو موجود فى سورية ولبنان من تشكيلات ومرتبات ونفقات وايرادات وضرائب وسكان وثروة وانتاج .

## مقايسة بين ميزانيات سورية ولبنان وفلسطين :

يقول الأستاذ دروزة " ...... وأريد أن أقدم بعض نماذج لترى — اى اللجنة — كم أن الفلسطنيين معذورون حينما يعتقدون أنهم مظلومون جدا دون اخوانهم فى سورية ولبنان وأن أعباءهم المالية أشد جدا من أعباء أولئك الاخوان ..... أريد أن أقول ان عدد سكان لبنان حسب آخر احصاء ٨٢٥٫٠٠٠ نسمة تقريبا وسوريه ١٫٦٣٠٫٠٠٠ نسمة تقريبا وفلسطين ٨١٦٫٠٦٤ نسمة تقريبا كما جاء فى الكتاب الأزرق سنه ١٩٢٩ عدا البدو الرحل والى هنا نرى أن عدد سكان فلسطين يتقارب مع عدد سكان لبنان .

ان اعتمادات نفقات الحكومة اللبنانية ١٩٢٩ ( ١٫٠١٤٫٧٨٤ ) جنيه فلسطينى ، واعتمادات الحكومة السورية ١٩٢٩ ( ١٫٨٠٨٫٥٢٢ ) جنيه فلسطينى .

واعتمادات نفقات حكومة فلسطين ١٩٢٩ ( ٢٫٧٨٣٫٦٤٦ ) جنيه فلسطينى . واذا أنزلنا من هذا الرقم اعتمادات السكك الحديد التى ليس لها مقابل فى ميزانية لبنان وسورية والبالغة ( ٣٩٢٫١٩٢ ) وكذلك دائرة المكوس والجمارك ( ٦٦٫٨٠٤ ) فان الصافى لاعتماد حكومة فلسطين عام ١٩٢٩ هو ( ٢٫٣٢٤٫٦٥٠ ) جنيه فلسطينى أى أكثر من اعتمادات حكومة لبنان وأكثر من اعتمادات حكومة سورية التى سكانها ضعف سكان فلسطين بنسبة ١٣٠٪ للبنان و ١٢٩ ٪ لسورية ومضاعفة هذه

---

مقدار دخل المزارع هو الصحيح فان اسرائيل اليوم تتقاضى ٧٥٪ من الايراد العام كضرائب ومع هذا فان مستوى المعيشة فى اسرائيل مرتفع جدا .

(٢) تقرير اللجنه ص ٧١ .

النسبة لتضاعف السكان تصبح ٢٥٨٪ واظن أن هذه المقاييس اليسيرة كافية لتصوير الظلم الذى كان يقع على أهل فلسطين من جراء النفقات التى تتقاضاها منهم ادارة حكومتهم .(١)

أسباب الفروق بين نفقات سورية ولبنان وبين فلسطين :

أولا — رواتب الموظفين :

فى لبنان ٤٧ موظفا فرنسيا رواتبهم ٢٠ر٤٣٩ جنيه فلسطينى ١٩٢٩ وفى فلسطين ٢١٣ موظف انجليزى عدا الموظفين اليهود من الانجليز رواتبهم ١٦٠ الف جنيه فلسطينى عدا ميزانية المندوب السامى وموظفى دائرته مع التخصص الاضافى مبلغ ٨٧٤٠ جنيه فلسطينى فيكون مجموع مايتقاضاه الموظفون الانجليز الكبار ١٧٠ الف جنيه فلسطينى تقريبا فتكون نسبة الموظفين الانجليز فى فلسطين الى مايوجد فى لبنان ٤٥٣٪ والى مايوجد فى سورية ٢١٥ ٪ .

واذا ضاعفنا النسبة تصبح ٤٣٠٪ .. أى .. ان راتب أعلى قاضى فرنسى فى سورية ١٠١٤ جنيه فرنسى وهو أعلى راتب يتقاضاه موظف فرنساوى فى سوريه ولبنان على الاطلاق وأعلى راتب يتقاضاه قاضى فرنساوى فى لبنان هو ٦٣٧ جنيه فلسطينى بينما راتب أعلى قاضى انجليزى فى فلسطين ١٦٠٠ جنيه فلسطينى وفى مصلحة الأملاك والاراضى راتب أعلى موظف فى سورية ٦٧٣ جنيه وفى لبنان ٧٢٣ جنيه وفى فلسطين ١٤٠٠ جنيه(٢) وهكذا يستمر الاستاذ دروزة فى سرد فروق الراتب بين سورية وفلسطين ولبنان ثم يقول الاستاذ دروزة .

" ويمكنك أن تقيس رواتب الموظفين الآخرين بهذا المقياس طبعا واحب أن يلاحظ القارئ اننى ذكرت الرواتب مجردة عن العلاوات وبدلات السكن وبدلات الاغتراب وعليه أن يقدرها مايتقاضاه الانجليزى والفرنسى من ذلك بحسب مايوجد بين رواتبهم من فرق عظيم ويكفى ان اذكر مثلا واحدا على هذه العلاوات وهو ان السكرتير العام لفلسطين الذى يتقاضى ١٦٠٠ جنيه فلسطينى يتناول ايضا ١٢٤٧ جنيه باسم بدل اغتراب بينما لايوجد الا شئ زهيد جدا فى ميزانيتى لبنان وسورية يصرف علاوات للموظفين الفرنسيين ، مثلا تعويض سكنى لرئيس محكمة ١٠٣٣ ليرة سورية وتعويضات أسرية ٩٨٣ ليرة لخمسة قضاة فرنساويين فى ميزانية

---

(١) كتاب مفتوح الى اللجنه المالية الانجليزية ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨ — ١٠ .

١٩٢٩ وكذلك يلاحظ أن دائرة المفوض السامى الفرنساوى فى سورية ولبنان ومايتبعهما من تشكيلات خاصة به وبوكلاء أو مندوبين له خارج بيروت التى هى المفوضية يتقاضى مخصصاتها من ميزانية الدولة الفرنساوية لا من خزانه الحكومة الوطنية بينما تدفع مالية فلسطين كل شئ لكل موظف انجليزى سواء فى ذلك دائرة المندوب السامى أو غيرها من الدوائر . (١)

وبعد أن يوازن الأستاذ دروزة مديرى الناحية والقائمقامية والأطباء وغيرهم بين فلسطين وسورية ولبنان يقول : الموازنة مع

" وأظن أن هذه الأمثلة تكفينا مئونه موازية ذكر أمثلة ومقايسات أخرى للدوائر الأخرى فان مقايسة الرواتب والدرجات فى كل دائرة من دوائر فلسطين مع مثيلاتها من دوائر سورية ولبنان تؤدى بنا الى النتيجة نفسها وهى أن رواتب فلسطين مع لحقاتها مرة ونصف مرة ومرتين ونصف مرة أحيانا على مثيلها التى فى درجتها فى سورية ولبنان ثم يستمر الأستاذ دروزة فى عمل مقايسات بين لبنان وسورية وفلسطين فى تشكيل الحكومة وعن موظفيها وفى الأمن العام ونفقاتها الفاحشة موازنا بين رواتب الانجليز والفلسطنين ممن هم فى الرتبه نفسها وكذلك سائر دوائر الحكومة ثم تطرق الى عجز البلاد المالى وأن هذا العجز يسدد من الضرائب الفاحشة التى يدفعها الشعب دوازن بين سعر الحاجيات فى فلسطين وسورية ولبنان وكذلك رسوم المحاكم الفلسطينية والسورية واللبنانية ثم يوضح الأستاذ دروزة فى خاتمة التقرير مغالطة الانجليز عندما يواجهون بهذه الحقائق حيث ان الضرائب قد وصلت الى ٦٠٪ من انتاج البلاد وهم يقولون ان النسبة نفسها تؤخذ أيضا من الانجليز فى بريطانية بل وزيادة وعلى حد المثل " من ساواك بنفسه ماظلم " يقول الأستاذ دروزة " ان هذه الحجة مغالطة اذ أن فلسطين يجب أن تقاس بأمثالها من حيث الظروف والثروة والمقدرة على الانتاج مثل سورية ولبنان .

وزانه

أما جزر بريطانية فانها تجنى لها خيرات امبراطورية تبلغ ٤٠٠ مليون نسمة وفيها من المصانع والمعامل والمشاريع ما يغذى أسواق هذه الامبراطورية العظيمة وهناك فرق بين انسان يكسب الفى جنيه فيدفع مائتين والفى جنيه ويبقى له ٨٠٠ جنيه تقوم باود وزيادة وبين رجل يكسب أربعين فيدفع منها ٢٤ ويبقى له ١٦ ! جنيه لا تكاد تبلغ كلفة قوته علما بأن أكثر الشعب وهو أسر العمال والمزارعين لا يزيد معدل كسبها عن ٣٠ جنيه او ٢٠ جنيه فاخذ ٦٠٪ من هذا الكسب الزهيد

١ لأ

(١) المصدر السابق ص ١٠ — ١١ بتصرف

هو فى منتهى الظلم والقسوة التى لا تجيزها اى عاطفة انسانية[1] .

اقول ومن خلال هذه الظروف الاقتصادية الصعبة خطط الانجليز واليهود لامتلاك الاراضى الفلسطينية فقد كتب أوسيشكين وهو من زعماء اليهود فى احدى مجلاتهم عن افتداء اليهود للاراضى المقدسة فقال :ـ

" .... فأن لم نستملك نحن ايضا اراضى فلسطين ونستثمرها بأنشاء القرى فلا أمل فى أن نجعل فلسطين وطنا لنا وستبقى عربية وليس صعبا على اليهود عاجلا او آجلا أن يحتكروا التجارة والصناعة والتعليم أما امتلاك الاراضى فليس فى وسعنا انما هو منوط بالبائع ... اننا نرى العرب قد انتهى فكرهم الى صالحهم واصبحوا يشعرون بكيانهم ومن ثم نحسب كل تأخير فى امتلاك الاراضى الفلسطينيه جرما لا يغتفر ، ان مساحة الارض فى فلسطين تبلغ عشرين مليون من الدونمات للحكومة ٣٠ ٪ ، ٣٥ ٪ املاك الفلاحين ، ٣٥ ٪ للملاكين الاغنياء اما منا اذن فئة الافندية والاغنياء الذين لا يأبون بيع املاكهم ان وجدوا ربحا فى بيعها وغايتنا خاصة امتلاك سهل أسدرلون " مرج ابن عامر " وساحل البحر والبلاد الممتدة بين يافا والقدس من هؤلاء الافندية[2] .

من هنا يظهر لنا ان مستقبل الاراضى الفلسطينية كان بأيدى الانجليز وكبار الملاكين وقد تسربت أملاك الحكومة وأملاك الافندية من العرب خارج فلسطين أمثال سرسق والجميل وغيرهم الى اليهود واشتروا ارض الناصرة من الحكومة[3] .

اما كيفية انتقال هذه الاراضى الى سرسق والجميل وغيرهم من العائلات النصرانية فهى فى منتهى الغرابة .

---

(١) كتاب مفتوح الى الحكومة الانجليزية ص ٢٦ — ٢٧ بتصرف

(٢) نقلا عن مجلة المشرق عدد ٢ ص ٢٧ سنة ٢٣ شباط ١٩٢٥

(٣) تاريخ الناصرة ص ٩٧

حدثنى الشيخ طه المولى المستشار الصحفى والثقافى لسفارة تشاد فى بيروت فى ١٣ /١/ ١٩٧٥ فقال :ـ

" وذلك ان الدولة العثمانية منذ ان بدأت الدول الغربية فى التسلط عليها وحماية الاقليات الدينية فيها حتى أن هذه الاقليات كانت تعفى من دفع الضرائب وعند ما كان يأتى محصل الضرائب لأخذ حق الدولة من المحصول الزراعى كان الفلاحون يتهربون من دفع هذه الضرائب بادعاء أن هذه الاراضى ليست ملكهم وهى ملك سرسق مثلا وما هم الا فلاحون لخدمة الارض كان الموظف المختص يسجل هذا فى سجلاته حتى عرفت هذه الأراضى أنها ملك لهذه الاسر بصفة رسمية عند الدولة ولما خضعت فلسطين للاحتلال الانجليزى انتقلت هذه السجلات والقيود اليهم ولما بدأت المنظمات اليهودية فى امتلاك الاراضى لتكوين مستعمرات لتثبيت أقدامهم توجهوا الى هذه الاسر فى لبنان والتى فوجئت بأن لها أراضى واسعة فى فلسطين وتم البيع فما كان من الانجليز الا أن طردوا هؤلاء الفلاحين الأبرياء من أراضيهم التى فوجئوا أيضا ببيعها وليس لهم ذنب الا سذاجتهم " .

ويخبرنا أوليفانت فى أحد كتبه أن بيت سرسق اشتروا عام ١٨٧٢ مرج ابن عامر بسعر ١٨ الف جنيه ولم يدخل صندوق الدولة العثمانية الا ستة آلاف جنيه بسبب الرشوة والسرقة وقدر دخل هذه الاسرة السنوى من السهل وعن طريق استغلال الفلاحين ٢٠ الف جنيه وقد اشترى هذا السهل الصندوق القومى اليهودى فى اوائل العقد الثالث من القرن الحالى (١) .

وهناك بعض التجار الذين استغلوا الدعوة القومية والاصلاحية فى سبيل أطماعهم ولو دققنا النظر فى أسماء أعضاء الجمعية الاصلاحية فى بيروت عام ١٩١٣ ، لوجدنا بينها أكثر التجار الكبار الذين أدوا أدوارا كبيرا فى الصفقات التجارية والمالية وكانت تد الحث فى طلب اللامركزية واحلال اللغة العربيه محل اللغة التركية .

---

(١) نقلا عن التعليم والتحديث ص ٣٧

بل ان بعض رجال الجمعية العمومية مثل سليم على سلام ومختار بيهم وآخرين استغلوا ايجابية الاتحاديين فى الاستانة نحو مطالبهم بالحصول على التزام تجفيف مستنقعات الحولة ومساحتها ٥٠ ألف دونم وبعد الحرب طلب سليم سلام من الأمير فيصل التدخل - خلال اقامته فى لندن - لدى الحكومة البريطانية لتثبيت هذا الالتزام وتنازل فى ١٩٣٤ للصندوق القومى اليهودى مقابل مبلغ جسيم (١) .

وقد حدثنى الشيخ طه الولى المستشار الصحفى لسفارة تشاد فى بيروت بأن السيد سليم سلام لما عرض عليه الصندوق القومى اليهودى شراء أراضى الحولة بمبلغ مئة ألف ليرة اتصل بالمرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وزعيم نضالها لأجل شراء الأراضى فاجابه المرحوم الحسينى بأن هذه الارض ليست ملكا له لانه لم يشترها بماله ولم يرثها عن آبائه وأضاف الى ذلك ان صندوق الجهاد الفلسطينى لا يملك هذا المبلغ ولكن الصفقه تمت مع الصندوق القومى اليهودى (٢).

فى مثل هذه الظروف الاقتصادية فى فلسطين عاش الشيخ يوسف النبهانى وسوف نرى أن هذه الظروف قد أثرت فى مسارات حياته وفى تكوين شخصيته .

---

(١) القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ج ١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المقابلة تمت فى بيروت فى ١٣ / ١ / ١٩٧٥

# ( الباب الاول )

## عصـــــره وبيئتـــــه

### الفصـــل الثالــث :

#### الحـــياة الثقافيـــــة :ـ

عاش الشيخ النبهانى زمن الخلافة العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى النصف الاول منه كانت البلاد العربية التابعة للخلافة تعيش أضعف عصورها الثقافية • والى هذا يشير الاستاذ بطرس البستانى يصف حال الثقافة فى زمانه سنه ١٨٥٩ وما قبلها فى أسلوب تهكمى حيث يقول :ـ

" لو كلفت الوقوف امام سيادتكم لاجل الكلام عن هذا الموضوع ـ الثقافة والتعليم ـ نحو ثلاثين سنة قبل الان لكنت أخجل •• لاننى حينئذ كنت التزم أن أجول فى أسواق هذه المدينة ـ حتى لا أقول فى كامل البلاد التى كانت فى الأزمان السابقة مرضعة للاداب وسريرا للتمدن ـ وأفتش باجتهاد على من يقدر أن يقرا مكتوبا أو كما يقال يفك الاسم " ثم يقول " وأما الآن فانه يوجد أمور كثيرة تقوى أمالنا فى المستقبل ومع أننا مديونون فى أكثر هذه الأمور للغرب ، يمكننا أن نرفع رؤوسنا بما وجد عندنا من الثقافة مع قطع النظر عن مصدرها "(١) .

وفى هذا القول دلالة على مدى الجهل الذى وصلت اليه هذه البلاد وفيها أشارة الى مطلع نهضة ثقافيه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع الاشارة الى مصدر هذه النهضة التى كان من بواعثها :ـ

**أولا : التعليم :**

كان التعليم فى الدولة العثمانية فى أواخر القرن الثامن عشر يكاد يكون دينيا فهناك معاهد دينية يتعلم فيها الصغار ومعاهد أخرى للكبار وكان بعضها ملحقا بالمساجد وبعضها مستقلا فى مبان مشيدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بها وكان أسلوب التعليم فيها قديما لم يتغير منذ عدة قرون بل تقهقر الى تعليم

(١) مجانى القرر لكتاب القرن التاسع عشر ص ٣٨

العلوم النقلية فقط ونتيجة للاحتكاك بالدول الاوروبية فى النصف الاخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر فقد تفتحت أنظار المفكرين الى عدم كفاية هذا النوع من التعليم اذا ما أرادت الدولة أن تواكب حضارة العصر .

ولعلى الضرورات الاجتماعية المتولدة عن هذا الاحتكاك هى التى أوحت بضرورة هذا التحديث فى التعليم " وليس الترتيب المنطقى " .

كما ان المفروض أن الهزائم العسكرية المتلاحقة التى منيت بها الدولة العثمانية أمام الجيوش الأوروبية جعلتها تفكر فى أسباب هذه الهزائم فوجد المفكرون أن السبب الاصلى يعود الى اختلاف نظمها وتغيير وسائلها عما فى البلاد الأوروبية مما حمل رجال الحكم على اقتباس هذه النظم والوسائل لجعل الجيش قادرا على الصمود أمام الجيوش الغربية الحديثة ولما كان تعليم الفنون العسكرية الحديثة تحتاج الى معرفة الكثير من علوم الرياضة والطبيعة وشىء غير قليل من مبادىء التاريخ والجغرافية نشطت هذه العلوم فى المدارس العسكرية أولا فأنشئت الاعدادية العسكرية ثم الرشيدية[1] العسكرية ليتمكن الطالب من التأهل بالعلوم الكافية ليلتحق بالمدارس العسكرية الاختصاصية التى تقوم مقام المدارس العليا التى كان مركزها عاصمة الدولة .

وقد أخذت البلاد العربية بنصيب وافر من هذه السياسة ولذلك رأينا الكثير من أبنائها يدرسون فى تلك المدارس العسكرية الاختصاصية فى العاصمة . أما المدارس التعليمية الحديثة " الملكية " التى لم تتسم بسمة عسكرية فلم تنشأ الا لتخريج الموظفين الذين تحتاجهم الدولة فى مختلف المصالح الحكومية .

هذه هى بواعث النهضة التعليمية الحديثة — بشكل عام — فى مختلف الولايات العثمانية ومنها فلسطين وينبغى التنبيه — هنا — الى أن التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية والعالية التى أنشأتها الدولة العثمانية فى البلاد العربية كان يجرى باللغة التركية بوجه عام وقواعد اللغة العربية كانت تدرس فى هذه المدارس بقدر ما كانت تدرس وكما كانت تدرس فى الولايات التركية لانها كانت من جملة

(١) أى الثانوية العسكرية

القواعد المستعملة فى التركية فكان لابد من معرفتها لفهم الآدب التركى واتقان الانشاء التركى " (١) ونظرا لان الرابطة التى تجمع الشعوب العثمانية هى الرابطة الدينية كانت سلطة الدولة وقوانينها موجهة الى المسلمين مباشرة أما الطوائف الأخرى فقد ضعفت سيطرة الدولة عليها فى المدة الأخيرة نتيجة لتدخل الدول الغربية فى شؤونها الخاصة حتى جعلت من هذه الطوائف مركزا لاطماعها أولا ثم وسيلة للتدخل الاستعمارى بحجة حمايتهم ثانيا .

## التعليم الطائفى فى الدولة العثمانية :-

يقول الاستاذ ساطع الحصرى " أن السياسة الداخلية التى كانت متبعة فى الدولة العثمانية تعد كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية - من غير المسلمين " جماعة قائمة بنفسها " فكانت تمنح تلك الجماعات أمتيازات خاصة فى كل ما يمت بصلة الى الشؤون الدينية والمذهبية وكان الرئيس الدينى - البطرق أو الأسقف أو المطران - يعد رئيسا للجماعة ويعمل بالاتفاق مع " مجلس ملى " خاص يتألف من فرعين : أحدهما " روحانى والثانى جسمانى " وكانت هذه المجالس الملية بمثابة السلطة الشرعية فى كل ما يتعلق بشؤون الكنائس والأديرة وفى كل ما يتعلق بالاحوال الشخصية وقد جعلت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فخولت جميع الطوائف المسيحية والاسرائيلية حق تأسيس المدارس وادارتها ايضا .

ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد خاصة تعليمية بها وتدير هذه المعاهد كما يروق لها . وكانت هذه المدارس الطائفية فى بادى الأمر من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تبدلت بعد ذلك بسرعة وتحولت الى " معاهد تعليمية عصرية " بكل معنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج

---

(١) حولية الثقافة العربية ساطع الحصرى ص ٧ - ٩

خاصة بها تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها ولا تمت بأية صلة الى مفاهيم المدارس الحكومية واتجاهاتها . وكثيرا ما كانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الاجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أو من المدارس العثمانية نفسها وذلك حسب العلائق الدينية أو المذهبية التى كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الاجنبية .

ولقد كانت الحقوق الممنوحة للجماعات فى أمر التعليم تشمل " لغة التعليم " أيضا فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها فكان للارمن أن يعلموا باللغة الأرمنية وللبلغار باللغة البلغارية ولذلك كان للمسيحيين العرب أن يعلموا باللغة العربية .

وهكذا نرى ان السياسة التى سارت عليها الدولة العثمانية فى هذا المضمار أدت الى نتائج غريبة جدا بالنسبة للبلاد العربية . فكان نظام الجماعات الذى ذكرناه خاصا بغير المسلمين فلم يتمتع المسلمون العرب بشىء من التنظيمات والامتيازات التى كان اخوانهم المسيحيون يتمتعون بها فى أمور المدارس والتعليم .

ولذلك انحصرت المعاهد التعليمية المفتوحة أمام هؤلاء فى المدارس الوقفية القديمة التى لم تنل أى حظ من الاصلاح وفى المدارس الرسمية التى كانت تعلم باللغة التركية فى حين أن اخوانهم المسيحيين كانوا قد كونوا جماعات منظمة بأسم القانون وأسسوا مدارس خاصة بهم وجعلوا اللغة العربية لغة التعليم فيها . ولهذا السبب انتشر التعليم العربى الحديث " بين المسيحيين قبل المسلمين ولهذا السبب أيضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا فى الولايات العربية فى العهد العثمانى مسيحيين على الرغم من قلة هؤلاء بالنسبة للمسلمين .

ومما يلفت النظر أن المدارس الاجنبية أيضا أثرت تأثيرا مماثلا لذلك فى هذا المضمار حيث انها أخذت تهتم باللغة العربية بغية اجتذاب أبناء الشعب من جهة وتسهيل التأثير فيهم من جهة اخرى . ومما انها كانت فى بادىء الأمر من نوع المدارس التبشيرية عامة التى — تأخذ طلابها من غير المسلمين بوجه عام وبذا ساعدت على انتشار التعليم العربى بين هؤلاء أكثر من انتشاره بين المسلمين وقد أدت المدارس الاجنبية فى العهد العثمانى — دورا خطيرا فى البلاد العربية حيث تأسست فى بادىء الامر على أيدى الارساليات الدينية وكانت كل واحدة من هذه الارساليات تعتمد على حماية دولة من الدول الأجنبية وتصبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم العلوم المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى غير أن تأثير هذه المدارس لم يكن ينحصر فى الطلاب الذين يتعلمون ويدرسون فيها بل كثيرا ما كان يتعدى ذلك الى ...

الجماعة نفسها (١) لأن هذه المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالكهنة والمعلمين والكتب المدرسية وكانت تواصل التأثير الى درجة ترجمة مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيها أيضا .

وهكذا أصبحت المدارس الأجنبية من الادوات السياسية الفعالة التى تستخدمها الدول لنشر لغتها فى البلاد وبسط نفوذها على الجماعات . وقد كانت فرنسة أنشط الدول فى هذا الباب فقد حسبت نفسها حامية الكاثوليك فأوفدت الى البلاد العربية كثيرا من الارساليات الكاثوليكية وأنشأت بوساطتها كثيرا من المدارس الفرنسية كما أنها أخذت تحمى وتساعد وتوجه المدارس التى تنشئها الطوائف الكاثوليكية وأنشأت عن طريقها كثيرا من المدارس الفرنسية وأخيرا حاولت أن تجتذب الى مدارسها أولاد المسلمين وأولاد الطوائف غير الكاثوليكية أيضا . ولذلك أوجدت " الارساليات العلمانية التى تلتزم " الحياد " فى الأمور الدينية فلا تدخل فى مناهجها أى دين من الأديان وتوافد على البلاد العربية فى الوقت نفسه كثير من الارساليات البروتستانتية وكان بينها الايرلندية والدانمركية والانجليزية والاميركية .

وكانت الارساليات الانجليزية والأميركيه أغناها وأنشطها بطبيعة الحال فصارت أداة فعالة لنشر اللغة الانجليزية والثقافة الأنجلو سكسونية فى بعض البلاد العربية . ومن جهه أخرى أخذت روسية وهى تعد نفسها حامية الأرثوذكسى تنشىء مدارس خاصة بالطوائف الارثوذكسية وأنشأت مدرسة للمعلمين فى الناصرة لتخريج وتنشئة المعلمين الذين تحتاج اليهم المدارس المذكورة وأخيرا واقفت المانية أيضا أثر الدول المذكورة فأخذت تنشىء بعض المدارس الألمانية فى بعض المدن العربية بغية تعليم لغتها ونشر ثقافتها وبسط نفوذها فيها وقامت ايطالية أيضا بأعمال مماثلة لكل ذلك وأخذت تنشىء المدارس الايطالية تارة بصورة مباشرة وتارة بوساطة الارساليات الدينية .

ويظهر لنا من ذلك كله ان المعاهد التعليمية القائمة فى الولايات العربية فى أواخر السلطنة العثمانية كانت فى غاية من التنوع والاختلاف : فمدارس رسمية تعلم باللغة التركية ولا تبالى باللغة العربية ، ومدارس طائفية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة تعلم باللغة العربية وتتأثر فى الوقت نفسه بالمدارس الاجنبية التى تشاكلها فى الدين والمذهب ، ومدارس أجنبية تنتسب الى مختلف الدول الغربية تعلم لغة الدولة التى تنتسب اليها وتعتنى فى الوقت نفسه باللغة العربية

" وقد تجاوب مسيحو الشرق مع هذه الارساليات الأجنبية خصوصا من كان قريبا من الطوائف المسيحية الوطنية واستفادت اللغة العربية من المنافسة القوية بين الكثلكة الأوروبية والبرتستانتية الانجليزية والأميركية والأرثوذكية الروسية " .

" اذ سعت كل واحدة منها الى اظهار تمايزها عن الدولة العثمانية "بمفهومها التركي بتشجيعها اللغة العربية . ولم تغير الارساليات الاجنبية من سياستها الا عندما بدأت تدرك أن عليها الآن توجيه المسيحيين بعيدا عن فكرة العروبة . وفي الوقت نفسه ربط بعض الفئات أو مجموعة بكاملها بالدولة الأم . وقد سعت لتحقيق ذلك بعد تقسيم المشرق العربي أو كما سعت فرنسا من قبل لجعل هؤلاء مرتبطين ثقافيا وفكريا ولغويا وماديا بالدولة الغربية .. "[1] وفي الواقع ان الدولة العثمانية أرادت أن تغير من سياستها التعليمية بعد الانقلاب الذى حدث سنة ١٩٠٨ م وحاولت أن تفرض رقابتها على المدارس الطائفية والأجنبية . غير أنها لم تستطع أن تغير شيئا من هذه الأوضاع تغييرا فعليا لأن المدة التى مضت بين حدوث هذا الانقلاب ونشوب الحرب العالمية الأولى لم تتجاوز ست سنوات .

لذلك استمرت هذه الأحوال حتى انحلال الدولة العثمانية وانقراضها تماما .[2]

هذه هى أحوال التعليم فى البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية ومنها فلسطين التى كانت تعد الجزء الجنوبى من سورية . وقد كانت بلاد الشرق العربى — سورية الكبرى والعراق — متشابهة فى اوضاعها التعليمية والاقتصادية مما أدى الى تكاتف مشترك فى العمل السياسى لتحقيق الأهداف المشتركة .

فمثلا عندما تأسست جمعية العربية الفتاة فى باريس عام ١٩١١ كان من مؤسسيها محمد رستم البعلبكى وعونى عبد الهادى النابلسى وجميل مردم الدمشقى ومحمد الحمصانى البيروتى وعبد الغنى الفرسي البيروتى ورفيق التميمى النابلسى وتوفيق السويدى البغدادى وانضم الى هؤلاء بعد ذلك عدد كبير من المثقفين

العريسي

---

(١) التعليم والتحديث فى المجتمع الفلسطينى ص ٦١ — ٦٢

(٢) حولية الثقافة العربية ص ١٢ — ١٤ .

العرب من مدنيين وعسكريين وكانت هذه الجمعية أول حزب عربي يعمل بطريقة سرية ويدقق في الانتسابات وأدت هذه الجمعية دورا كبير خلال العهد الفيصلي اذ كان الأمير فيصل عضوا فيها [1] نلاحظ أن أعضاء هذه الجمعية من فلسطين ولبنان وسورية والعراق وقد كان التعليم والتنقل متاحا لجميع العرب في كل الولايات فالامكانات التعليمية الموجودة في العراق يستطيع أن يستفيد منها الفلسطيني والسوري وغيرهما . لذلك كان واضحا ان فصل أي قطر عن الاخر سوف يؤدي الى نقص في مراحل وأوضاع التعليم المختلفة في كليهما وبما أننا في صدد بحث التعليم في فلسطين بحدودها السياسية المعروفة سنكتفي بذكر المدارس التي كانت موجودة .

ففي سنة ١٨٥١ انشئت مدرسة صهيون الداخلية للصبيان في القدس وقد خرجت منذ انشائها حتى ١٨٨٣ ( ٣٤٠ ) تلميذ وفي سنة ١٨٥٥ أنشئت في القدس مدرسة المصلبة للروم الأرثوذكس بعناية كيرلس الثاني بطريرك أورشليم على نفقة دير الروم وكان في القدس أيضا اربع مدارس لجمعية انتشار الانجيل بين اليهود فيها ( ١٣٨ ) تلميذ ، وثلاث مدارس لجمعية المرسلين الكنسية فيها ( ١٣١ ) تلميذ ، وخمس مدارس للجمعيات الألمانية فيها ( ٣٣٩ ) تلميذ ، وثلاث مدارس للروم الأرثوذكس فيها ( ٢٩٤ ) تلميذ و ( ١١ ) مدرسة للاتين فيها ( ٧٦٥ ) تلميذ ومدرسة للروم الكاثوليك فيها ( ١٠ ) طلاب وثلاث مدارس للأرمن فيها ( ٣٦٠ ) تلميذ ( ١ ) .

أما مدارس نابلس فكانت ثلاثا للمسلمين ومعلموها ثمانية عشر وتلاميذها ( ٥٢٦ ) واشهرها الرشدية وفي نابلس للمسلمين مدرسة للبنات فيها معلمتان ومائة تلميذة ونحو اثني عشر مكتبا فيها ( ٤٦٠ ) تلميذ أما مدارس المسيحيين فكانت خمس مدارس للصبيان فيها ستة معلمين و ( ٩٥ ) تلميذا كما كان للبنات مدرستان فيهما معلمتان و ٤٢ تلميذة وأقدم هذه المدارس أنشئ سنة ١٨٥٠ .

وفي جوار نابلس في جنين مدرسة فيها ٨٠ تلميذا ومعلمان .

---

(١) المقتطف جـ ٨ — ٩ ، ١٨٨٣ ص ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ .

أما فى عكة فقد أنشئت المدرسة الرشدية سنة ١٨٧٦ ، ويبلغ تلاميذها الخمسين ومعلموها أربعة وهناك خمسة عشر مكتبا للمسلمين فيها ٢٠٠ تلميذ وفى سنة ١٨٨٩ أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية مدرسة بلغ عدد تلامذتها الخمسين وكان معلموها أربعة كما أنشأت الجمعية مدرسة للبنات ومدرسة للراهبات اليسوعيات فيها سبع معلمات ونحو من ( ١٥٠ ) تلميذة • هذا وكان للطوائف المسيحية أيضا نحو من أربع مدارس للصبيان فيها سبعة معلمين ونحو من ٢٠٠ ، تلميذ •

أما فيما جاور عكة كحيفة وغيرها ففيها نحو من عشرين مدرسة وعشرين معلما وأربعمائة تلميذ •• وقد أخذ طلب العلم يزداد ويتسع الاقبال على المدارس كلما تقدم الزمن من القرن العشرين •

أما صفد فقد أخذت المدارس تتكاثر فيها منذ ١٨٦٠ ففيها نحو من عشرة مدارس وخمسة عشر معلما وثلاثمائة تلميذ أما طبريا ففيها ست مدارس وثمانية معلمين ومائتا تلميذ •

هذه صورة عن المدارس فى هذه المدن التى ذكرناها فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر • ويقول الدكتور عبد الرحمن ياغى : " واذا كانت جمعية واحدة هى ( الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية ) فى فلسطين لها فى أنحاء البلاد خمس وعشرون مدرسة بلغ تلاميذها الصبيان فى سنة ١٩٠٧م ( ١٠٨ )[١] ادركنا مدى تأثير هذه المدارس الأجنبية فى كيان هذا الوطن الصغير "[٢] •

أما مجموع المدارس الابتدائية الرسمية فى الألوية الثلاثة ( القدس ، نابلس ، عكة ) فى مطلع القرن العشرين بل فى السنة ١٩١٣ — ١٩١٤ وهى السنة التى سبقت الحرب فكان ( ٩٥ ) مدرسة ابتدائية رسمية معلموها ( ٢٣٦ ) معلما ومعلمة وتلاميذها ( ٧٧٥٨ ) تلميذا وتلميذة •

---

(١) تاريخ الجمعية الامبراطورية الارثوذكية الفلسطينية ص ٢٠١ — ٢٠٢

(٢) حياة الادب الفلسطيين ص ٦٦ — ٦٧ •

وتذكر النشرة الرسمية لوزارة المعارف العثمانية أن مجموع الأطفال الذين كانوا في سن التعليم الالزامي يبلغ ( ٧١٦٣٢ ) مما يدل على أن المدارس الابتدائية الرسمية ما كانت تضم من هؤلاء الا نحو العشر أما المدارس الثانوية الرسمية فكان في القدس منها ( مكتب سلطاني ) وفي كل من عكا ونابلس ( مكتب اعدادي ) وكان عدد طلاب المدارس الثانوية المذكورة ( ٤٧١ ) وكانت كل واحدة منهما تضم صفوفا ابتدائية وفقا للنظام المتبع في جميع الاعداديات والسلطانيات العثمانية وكان مجموع طلاب هذه الصفوف ( ١١٠ ) وكان المكتب السلطاني في القدس ( مكتبا اعداديا ) أنشىء سنة ١٨٨٩ ولم يتحول الى مكتب اعدادي الا في سنة ١٩١٣.

أما المكتب الاعدادي في عكة فقد أنشىء سنة ١٨٩٥ وأما المكتب الاعدادي في نابلس فقد أسس سنة ١٨٩٧ .

ويتبين من أرقام النشرة الرسمية العثمانية أن مجموع المدارس الابتدائية الأهلية والطائفية في المتصرفيات الثلاث كان ( ٥٠٠ ) وعدد المعلمين والمعلمات ( ٧١٩ ) معلما ومعلمة أما التلاميذ والتلميذات فيبلغون ( ١٥٧٧٣ ) منهم ( ٨٧٠٥ ) في المدارس الخاصة بالمسلمين و ( ٣٤٤٥ ) في الخاصة بالمسيحيين و ( ٢٦٢٣ ) في المدارس الخاصة بالاسرائيليين .

وبما أن المدارس الرسمية تكاد تكون خاصة بالمسلمين فان مجموع الطلاب المسلمين في جميع المدارس كان ( ١٤٦٦٣ ) ومجموع الطلاب المسيحيين ( ٣٤٤٥ ) والاسرائيليين ( ٣٦٢٣ )(١) .

هذه صورة موجزة عن التعليم والمدارس في العهد العثماني وقد امتد اطار هذه الصورة حتى شمل المدة الواقعة بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى مع فتور داخلي في حدود هذا الاطار الى انتعاشة في عهد الدستور الى ازدهار في المدارس الأجنبية في مدة ما قبل الحرب .

---

(١) حولية الثقافة العربية السنة الثالثة ص ٤ — ٩ .

فترة الانتداب البريطاني :ـ

بعد الحرب العالمية الأولى انحلت السلطة العثمانية وانفصلت الولايات العربية عنها انفصالا نهائيا .

وقد أصبحت بعض الولايات العربية تحت الاحتلال الفرنسي وبعضها تحت الاحتلال البريطاني ونتج عن ذلك بطبيعة الحال نتائج خطيرة من حيث اتجاهات الثقافة ونظم التعليم ، فان اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الالزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية في منطقة الانتداب الفرنسي وترتب على ذلك ان المنطقة المذكورة اتصلت أكثر ما أتصلت بالنظم الفرنسية والمطبوعات الفرنسية والمناهج الثقافية الفرنسية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلد هم يذهبون الى فرنسة وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على جعل النظم الفرنسية والمناهج والثقافية الفرنسية سائدة على معارف البلاد وثقافتها ، وقد انضم الى هذه النتهجة الطبعية الجهود التي بذلتها فرنسة لبسط نفوذها المعنوي في البلاد فزاد ذلك من سيطرة الثقافة الفرنسية سيطرة كبيرة .

وقد حدث ما يماثل ذلك بالنسبة الى اللغة الانجليزية في مناطق الانتداب الانجليزية حيث أصبحت هذه اللغة هناك الزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعلية وترتب على ذلك أن المناطق المذكورة اتصلت أكثر ما اتصلت بالنظم الانجليزية والمطبوعات الانجليزية والثقافية الانجلوسكونية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلادهم يذهبون الى انجلترة وأمريكة وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على سيادة الثقافة الانجلوسكسونية في المناطق المذكورة وقد انضم الى هذه النتيجة الجهود الخاصة التي بذلتها انجلترة وامريكة لنشر هذه الثقافة في البلاد فأكسب ذلك الأوضاع المذكورة قوة كبيرة .

هذه سياسة التعليم في الولايات العربية بعد الحرب العالمية الأولى اذ خضعت كل من سورية ولبنان للاحتلال الفرنسي والعراق والأردن وفلسطين للاحتلال الانجليزي . وبخصوص فلسطين أدار الانجليز شؤون المعارف ادارة مباشرة ووجهوها الوجهة التي أرتأوها دون أن يلاقوا أية مقاومة .

ولهذا السبب نشأ في فلسطين نظام تعليمي خاص يختلف عما نشأ في سائر الاقطار العربية أختلافا كبيرا وكان هذا النظام أكثر تأثرا بالنظم الانجليزية الاصليه بطبيعة الحال [1] .

(١) حولية الثقافة العربية ص ١٦ ـ ٢٠ .

## التعليم فى فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى

حسب الاحصاء السكانى لعام ١٩٣١ كان عدد السكان العرب أو بالاحرى عدد سكان فلسطين من غير اليهود ( ٨٥٩ ) ألف نسمة من أصل ( ١٫٠٣٣٫٠٠٠ ) نسمه (١) وبلغ عدد المتعلمين منهم أى الذين دخلوا المدارس حوالى ( ١٢٠ ) ألف نسمة (٢) واذا أسقطنا من هذا العدد مقدار ( ٢٠٠٠ ) شخص من الاجانب الغربيين غير اليهود يكون العدد حوال ( ١١٨ ) الف نسمة من المتعلمين العرب ونستطيع انقاص هذا العدد ( ٢٠٠٠ ) شخص من حجم السكان فيكون عدد العرب حوالى ( ٨٥٧ ) الف نسمة .

ونتيجة لذلك تكون نسبة المتعلمين العرب ١٣٫٧٥٪ من عدد السكان وهذا الرقم يعطى صورة كئيبة للوضع الثقافى فى فلسطين عام ١٩٣١ غير ان هذا المعدل لا يعطى الصورة الحقيقية اذ كان هناك تفاوت فى التعليم بين العناصر الاسلامية والعناصر المسيحية . فقد توفر للمسيحيين عدد كاف من المدارس سهل عليهم الانتساب اليها بسبب تجمع الأكثرية منهم فى المدن وللامتيازات الممنوحة لهم من الدولة العثمانية ثم لكثرة الارساليات الأجنبية وما تقدمه من مساعدات تعليمية وغيرها لذلك كانت الاحصاءات والدراسات التعليمية فى فلسطين تقوم على أساس مذهبى فالمسلمون فى فلسطين يمثلون ٦٧ ٪ من سكان فلسطين احصاء ١٩٣١ — و ٨٠٪ من السكان العرب — فتعداد المتعلمين المسلمين حوالى ٧٥ ألف من أصل ٦٩٣ الف نسمة أى حوالى ١١٪ من السكان بينما النسبة لدى المسيحيين هى ٤٧٫٥٪ وان الـ ٨١ ٪ من المتعلمين المسلمين درسوا أقل من ست سنوات ونسبة التعليم عند المسيحين العرب هى ٢٩٪ .

من هذا نلاحظ ان نسبه المتعلمين ضئيلة ولكن اذا أخذنا هذه النسبة فى الاطار العام لرقى المجتمع الفلسطينى نجد ان نسبة المتعلمين لا بأس بها

---

(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان

I) Survey of palestine I948 Vol I P.I4I

2) Censuse of palestine I93I p.92.

وليس هذا الفضل راجعا لحكومة الانتداب اذ ان التعليم كان قد توسع في اواخر الحكم العثماني وأول سني الحرب كثيرا خصوصا في ولاية القدس اذ في عام ١٩١٤ كان هناك ٩٥ مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية يعلم فيها (٢٣٤) معلما وتعداد تلامذتها (٨٢٤٨) منهم (١٤٨٠) تلميذة وكان يوجد (٣٧٩) مدرسة تقليدية أكثرها كتاتيب يعلم فيها (٤١٧) معلما ويزورها (٨٧٠٥) تلاميذ منهم (١٣١) تلميذة (١) .

وقد توفر للشعب الفلسطيني في العشرينيات حد أدنى من فئة الجامعيين قليلهم تخرج من الجامعات الاوربية والأميركية كما أن الضآلة الكبيرة كانت في نسبة المتعلمات الراشدات من الشعب الفلسطيني في تلك الحقبة (٢) ولو ألقينا نظرة على ازدياد الطلاب المسلمين لراينا أن الفرق بينهما شاسع بالنسبة لتعداد السكان ففي عام ١٩٢٠-١٩٢١ كان عدد الطلاب المسلمين (١٨٫١٢٦) والميسحيين (٧٫٤٣١) وفي عام ١٩٤١-١٩٤٢ كان عدد الطلاب المسلمين (٦٩٫٠٣٥) والمسحيين (٢٥٫٨٠٨) .

وقد كان الاهتمام الاكبر في التعليم عند المسلمين عن طريق المجلس الاسلامي الاعلى .

والجهات الاسلامية الأخرى حيث ارتفع عدد المدارس من ٤٢ مدرسة عام ١٩٢١-١٩٢٢ الى (١٩٠) مدرسة عام ١٩٣٤-١٩٣٥ وارتفع عدد التلاميذه من ٢٢٨٧ عام ٢١-١٩٢٢ الى ١٥٣٨٩٦ تلميذ عام ١٩٤٠-١٩٤١ أى حوالي ستة أضعاف، بيد أن الاكثرية العظمى من المدارس الحكومية عام ١٩٤٤ كانت ابتدائية تحتوى على الابتدائيه الأدنى الى الرابع الابتدائي .. ولم يكن الوضع كذلك في القرى فقط بل كان في المدن - ايضا - وتصل نسبة التلامذة في هذه المرحلة الى مجموع التلامذة الكلى ٩١% ، والنسبة المئوية الباقية تتوزع بين الدراسة الابتدائية العالية والدراسة الثانوية ويتضح أن الأكثرية الكبرى من تلامذة المعارف كانت تترك الدراسة بعد الصف الخامس الابتدائي عدا قلة بينها قسم ضئيل يكمل الدراسة فاذا كان التلميذ من المتفوقين استطاع الانتساب الى الصفوف العليا الحكومية ، وتشتد شروط الانتساب للدراسة الحكومية العادية الثانوية اذ ليس

الاكثرية

---

(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان

I) Arab education in Mandatory pa lestine I956,P.20 .

(٢) التعليم والتحديث في فلسطين ص ١٠٧ - ١١٣ .

هناك الاثلاثة مدارس حكومية تحتوى على صفوف حتى الثانوية العامة وجميعها في مدينة القدس وهي الكلية العربية والمدرسة الرشدية وكلية البنات وكانت الكلية العربية تقسر المجال للطلاب الثلاثة الاوائل في المدارس الاخرى للاكمال فيها ولما كثر عدد الطلبة توازيا مع أزدياد المدارس التي تحتوى على المرحلة الثانوية الاولى سعى خلال الاربعينات الى توسيع المدرسة الرشيدية •

ولقد كانت الكلية العربية وكلية البنات وكلية المعلمين وبالاضافة الى هذه - الكليات أنشئت مع الوقت فصول ثانوية زراعية في ظولكرم عام ١٩٣١ وثانوية تجارية في حيفة عام ١٩٣٦ (١) ؛ ومنذ بدء الانتداب البريطاني أسست فصول لدراسة الحقوق ينتسب اليها موظفوا الدولة ويدرسون خمس سنين يحصلون بعدها على ( دبلوم ) وتخرج عدد لا بأس به من الشباب الفلسطيني العربي ولكن ليس لدينا أحصاء دقيق عن عدده •

وقد أتجه الطلبة أبناء الطبقتين الوسطى والوجيهة القرية للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت وكان الطلاب الفلسطينيون يكونون ٢٠ - ٢٥٪ من عدد طلبة الجامعة ويأتون عدديا بعد الطلبة اللبنانيين وأنتسب طلبة آخرون الى الجامعة اليسوعية خصوصا من درس منهم في المدارس الفرنسية في فلسطين • وذهب فريق من الطلبة الى القاهرة حيث أنتسب طلبة العلوم الدينية الى الازهر وأنتسب آخرون الى دار العلوم حيث تخرج منهما ( ٤٠ ) طالبا بين ١٩٣٢ و ١٩٤٧ (٢) كما التحق بعض الطلبة بالجامعات الانجليزية فكان عددهم في الثلاثينيات حوالي ( ٢٠ ) طالبا (٣) وفي عام ١٩٤٨ (٢٥) طالبا (٤) •

---

( ١ ) التعليم في فلسطين كاتول جبرائيل ص٦

( ٢ ) الشعر الجديث في ماساة فلسطين ١٢٥

3) Arab Education in Mandatory palestine 1956 P. II2

ترجمة الدكتور فاضل زيدان

( ٤ ) التربية والتعليم في فلسطين كاتول ص ٥

## نظرية التعليم فى مدارس المعارف :-

لقد سعى الانجليز للحصول على أعتراف دولى بانتدابهم على فلسطين ليس للقيام بواجب أنسانى حسب ماجاء فى البيانات والمواثيق الدولية الصادرة عن أجتماع فرساى عام ١٩١٩ ومابعده بل نتيجة تصميمهم على أستعمار فلسطين حفاظا على أمبراطوريتهم وزيادة فى نفوذهم خصوصا فى الشرق الاوسط حيث بدأ الذهب الاسود يوطد نفوذه الاقتصادى ولم تكن الصهيونية الامطية لمبتغاهم الاستعمارى (١) .

أن نظرتهم الى الشعب العربى الفلسطينى لم تكن تختلف عن نظرتهم الى العرب المصريين أو أبناء الهند وشعوب شرق آسيا عامة ويستشهد الدكتور عبد القادر يوسف بفقرة من كتاب همفرى بومن يقول فيها " فهذا لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا واللورد بلفور يعدان العرب قوما صحراويين لاقيمة لهم يؤكدانهم سوف يقنعون ببعض التوكيدات والضمانات التى تعطيها لهم الحكومة البريطانية فاذا لم يقنعوا فقد يقومون فى البداية ببعض حركات الشغب ولكنهم سرعان مايعودون لصوابهم ويخلدون للسكينة بعد أن يروا رأس العصا على غرار قبائل الحدود الشمالية الغربية فى الهند (٢)

بهذه الرؤية لشعوب المستعمرات تبدأ بريطانية سياستها التعليمية ومن الجدير بالذكر أن بريطانية أستمدت فلسفة النظام التعليمى فى فلسطين من تجربتها فى الهند وبعد ذلك فى مصر أذ أن النظام التعليمى الفلسطينى أخذ فى جوهره من النظام المصرى وهذا بدوره مستمد من التجربة الهندية وتتضمن هذه الفلسفة التعليمة تربية فئة ممتازة تدخل السلك الادارى الحكومى لتنفيذ السياسة الاستعمارية ويسعى الى تنشئة هذه الفئة لترتبط بالاستعمار ثقافيا وفكريا والطريق الامثل هو أختيار معظم أفراد هذه الفئة من الأقليات أو أبناء الطبقة الوجيهة لترويضها وربطها مصلحيا به ان أمكن . فسعى الاستعمار فى البدء الى توظيف عدد

---

(١) التعليم والتحديث ص ١٣٩

(٢) مستقبل التربية فى العالم العربى فى ضوء التجربة الفلسطينية ص ٩٥ هذه النظرية الصهيونية الاستعمارية فى الماضى والحاضر والمستقبل لم ولن تتغير وهى نفسها التى أشار اليها الرئيس أنور السادات فى مذكراته حيث يقول

كبيـر من اليهود وبعد ذلك من المسيحيين خصوصا من الفئة المتخرجة من المدارس الانجلوسكسونية وحين بدأ الشعب الفلسطيني خصوصا المسلمين يحتجـون على هذا الوضع سعى الى توظيف أبناء الطبقة الوجيهة وأما التوسع فى التعليـم الابتدائي فمرده الى التجاوب مع متطلبات المجتمع التجارى المستهلك لسلعهـا والرضوخ الشكلى للمطالب الشعبية أذ أن النظام التعليمى فى الريف كـان أقرب الى التجهيل منه الى التعليم .

وتدل أحصاءات المعارف على أن النسبة الهائلة من التلاميذ كانت موجـودة فى الصفوف الابتدائية الخمسة الاولى بينما كان عددهم فى الصفوف الثانويـة ضئيلا جدا وقد ربط التعليم الثانوى لتخريج مدرسين لجميع المستويـات خصوصا الثانوية وقد كانت الوظائف الادارية المالية يعين لها خريجي المدارس الاجنبية (١) هذه هى السياسة الاستعمارية فى التعليم أذ تسخره لمـا يخدم يخدم أغراضها ويثبت وجودها بدلا من جعله أداة لرقى الشعـوب والاخذ بيدها حسب رسالة الانتداب .

هذا وقد كشفت الايام أن السبب الحقيقى وراء سياسة التجهيل هو ماورد فى المادة ( ٢٤ ) من صك الانتداب البريطانى على فلسطين والتى نـص فيها على أن توضع فلسطين فى أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعيـة تمكن اليهود من أنشاء وطنهم القومى فيهـا .

ثانيا : الطباعـة :

لقد كانت الإساليات الاجنبية أول من فكر فى ضرورة أصطحاب المطابـع معهم الى هذه الديار المقدسة وقد عرفت الطباعة على أيدى اليهـود فى سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم باقى " مطبعة فى القدس كانت تطبع كتبا دينية باللغة العبرية وفى المدة مابين ١٨٣٠ - ١٨٥٠ نشأت ثلاث مطابـع كبيرة ساعدت على نشر آداب اللغة العربية فى بلاد الشام الاولى مطبعـة الامير كان التى نقلت سنة ١٨٤٣ من مالطة الى بيروت والثانية الكاثوليكيـة

---

= فى معرض كلامه عن مدى أستخفاف أسرائيل بالعرب قبل معركة أكتوبـر بيومين .... لدرجة أن أبا أيبان وزير خارجية أسرائيل فى ذلك الوقت قال لروجرز :-

أن أمريكا تقحم نفسها فى أمور لاتسمها ولايجدر أن تهتم بها ثم عبر

ظهرت سنة ١٨٤٨ فى بيروت والثالثة مطبعة الآباء الفرنسيسكان فى القدس سنة ١٨٤٨ أنشأها الاب سيثيان فرتخنر النمسوى الاصل وقد نمت هذه المطبعة حتى أصبحت من أكبر المطابع الشرقية فى أول القرن العشرين وكان باكورة المطبوعات فى هذه المطبعة كتاب " التعليم المسيحى " بالايطالية والعربية وكانت أدوات الطباعة كلها من النمسة . وحين جاءت الارساليات الانجليزية أسمى جماعة منهم سنة ١٨٤٨ مطبعة فى القدس أسموها مطبعة لندن لتطبع الكتب الدينية من أجل نشر الانجيل بين اليهود . وأنشأ الارمن الفريغوريون فى القدس المطبعة الامنية فى جوار جبل صهيون حيث مقام أسقفهم وكنيستهم الكبرى وأنشأت جمعية القبر المقدس " اليونانية مطبعتها فى دار البطريركية الارثوذكسية وكان ذلك على عهد البطريرك كيرلس الثانى .

وقد وجدت فى هذا الوقت المطبعة الوطنية فى القدس لصاحبها الفونس أنطون الونصو ثم مطبعة ( جورج حنانيا ) وللجمعية البروتستانتينية مطبعة صغيرة بدأت فى الجزء الثانى من القرن التاسع عشر . وفى المقتطف سنة ١٨٨٣ جدول يبين نشأة المطابع فى القدس [١] وهى ١ - مطبعة الاباء الفرنسيسكان التى أنشئت سنة ١٨٤٧ وطبعت ( ١٠٣ ) كتاب مابين مجلدات وكراريس بلغات أجنبية .

٢ - مطبعة دير الروم الاثوذكسى التى أنشئت سنة ١٨٨١ وطبعت ( ٦٥ ) كتابا منها ( ٣٦ ) بالعربية والباقى باليونانية .

٣ - مطبعة دير الارمن والتى أنشئت سنة ١٨٦٦ وطبعت ( ١١٥ ) كتابا بلغات مختلفة أغلبها الارمنية .

٤ - مطبعة جميعة المرسلين الكنائسية الانجليزية التى أنشئت سنة ١٨٧٩ وطبعت أثنين وعشرين كتابا بالعربية .

٥ - مطبعة لندن لانتشار الانجيل بين اليهود وقد أنشئت سنة ١٨٤٨ وكانت تطبع كراسة دينية شهريا وأعلانات دينية وقد وجد فى بيروت مطبعة دار الايتام السورية التى كانت تدار بالبخار وكانت على درجة عالية

---

= أبا أبيان عن رأيه فى العرب بأن قال أنهم قوم متخالفين ولن تقوم لهم قائمة ولايعرفون الالغة البطش والرعب وقد حان الوقت الذى سيأتون فيه والكمين مستسلمين لاسرائيل التى تعرف جيدا كيف تعاملهم " مذكرات الرئيس أنور السادات الاهرام ٢٤/١٠/٧٥ الجمعية عدد ٢٢٤٥٩ ص ٣ .

الطلبات

من الاتقان لكثرة الطالبات التى كانت ترد ها من مصر وحلب وبيروت ود مشق وطرابلس الشام وحيفا والناصرة ويافه وكانت تطبع فيها مجلة النفائس) ولم يكن ينافسها فى أتقان الطباعة الامطبعة أو مطبعتان فى بيروت (١) ومن يراجع أماكن الطباعة فى " الكتاب العربى " ـ الفلسطينى " يجد أن المؤلف الفلسطينى طبع كثيرا فى أستانبول وفينا ولند ن ونيويورك وباريس " وواشنطن وبيروت ومصر والشام وحلب وبغداد وعمان ومكة وغيرها •

وبعد أعلان الدستور كثرت المطابع الوطنية فى مختلف البلاد فكانت أول مطبعة دخلت حيفا هى المطبعة الوطنية لياسيلا الجدع سنة ١٩٠٨ ثم مطبعة جريدة الكرمل سنة ١٩٠٩ لنجيب نصار ثم مطبعة جريدة النفير لايليازكا وغيرها ثم أنتشرت المطابع فى مختلف أنحاء فلسطين • وما ينبغى ملاحظته أن الطباعة دخلت فلسطين عن طريق الارساليات التبشيرية الدينية لطباعة الكتب الدينية ثم لطباعة كتبها المدرسية الى أن كثرت المطابع كثرة عامة فى مختلف أنحاء فلسطين لاغراض تجارية •

ثالثا الصحافة :

لقد كان ظهور الصحافة فى فلسطين عن طريق الارساليات الاجنبية شأن التعليم والطباعة فقد نشرت الجمعية الالمانية الفلسطينية فى مجلتها مختلف المطبوعات التى يدور بحثها حول فلسطين ثم توقفت عن سعيها سنة ١٨٩٤ • وقد قام الدكتور بيترتومسون فألف كتبا مستقلة أودعها قائمة المطبوعات الفلسطينية من سنة ١٨٩٥ وما بعدها ظهر منها حتى سنة ١٩١٦ ثلاثة من لغات بعنوان Die palastine literature

كما ظهرت مجلة بطريركية القدس الارثوذكسية والمجلة الالمانية لصاحبها الدكتور بيـز • (١)

ونظرا للمركز الدينى والسياسى لفلسطين حظيت آثارها بأهتمام علماء التنقيب فقد كانت هناك " مجلة التنقيب عن آثار فلسطين " وهناك مجلات ـ

(١) التعليم والتحديث فى المجتمع العربى الفلسطينى ص ١٣٨ ـ ١٤١ •

(٢) المقتطف ج ٨ ص ٤٧٢ راجع أيضا تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ص ٢٩٩ : ٣٠٣

(٣) النفائس العصرية جزء ١٢٦ سنة ١٤ ١٩١٢ ص ٥١٦ •

أنجليزية والمانية أيضا وكان للفرنسيين المجلة الكتابية التى كانت تلخص كل ما نشر فى المجلات الاثرية عن فلسطين (٢) ونظرا للاحوال التعليمية السيئة التى كانت تعيشها فلسطين حتى مطلع القرن العشرين كان ظهور الصحف متأخرا حيث يعتمد رواجها على كثرة القراء ولعل أول جريدة فى القدس كانت جريدة "القدس الشريف" وهى جريدة حكومية محلية صورت سنة ١٩٠٤ باللغتين العربية والتركية . ولما جاء الدستور ١٩٠٨ ظهرت الصحف فى القدس ويافه وعكا وحيفه وغيرها فقد وجد فى فلسطين خمسون صحيفة تقريبا مابين سنتى ١٩٠٤ — ١٩٢٢ (١) .

صدرت

وفى كتاب تاريخ الصحافة العربية " للكونت فيليب طرازى نجد فهارسى وجد أول للمجلات والجرائد التى صدرت فى فلسطين الى نهاية عام ١٩٢٩ بلغت أحدى وثمانين مابين صحيفة ومجلة صدرت فى القدس وحيفه وعكة ويافه وبئر السبع وهذه صورة مركزة للصحافة فى داخل فلسطين أما فى خارجها فكان لابناء فلسطين مشاركة فيها أيضا هذا عاصم بسيسو وأحمد عزت الاعظمى يصدران فى الاستانة مجلة المنتدى الادبى فى ٢٧ شباط ١٩١٤ وأصدر عارف العارف جريدة عربية هزلية ( ناقة الله ) ١٩١٦ فى معتقل سيبريا وأصدر — الاستاذ أحمد شاكر الكرمى مجلة باسم " الميزان " وأصدر الشاعر الشيخ — أبراهيم الدباغ مجلة " الانسانية " فى القاهرة (٣) وكان الاستاذ محمد على الطاهر قد أصدر جريدة " الشورى " فى القاهرة يتبين لنا من عدد الصحف والمجلات أن لابناء فلسطين نشاطا ملموسا فى مجال الصحافة سواء فى داخل فلسطين أوخارجها بالاضافة الى أن الكثير من أبناء فلسطين كانوا يكتبون فى " المشرق " و " المقتطف " و " الهلال " وغيرها وقد كانت بعض الصحف الفلسطينية تطرح موضوعا أدبيا وتعطى جائزة لاحسن من يكتب فيه وبعضها كان يصدر أعداد ممتازة لدراسة نواح خاصة من البلاد (٣) .

أهذه تعدها فلسطينية ؟

كل هذا يوضح لنا دور الصحافة الفلسطينية فى نهضة هذا القطر الثقافية

---

( ١ ) مجلة الزهراء مقال الدكتور نجيب الساعاتى " أنتشار الصحافة فى فلسطين عدد ٦ ص ١٤٥ — ١٤٧ .

( ٢ ) وحى الشاطىء ص ٩٩

( ٣ ) حياة الادب الفلسطين الدكتور ياغى ص ٨٩ — ٩٠ بتصرف

٤ - **الاندية والجمعيات الادبية :-**

من أقدم الجمعيات فى فلسطين جميعية " سوسنة صهيون " أنشئت سنة ١٨٧٧ وجمعية الغيرة المسيحية " للروم الارثوذكس وكلتاهما فى المقدس (١) وفى ثلاث جمعيات هى جمعية " شعبة المعارف " و " الجمعية الادبية " الخيرية " وجمعية " مارمنصور " ومن الجمعيات التى عنيت بنشر المباحث المطبوعة فى مختلف شوءون فلسطين " الجمعية الالمانية الفلسطينية " وقد وقفت عن نشر المطبوعات الفلسطينية ولم تقف عن نشر المباحث الخاصة بشوءون فلسطين (٢) كما أنشئت الجمعية الارثوذكسية الفلسطينية سنة ١٨٨٢ التى أولت عناية خاصة لدراسة أحوال فلسطين درسا تفصيليا (٣) كما أنشئت جمعية ترقى الاداب الوطنية فى يافة سنة ١٩٠٨ لتهذيب الشباب وتربيتهم وكانت تصدر نشرة بأعمالها السنوية (٤) وقد كان الفضل لعقد أول موءتمر فلسطيني رسمى أقرت به الحكومة البرطانية لجمعيتين فى حيفة" - الاسلامية ورئيسها مفتى حيفه الشيخ محمد مراد والمسيحية ورئيسها الاستاذ فوءاد سعد وكان انعقاد اللجنة فى حيفه من ١٣ - ١٩ كانون الاول سنة ١٩٢٠ برياسة موسى كاظم الحسيني وقد كان تشكيل الموءتمر باقتراح - الشيخ سليمان التاجى الفاروقى . (٥) وكان فى حيفة أيضا " جمعية العبيبه المسيحية وهى جمعية أدبية أنشئت من أجل بحث الامور الادبية وكان رئيسها الاستاذ أديب الجدع .

وقد كانت معروفة قبل الحرب باسم " نهضة فتيان الروم الكاثوليك " وأعيد تأسيسها فى ١٧ تشرين الثانى ١٩١٩ وفى حيفة أيضا جمعيتان نسويتان الاولى " جمعية السيدات " المسيحية والثانية " جمعية تهذيب الفتاة الاسلامية كما تأسست " جمعية النهضة الاقتصادية العربية " وكان من المنادين بتأسيسها السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل وقد أفتتحت فى ٢٢ شباط ١٩٢٢ . ومن صلاحيات هذه الجمعية بموجب نص قانونها أن تشكل هيئات فرعية فى القرى تربطها جميعا لجنة عليا ينتخبها الموءتمر الذى يعقد بعد تنظيم هذه الهيئات

---

(١) مجلة المقتطف ج ٨ ص ٤٧٠ ١٨٨٣ .

(٢) مجلة الزهرة - معرقل الاقلام - عدد ٢٣ ص ٤٩٥ .

(٣) مجلة النفائس العصرية ج ٨ سنة ١٩١٩/٧ ص ٦٥

(٤) مجلة النفائس العصرية ج ٥ سنة ١٩١١/٣ ص ٥٤٠

(٥) مجلة الزهرة عدد ٢٣ ص ١١٤

وقد بدأت بتشكيل نقابات لكل مهنة وصنعة وفن . " وكان من بين النقابات ( حلقة الادب ) وغايتها تعزيز اللغة العربية وتشجيع فن الخطابة والنظر في كل نقيصة من نقائص مجتمع حيفه الادبى وأصلاحها والعناية بالتعليم ونشر الكتب الادبية ولم تكن الحلقة تقبل بين أعضائها الا حملة الاقلام - والخطباء ومن مارس في الادب نثرا ونظما وكان أعضاؤها الفخريون من بين الذين يميلون الى الادب وينشطونه وقد قامت فكرة تأسيس هذه الحلقة في رأس الكاتب توفيق زيبق وأستشار بشأنها الادباء من أصدقائه فاستحسنوا فكرته وشجعوه ولكنهم أمهلوه الى أن تأسست جمعية النهضة الاقتصادية العربية فباشروا تأسيس الحلقة وسنوا لها نظاما في جلسة تمهيدية عقدت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٢ عقدها توفيق زيبق ورفيق التميمي والدكتور قيصر الخورى وأديب الجدع ويوسف الخطيب وعبد الرحمن رمضان وجميل البحرى .

وقد أحدثت الحلقة نشاطا كبيرا وكانت تقيم الحفلات وتنظم المحاضرات وتنشىء المسابقات للتأليف المسرحي وغيره وكانت تقوم بدور كبير في الحياة الادبية بما ترجمه أعضاؤها وما حاضروه وما أنشأوه (١) وكان لموظفي السكة الحديدية في حيفه ناد يجمعهم كما أقام نخبة من شبان طائفة الروم الكاثوليك أدباء وموظفين وعمالا ناديا باسم ( النادى الكاثوليكى ) (٢) سنة ١٩٢٢ كذلك قامت الجمعيات التعاونية في القرى كجمعية تعاون القرى ) التى أتخذت مركزها في حيفا أيضا ومن عنايتها بشئون الفلاح أقامت كثيرا من الحفلات الادبية حيث يلقى الشعر وتقوم الدراسات حول شؤون القرية .

وتأسس في حيفة أيضا " النادى العربى " الذى كان أعضاؤه من الشبان المسلمين والمسيحين لممارسة الفنون الادبية والرياضية كما كانت هناك نواد مختلفة للاسر . وقد كان لهذه النوادى دور كبير في الحياة الادبية وفي بيت لحم نشط نادي الشبيبة حيث كان يقيم الحفلات لتكريم الادباء والمستشرقين .
وفي غرزة (غزة) أعتنى النادى الاثوذكسى (الارثوذكسى) بالتمثيل (٣) .

---

( ١ ) حياة الادب الفلسطيني ص ٩٦ - ٩٧
( ٢ ) مجلة الزهرة عدد ٢٥ ص ١٣ .
( ٣ ) النفير عدد ٢٥ ص ١٣ .

وكان النادى العربى فى القدس يقيم مسابقة أدبية باسم " سوق عكاظ سنة ١٩٢٤ وفى موسم النبى موسى يوزع الجوائز على الفائزين فى الشعر (١)

ومن مظاهر نشاط هذه الجمعيات والنوادى أقامة الحفلات لاكرام الشعراء والادباء فقد زار الشاعر خليل مطران فلسطين سنة ١٩٢٥ للاصطياف فى رام الله فأقيمت له حفلات التكريم فى القدس وبيت لحم ويافا والبيرة وطولكرم وقلقيلية ورام اللـه (٢) وكتب سليم سركيس الى خليل بيدس عند مازار القدس سنة ١٩٢٠ والتقى فيها بالرصافى الشاعر العراقى " وقد سرنى من القدس الشريف أن فيها ( جامعة للادباء ) لم أوفق الى مثلها فى دمشق وحيفة فقد قضيت نحو أربعين يوما فى عاصمة المملكة السورية وقابلت فيها عددا كبيرا من الادباء ولكن شملهم متفرق فلا يجتمعون فى مكان معين أو زمان شأننا فى مصر وأما فى القدس فان ليوث الادب يأوون الى عرين خاص يتهيبه من لم يكن من طبقتهم وهذا التهيب والوقار يساعدانهم على العزلة ويبعدانهم عن الغوغاء • وقد بلغ من أعجابى بمجلسهم فى القدس أننى كما تعلم كنت أول من حضر وآخر من انصرف حتى لايفوتنى جمال مجلسكم وفائدته لو أن بينكم من يحذو حذوى فى مجالس أدباء مصر لاجتمع لديه الشيء الكثير من ثمرات العقول التى تليق يوما ما أن تكون حديث المجالس لانك تنال من الادباء وقد أرسلوا على سجيتهم — مالا تناله من ثمرات العقول أذا هم تأنقوا فى الحديث وتأهبوا له فهنيئا لكم ولمجلسكم بكثير من الحسنات وفى مقدمتها ( مجلس الادباء ) (٣) .

وقد كانت النوادى الرياضية أيضا تقيم الحفلات أحتفاء بالادباء والمفكرين فقد أقام نادى الالعاب الرياضية بالقدس فى آذار ١٩٢٠ حفل تكريم للصحفى الاستاذ سليم سركيس ألقى فيها الاستاذ أسعاف النشاشيبى كلمة رائعة كما ألقى الاستاذ الرصافى قصيدته السينية المشهورة وكانت الحفلة فى مدرسة روضة المعارف • (٤)

---

( ١ ) ديوان مشاهد الحياة ص ٢٠٣ •

( ٢ ) الزهرة عدد ٤ ص ٢١٣ •

( ٣ ) النفائس ج ١٧ ص ٢٥١ — ٢٥٢ •

( ٤ ) الحياة الادبية فى فلسطين ص ١٠٠ •

## خامسا الاذاعـــة :

وهى من العوامل الفعالة لنهضة الامم فى مختلف نواحى الحياة يقـول الاستاذ عجاج نويهض " أن الاذاعة أرقى أسباب التواصل بين الامم وهـــى تجعل المعمور الانسانى فى مسمعك وعما قريب على مرأى منك فى لحظـــات هى أعجل من لمحات البصر فالمذياع رسول أنقلاب فى البشر لا يعلم الا اللـه مدى حدوده وأنبساط آفاقه ومهما يكن للمذياع اليوم وغدا من شأن عظيم فى أحداث الانقلاب فى المجتمع فمن أخص ما نرى من ميزاته أن له رسالة مقدسة كتـــب عليه أن يؤديها الى الامم والى العرب فى جميع أقطارهم الا وهى رسالـــة نشر الثقافة الصحيحة كأوسع معانيها ويشترك فى هذا العالم والمؤرخ والاديـب والكاتب والشاعر والباحث والناقد والممثل والمفتى والمطرب من رجـــال ونســاء (١) .

تأسست الاذاعة فى فلسطين مبكرا أذ أسست حكومة فلسطين محطة لاسلكية وأختارت الشاعر أبراهيم طوقان لادارة البرامج العربية وفى ٢٩ مارس ١٩٣٦ – نقل الاثير لاول مرة صوتا عربيا هو صوت أبراهيم طوقان وقد كان الناس يتطلعون بقلوبهم الى أبراهيم لوضع الاذاعة فى خدمة القضية الفلسطينية للظلـــم الذى كانت تلاقيه من حكومة الانتداب والصهيونية الآثمة " ٠٠٠٠٠٠٠ وضع أبراهيم خطته لخدمة الجمهور ، وخدمة التراث العربى الادبى وأصطدمـت الغايتان ٠٠٠٠٠ وثارت الصهيونية وأمتدت الرقابة الى كل ما يذيـــع أبراهيم والى كل ما يعد من تمثيليات وأحاديث وقصص قد أذاع على النـــاس تحقيقا أدبيا أثبت فيه بالوثائق التاريخية أن السموءل الشاعر الجاهلى اليهـودى كان ذا نزعة يهودية من حيث حبه للمال وأن هذه النزعة هى التى دفعت الى أيثار الذبح لابنه خارج الحصن ولم يكن فى الامر عامل الوفاء وأنما كان ذلك من أجـل مال جسيم وعده به أمروء القيس أذا أستجاب لطلبه وقد أذاع هذا التحقيـــق بنفسه فى ٢٠ سبتمبر ١٩٣٦ فأهتاجت الصهيونية ٠٠٠٠ وظلت تدبر له حـــتى

---

(١) الحياة الادبية فى فلسطين ص ٠٠٠

(٢) أبراهيم طوقان المحاسنى ص ٢٧ ٠

انتهى الامر باقصاء ابراهيم[1] •

وقد أعدت محطة الاذاعة سلسلة من المحاضرات الوطنية موضوعها " شخصية فلسطينية بارزة ولما تولى الأستاذ عجاج نويهض مراقبة البرامج العربية فى الاذاعة الفلسطينية أخذ يعد برامج يستدعى لها كتابا وباحثين من فلسطين والبلاد العربية لالقاء المحاضرات والبحوث فتقدم الاخطال الصغير — بشارة الخورى بتحية شعرية لفلسطين فى مساء الخميس ٢ نسيان ١٩٤٢ وحاضر الاستاذ عبد اللطيف الطيباوى عن الجيش فى التاريخ الاسلامى ثم عن التربية والتعليم فى العصور الاسلامية وكانت محاضرات كل من الاستاذ عبد السلام البرغوثى والاستاذ عباس محمود العقاد عن معارك ١٩٣٩ وحاضر قبله فى الموضوع نفسه الاستاذ عبد القادر المازنى وأذاع الشيخ عبد العزيز البشرى حديثه عن الدولة الاموية والاستاذ محمد كرد على حديثه بعنوان " هل تمدنا " كما قدم الاستاذ خليل تقى الدين مدير المطبوعات فى جمهورية لبنان حديث رمضان حول الادب العربى وتحدث الاستاذ نسيم يزبك حديث بعنوان نظرة فى مستقبل العمر وتحدثت السيدة أسما طوبى عن تربية الطفل وتحدثت السيدة مارى صروف عن التربية فى الاسرة العربية وتحدثت الآنسة قدسية خورشيد عن شخصية المرأة وقدم الاستاذ خليل بيدس حديثا بعنوان " الى فتياتنا " وقدم أيضا قصة عنوانها " البطلة " [2] كما استقدمت محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية فى فلسطين علماء وصحفيين مثل الشيخ عبد الله العلايلى والاستاذ الحومانى والاستاذ أكرم ملحم كرم • [3]

هذه هى العوامل المباشرة المساعدة فى النهضة الثقافية فى فلسطين • وقد تفاعلت هذه العوامل مع عوامل داخلية أخرى فتولدت أنشطة ثقافية مختلفة فقد كثرت النوادى والجمعيات التى ساعدت على أيجاد نهضة تمثيلية مسرحية • نمت وازدهرت بظهور الاذاعة التى جعلت لها جانبا من برامجها • وقد ظهرت فى حيفة " جمعية التمثيل الادبى " فى مطلع القرن العشرين وكانت محاولة جادة لاحياء التمثيل [4] وقد نشط فى هذا الجانب الاستاذ جميل البحرى

---

( ١ ) أبراهيم طوقان المحاسنى ص ٢٧ •

( ٢ ) حياة الادب الفلسطينى ص ١٠١ — ١٠٢ •

( ٣ ) مجلة الاديب ج ٣ ص ٥٩ •

( ٤ ) ولاية بيروت ص ٤٩ •

فأخذ يتبع روايته حلقات أخرى وتمثيليات غيرها يقدمها الى رؤساء المدارس لتمثل على المسارح المدرسية والى معاشر عشاق التمثيل الادبى سدا للفراغ (١) وفى بيت لحم قام نادى الشبيبة بتمثيل روايات للجمهور مثل رواية "عواطف" الاجتماعية وقد أعد رئيس نادى الشبيبة الارثوذكسى بيانا خاصا بالتمثيل ومعه رئيس اللجنة التمثيلية وبعض الاعضاء (٢) ومما ساعد النهضة التمثيلية ظهور أفراد أفذاذ فى مجال التمثيل وقد كتبت مجلة النفير تقول " أن هناك شابا شرقيا عربيا يكاد وطنه يجهل شخصيته بينما دوائر برلين الادبية ومسارحها التمثيلية ، تتغنى بعبقريته وقد بذل جهدا فى سبيل نشر الادب العربى فى أنحاء المانيا فوضع الروايات التمثيلية الحافلة بماثر العرب بالكتابة فى صحف المانية عن التراث العربى وبانشاء الشعر العربى فى الاندية الالمانية ...... وذلك الشاب هو عزيز ضومط وأخر رواية وضعها " والى عكله " التى مثلت لاول مرة على مسرح بلدية ( شتر السون ) فنالت أستحسانا كبيرا وقد عدوه فى الطبقة الاولى من شعراء المانية وأقاموا له حفلة تكريم القى فيها بالالمانية ترجمات شعرية لكل من مطران وشوقى وحافظ وهو من أبناء حيفه (٣) ومن الجمعيات التمثيلية فى هذه الفترة " جمعية الفنون التمثيلية " فى القدس وقد مثلت على مسرح مدرسة الفرير رواية " عنترة " (٤) وللمرة الاولى تظهر المرأة على المسرح عندما مثلت فرقة من شبان القدس رواية ماجد ولين على مسرح سينماصهيون وقد مثلت فرقة الشبان المسلمين الكبرى فى يافة رواية " دموع يائسة " على مسرح قهوة " أبوشاكوش " وفى الثلث الاول من القرن العشرين نشأت الفرق التمثيلية الجوالة فى فلسطين والاردن كما فعل فريق الهيئة التمثيلية لنادى الشبيبة فى بيت لحم حيث مثل " رواية الاستبداد (٥) .

وقد عنيت جريدة النفير بتشجيع التمثيل وفرقه وتتبع أخبار الممثلين والجمعيات التمثيلية من ذلك حديثها عن النهضة التمثيلية فى حيفه بمناسبة حضور أكبر فرقة تمثيلية عربية اليها وهى فرقة رمسيس المصرية بقيادة يوسف وهبى وجورج أبيض حيث تذكر أن أول من غرس نواة هذه النهضة فى حيفة هى جمعية الرابطة الادبية

---

( ١ ) الزهرة عدد ٩ ص ٢٥ .

( ٢ ) النفير عدد ١٠ ص ٥ .

( ٣ ) النفير عدد ١٢ ص ١٣ .

( ٤ ) النفير عدد ٢٣ ص ٨ .

( ٥ ) النفير عدد ٣٣ ص ١١ .

وقد جعلت حفلاتها التمثيلية عامة ومجانية فأقبل عليها سكان حيفه على أختلاف مللهم ونحلهم ثم تبعتها الجمعية الاسلامية فمثلت على مسرح زهرة الشرق رواية ( فهد الطرابلسى ) فلاقت ماتستحقه من الاستحسان ...... وقام أعضاء النادى الرياضى الاسلامى بتمثيل رواية " مطلع النساء " وكلها عبر للنساء ولكن للاسف لم تحضر أى واحدة من النساء ثم مثلت فرقة كشافة حيفة رواية ( الاسود والنعمان ) وفى خلال الثلاثة أشهر — شباط — أذار — نيسان ١٩٢٩ مثل الاعضاء مايزيد على ثمان روايات (١)

هذه لمحة خاطفة عن نشاط الفرق التمثيلية فى فلسطين حتى الثلث الاول من القرن العشرين ولم تكن حكومة الانتداب تشجع التمثيل فى فلسطين لكونة يضر بوجودها . وفى يافا كانت فرقة نادى الشبيبة الارثوذكسية أنشط الفرق التمثيلية فى فلسطين (٢) ثم نشط فن التمثيل فدخل المدارس ومختلف النوادى والجمعيات ثم ظهر العنصر النسائى بشكل واضح فى تمثيل رواية " هملت " لشكسبير التى قامت بها فرقة الكرمل التمثيلية ومن بين الممثلات اللائى أجدن أدوارهن " أسما " خورى وثريا أيوب (٣) وقد تفاعلت هذه العوامل وأسهمت فى فتح نوافذ على الحياة الغربية فازدهرت الترجمة التى كانت من أكبر هذه النوافذ لكثرة الارساليات الاجنبية التى كانت تعلم باللغة الفرنسية والانجليزية والايطالية والروسية والالمانية واليونانية حيث وجدنا أن أول ماترجم سنة ١٨٦٠ تأليف دينية ( مرشد الاولاد ) لفرنسيسكو سوانيواس وقد عربه مينا يوسف دباس اليافوى وطبع فى مطبعة القبر المقدس اليونانية (٤) وطبعت مطبعة الاباء الفرنسيسكان فى القدس قبيل القرن العشرين مائة وعشرين كتابا بالعربية والتركية والارمنية والعبرانية واليونانية فضلا عن اللغات الاوربية كالايطالية واللاتينية والفرنسية والاسبانية (٥) وفى مطلع القرن العشرين وجدنا موضوعات غير دينية مثل كتاب " الامومة عند العرب " ترجمها عن الالمانية بندلى صليبا الخورى وطبع فى قازان سنة ١٩٠٢ (٦) . حتى أذا ظهرت الصحف أتجهت الترجمة نحو الحكايات والقصص والروايات . حيث أخذت الطابع الادبى وكان الاستاذ خليل بيدس من أوائل من مارسوا الترجمة الادبية حيث كان يتقن اللغة

---

( ١ ) النفير عدد ٢٩ ص ٢٩ .

( ٢ ) النفير عدد ٢٩ ص ١٣ .

( ٣ ) النفير عدد ٢٩ ص ١٣ ( ٤ ) م : النفير عدد ٣٠ ص ٣

( ٥ ) المشرق عدد ٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٧٠ ( ٦ ) المشرق عدد ٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٧٠

الروسية فترجم عنها الكثير وفى أعداد مجلته النفائس كان ينشر العديد من الروايات والقصص كما ترجم رواية المملوك الشارد " لجورجى زيدان الى الروسية ومن أوائل المترجمين أيضا الاستاذ أنطوان بلان أحد أساتذة السينما — الروسية فى الناصرة حيث نقل رواية " فى سبيل الحب " ، ١٩١٢ (١) وخواطر من كتاب "طريق الحب " لتولستوى (٢). وغيرها كثير وقد وجدت جميعها فى مجلة الاستاذ خليل بيدس " النفائس المصرية " ومن الذين ترجموا عن الروسية أيضا سليمان بولس أبراهيم جابر ، وعبد الكريم سمعان ولطف الله الخورى ، وكلثوم نصر عودة وفارس نقولا مدور الذين نشروا قصصهم فى مجلة النفائس العصرية ، ومن الذين لمعوا فى الترجمة عن الادب الروسى الاستاذ نجاتى صدقى . كتب للاستاذ ميخائيل نعيمة برسالة بتاريخ ٣ آب ١٩٤٤ جاء فيها " أما الفصول التى تلطفت وقرأتها لى من الدراسة التى تعدها عن بوشكين فقد تركت فى ضميرى كثيرا من السرور مع شىء من الامتنان لك ذاك لانك قمت ببعض الواجب الذى كان من المفروض أن أقوم به أنا نظرا للصلة المتينة التى بينى وبين الآداب الروسية .

فقد رشفتها صافية من منابعها الصافية ولكم تمنيت أن يباح لى نقل بعضها الى لغتنا كيما ينعم أبناء الضاد ولو بنفحات من طيوبها النادرة المنال بين أداب الامم ... وهاأنت (٣) تأخذ الكسندر بوشكين أعظم شعراء الروس وقمة باسقة من قمم الشعر الباسقات فى الارض فتنتقل الى قراء العربية أخبار حياته القصيرة والحافلة بكل جليل ومدهش من الاخبار .... ومما يزيد فى قيمة عملك أنك وقد حصلت قسطا ليس بالقليل تستقى معلوماتك من مصادرها الاصلية ومن ذاك مايغرينى بالامل وقد فرغت من حياة بوشكين أن أراك تنصرف الى نقل بعض المعالم الادبية الى العربية فمن المخجل أن تبقى الى الآن محجوبة عن العرب .... وما من أمة حية — كبيرة كانت أو صغيرة — الاتتمتع اليوم بنصيب من جمالها الفتان وغناها المفرط ودوحها الانسانى العميق (٤) وقد كانت مجلة النفائس لمنشئها الاستاذ خليل بيدس النافذة الواسعة التى يطل منها الادب الروسى ويعد الاستاذ أنطون بلان — والاستاذ نجاتى صدقى ممن أسهموا فى ثراء الادب العربى الفلسطينى بالادب الروسى على صفحات النفائس كما أسهم

---

( ١ ) المشرق عدد ١٢ سنة ٥ /١٩٠٢ ص ٥٧٣ .

( ٢ ) النفائس العصرية جزء ٧ سنة ٤ /١٩١٢ ص ٣٤٢

( ٣ ) النفائس العصرية ج ٧ سنة ٤ /١٩١٢

( ٤ ) بوشكين أمير شعراء روسيا ن سلسلة أقرا رقم ٢٨ المقدمة

( ٥ ) كذا والصحيح " ها أنت ذا تأخذ " د . عبد السلام سرحان .

الاستاذان محمود سيف الدين الايرانى وعارف العزونى فى نقل الادب الروسى المترجم الى اللغات الاوربية الى الادب العربى على صفحات " الطليعة " (١)
كما نشط الاستاذ جبران مطر فى ترجمة القصص عن الالمانية ونشرها فى مجلة النفائس المصرية وكذلك الاستاذ الياس نصر الله حداد ترجم رواية ( ناثان الحكيم ) عن الالمانية للشاعر الالمانى لسنغ وطبعها فى مطبعة دار الايتام فى القدس (٢)
ومن أوجه نشاط الترجمة أيضا ما كان يفعله المجلس المختلط للطائفة الارثوذكسية حيث أعضاؤه أثنا عشر عضوا منهم ستة من الرهبان وسته من العلمانيين وكان من بين العلمانيين الاستاذ خليل بيدس عن الناصرة وكان البطريرك يتلو خطابه فى المجلس باللغة اليونانية ثم يقوم عضو من الاعضاء ويقرأ على المجلس الترجمة العربية للخطاب • وكان الاستاذ توفيق اليازجى يترجم فى مجلة ( الادب ) — قصيدة الخمرة الممزوجة ) للشاعر اليونانى يوانس بوليتى (٣) أما اللغة التركية فقد توجهت الترجمة اليها فى وقت مبكر ولم يستفد الادب العربى كثيرا من الادب التركى بالنسبة لطول الزمن الذى دخل فيه العرب تحت الحكم التركى وذلك يعود أما لضعف الثقافة العربية والترجمة حيث لم تتهيأ الدوافع للترجمة أو لطغيان الادب التركى على الادب العربى بحيث لم يترك للاخير الفرصة لاستظهار الادب التركى والاستفادة منه • وإما لعدم شعور العرب بالفارق بينهم وبين الاتراك لان الشعور بالشخصية وتلمسها كان رد فعل لنزعة التتريك التى دعا اليها حزب الاتحاد والترقى بعد أسقاط السلطان عبد الحميد ومع هذا عرب المؤرخ — الفلسطينى البحاثة عبد الله مخلص كتاب نامق كمال ( سيرة الفاتح ) السلطان محمد الثانى (٤) كما عرب الكاتب الاديب حسن صدقى الدجانى رواية ( حذار (٥) ) كما عرب الاستاذ عارف العزونى ( ترانتابابو ) من رسائل شاب حبشى الى زوجته للشاعر التركى الكبير ناظم حكمت (٦) وعن اللغة الانجليزية يترجم أبراهيم حنا حكاية عن حذاقة الفرنساويين وأدراك الانجليز وتترجم روزحسون حكاية عن زهرة البرتقال " فى النفائس العصرية
وهناك ترجمات دينية ترجمها بولس صدقى من القدس عن كتاب " تسعة أمثال

---

( ١ ) الطليعة الاعداد ٦ ، ٧ ، ١٠ السنة ٢ ص ٥٦٧ — ٥٨٠ ، ٥٩٣ ، ٨٦٩
( ٢ ) الهلال جزء ١٠ سنة ٤ ص ١٤٨٣
( ٣ ) النفائس العصرية جزء ١٢ مجلد ٢ ص ٩٢ — ٩٤
( ٤ ) النفائس العصرية جزء ٢ سنة ٣ ص ٩٥
( ٥ ) معرض أقلام الزهرة عدد ٣ سنة ٢ ص ٩٢
( ٦ ) الطليعة عدد ٤ سنة ٣ ص ٢٤٢

لربنا يسوع المسيح (١) ومن أشهر المترجمين أيضا الاستاذ توفيق الزيبق الذى ترجم مقالا وقصصا لمجلة النفائس (٢) كتاب " ميزان النس " حيث نشر فصولا منه فى معرض أقلام الزهرة (٣) كتاب " الحرية والمعيشة " (٤) وكتاب حديث المائدة للكاتب الاجتماعى الكبير د وزن (٥) وترجم الاستاذ أحمد شاكر الكرمى فى الكرميات التى صدرت سنة ١٩٢١ ( للشاعر الانجليزى شلى ) ( فلسفة ) الحب و (الحرية ) و ( التقلب ) كما ترجم قصة " الفلسفة الشرقية " للكاتب الفرنسى برنارد ين د وسان بيير عن الانجليزية وقصة ( ما أغلاه ) للكاتب الفرنسى جى د ى موياسان نقلها عن الانجليزية ( أسطورة العمل والموت والمرض ) للفليسوف الروسى تولستوى عن الانجليزية و (أسطورة العمل والموت والمرض ) - للفليسوف الروسى تولستوى عن الانجليزية و ( أسطورة الزهرة ) - فينوس عن كتاب الصور لمارك توبين وترجم للشاعر الانجليزى بوب " روايته مى أو الخريف والربيع " ونشرها فى مجلة الرابطة الادبية فى دمشق سنة ١٩٢١ وترجم قصة ( خالد ) للروائى الاميركى ماريون كروفود وقد كان للاستاذ وديع البستانى مجموعة كبيرة من الكتب المترجمة عن الانجليزية فى السياسة والاجتماع والشعر والادب . أما الاستاذ أحمد سامح الخالدى فهو من أشهر من نقل عن الانجليزية بحوثا فى التربية فقد أعتمد فى وشع كتابه ( ادارة الصفوف ) على بحوث بجلى " Begley " طبع فى القدس ١٩٢٨ وأعتمد فى وضع كتابه ( أركان التدريس ) على كتاب ( الاشادات المعلمين ) الذى نشره مجلس التعليم البريطانى وطبع فى القدس ١٩٣٧ ونقل كتاب الحياة العقلية لمؤلفه وود ورث ........ كما نقل كتاب ( الطريقة المنشورية فى التربية والتعليم ) وطبع فى القدس ١٩٢٥ - وترجم الى جانب ذلك ( أقنعة الحب ) للدكتور وليم شيتكل ومدارة التحليل النفسى طبع فى القدس ١٩٤٦ كما أن زوجته عنبرة سلام الخالدى قد قامت بنصيبها فى الترجمة عن اللغة الانجليزية فقد كانت تنشر فى ( الكشاف ) سنة ١٩٢٨ سلسلة مقالات - مترجمة بعد ذلك الياذة هو ميروس عن الانجليزية ونشرتها فى المطبعة العصرية فى القدس سنة ١٩٤٦ وهى منقولة عن ( قصة الالياذة ) لالفرد تشرش . ومن أشهر المترجمين عن الانجليزية أيضا الاستاذ عجاج نويهض أذا ترجم كتاب حاضر العالم

---

( ١ ) النفائس العصرية جزء ١٢ سنة ٢ ص ١٠٠

( ٢ ) فن التمثيل فى خلال قرن يوسف داغر ص ٤٥١

( ٣ ) النفائس العصرية جزء سنة ٣ ص ١٩٨ .

( ٤ ) معرض أقلام الزهرة عدد ٧ سنة ٢ ص ٢١٩

( ٥ ) النفائس العصرية جزء ٢ سنة ٦ ص ٧٣ ( ٦ ) الزهرة عدد ٢ سنة ٥ ص ١٧

الاسلامى لوثروب ستوارد طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٤ وهو الكتاب الذى علق على أصوله تعليقات وافية الاميرشكيب أرسلان فجاء فى أربعة مجلدات وترجم الاستاذ عجاج نويهض كتاب ( النظام السياسى ) نظرياته وأشكاله ) فى القدس ١٩٣٣ وترجم الاستاذ عبد الرحمن بشناق رواية فى سبيل المجد الاثركويلر كلوتش فى القدس ١٩٣٩ وترجم الاستاذ جبرا أبراهيم جبرا ( قصة حياة شلى ) لاندرية موروا وترجم قصة ( البلبل والوردة ) لارسكار وايلد وقصة ( عاشق ) — لجورج موسى وله ترجمات غير ذلك (١) .

## الترجمة عن الفرنسيـــــة :—

لقيت الاداب الفرنسية عناية من الادباء الفلسطينيين الذين تعلموا فى — المدارس الفرنسية توازى مالقيت الاداب الانجليزية ولعل الاستاذ محمد روحى الخالدى يعد من أوائل الذين عنوا بالترجمة عن الفرنسية الى العربية وفى كتاب " فكتور هوجو علم الادب عند الافرنج والعرب ترجمات تاريخية وأدبية وعرض وتصوير واقتباس لكثير من أراء فكتور هوجو فى الشعر والنثر ، ثم دخلت الترجمة مرحلة جديدة بظهور الصحافة حيث أخذت الصحف تترجم بعض القصص والروايات التمثيلية ومن أشهر الصحف التى أعتنت بالترجمة "النفير " " الزهرة " ومن أشهر المترجمين الصحفيين الاستاذ جميل بحرى الذى خصص القسم الاول من " الزهرة " للروايات التى كان معظمها منقولا عن اللغات الاوربية . وقد كان لظهور الاستاذ عادل زعتر فاتحة عهد جديد للثقافة الفلسطينية على الثقافة الفرنسية فمنذ كان فى باريس سنة ١٩٢٣ طالبا فى الحقوق وهو ينقل الروائع من الثقافة الفرنسية الى العربية فى مختلف المجالات من أدب وسياسة وأجتماع وتاريخ وفلسفة وقانون حيث ترجم سبعة وثلاثين كتابا (٢) ونحن لايسعنا أن — نذكر جميع المترجمين فى مختلف اللغات لكثرتهم ولكن يمكننا أن نتصور عددهم أذا علمنا أن فلسطين كانت مجالا خصبا للارساليات الاجنبية لمكانتها المقدسة وما كانت تسعى اليه كل أرسالية من نشر ثقافتها عن طريق لغتها وما تقدمه من مساعدات فى هذا السبيل . وأذا ، علمنا أن كل دولة أجنبية لها إرسالية فى أكثر من مكان واحد مثل بريطانية وفرنسه وأمريكة وأيطاليا واليونان والمانية

(١) حياة الادب الفلسطينى ص ١١٤ — ١١٥

(٢) حياة الادب الفلسطينى ص ١١٤ — ١١٨ .

وروسية أذا علمنا هذا أدركنا مدى أنتشار الثقافات الاجنبية بلغاتها فى فلسطين لذلك بدأت الترجمة بالكتب الدينية ثم المدرسية وقد كانت هذه الارساليات ترسل المتفوقين من طلابها الى وطنها الأم فى بعثات دراسية ليزدادوا اطلاعا على ثقافتها واتقانا للغتها •

## أثر الارساليات التبشيرية فى الحياة الثقافية بفلسطين :-

بعد أن استعرضنا الحياة الثقافية ببواعثها المختلفة نلاحظ ان الارساليات التبشيرية الاجنبية قد أسهمت فى هذه البواعث اسهاما كبيرا ان لم تكن قد هيمنت عليها تماما • فلقد أحدث ضعف الدولة العثمانية سياسيا وثقافيا فى البلاد العربية فراغا سرعان ما ملأته الدول الغربية الطامحة فى البلاد العربية وقد كان لموقع فلسطين الجغرافى والتاريخ الأثر الأكبر فى تركيز هذه المطامع عن طريق زيادة نشاط الارساليات التبشيرية • والتاريخى

ولقد كانت مهمة هذه الارساليات الأولى هى قطع الرابطة التى تربط بين العرب والخلافة العثمانية عن طريق استغلال مظاهر الضعف فى الخلافة ثم اضعاف الوازع الدينى فى نفوس الشبيبة العربية لذلك كثيرا ما كانت تتظاهر بأسم التفكير الحر والبحث العلمى والتسامح الدينى للطعن فى المقدسات والتراث الروحى متخذة من المواقف السلبية للخلافة العثمانية - اتجاه العرب - حجة لها ونحن نلاحظ انه لم توجد فى فلسطين دعوة اسلامية حرة تلفت الأنظار الى قداسة هذا البلد التى بارك الله فيها فى قوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم " (١)

لتبعث فى نفوس المسلمين العظة والعزة التى بها يرفضون كل ثقافة غير اسلامية لانها أجنبية بكل صورها والوانها • بل رأينا بواعث الحياة الثقافية المختلفة تصبغ بصبغة تبشيرية فمدارس الارساليات التبشيرية تنتشر فى كل فلسطين ويتهافت الطلاب المسلمون عليها وهى لا تدرس شيئا عن الاسلام بل وتدرس لهم اشياء عن المسيحية حسب الطائفة التى تنتمى اليها هذه الارسالية وكذا الطباعة فأول

---

(١) سورة الاسراء الايـة الاولـى

ما عرفت عن طريق اليهود سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم أق " في القدس أول مطبعة في فلسطين أما الصحافة • فقد كان للمسلمين فيها نشاط ملموس ولكن الموضوعات التي تنشر قد كانت بعيدة عن التوعية والثقافة الاسلامية وهذا يعود اما الى مؤسسى هذه الصحف ضعيفي الثقافة الدينية بسبب تعلمهم في مدارس تبشيرية او ان الموضوعات الدينية لم تلق رواجا بسبب ضعف الثقافة عند المسلمين وكذلك الجمعيات والأندية فقد انتشرت في فلسطين بأسماء مسيحية لكل الطوائف وتعد هذه الجمعيات بنشاطها ثمرة للمدارس التبشيرية كما يعد التعليم نشاطها النظرى وكذلك الاذاعة فان أثرها لم يكن فعالا كأثرها اليوم لقلة من يملك أجهزة الراديو ثم ابراهيم طوقان الذى درس في الجامعة الاميركية في بيروت لا أجد في ديوانه قصيدة واحدة تشير الى اى أثر للدين في تفكيره ثم التمثيل الذى هو أبعد ما يكون عن النزعة الدينية ثم الترجمة التي نشطت في فلسطين نشاطا ملموسا أظهرت مدى فاعلية المدارس التبشيرية في الناشئة الفلسطينية ويكفي أن الأستاذ عادل زعيتر وحده قد ترجم سبعة وثلاثين كتابا عن الفرنسية •

كل هذا يلقى ضوءا على البيئة الثقافية التي نشأ فيها الشيخ يوسف النبهاني الذى نشأ في بيئة ثقافية في قريته — أجزم — التي تختلف عن البيئة الثقافية الفلسطينية العامة • فقد كان تعليمه بعيدا عن متناول المدارس التبشيرية في قريته وعلى والده الأزهرى فقط حتى اذا بلغ السابعة عشر من عمره رحل الى الأزهر الشريف ليشرب من النبع الدينى صافيا من أيدى علمائه الذين حرسوا هذا الدين في أحلك العصور وأظلمها ومازالوا يفعلون •

ولعل هذا كله يفسر لنا كيف أن النبهاني لم يستسغ مؤثرات الحضارة الغربية في عصره والتي كانت تفتح قلوب المثقفين في بلاد الشام لها بكل قوة ولكنها لم تستطع ان تؤثر في الشيخ النبهاني ليسمعها فقط بل لقد زادته عنادا وكبرياء عليها وكان لا يلتفت لها الا بعد أن ينظر حكمها في القرآن والسنة حتى اذا وجدهما يرفضانها ضرب بكل المسوغات التي أخذ الناس بها عرض الحائط ومن هذه المسوغات تغير الأحوال والازمان والضرورات الاجتماعية ومقتضيات العصر وغيرها ثم يعود ليتغنى بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تمجيدا وتبجيلا وكأنه يرى فيه وحده الأنموذج الذى يجب أن يحتذى وانه الانسان الكامل بما دعا اليه من تعاليم الاسلام التي بها وحدها خلاص البشرية من مشاكلها وآلامها •

ولعل المغايرة الثقافية بين حالة العصر وما عليه المثقفون المسلمون من تفهم واستيعاب وأحيانا من انتقال للمؤثرات الثقافية الأجنبية المسيحية وبين الواقع الثقافي الاسلامي الذي نشأ عليه النبهاني ولا يعرف غيره .

ولعل هذه المغايرة بين الثقافتين قد ولدت كبتا في نفسية النبهاني وغربة طرد وحشيتها بالالتجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم جاعلا منه متنفسا لهذا الكبت ورفيقا في هذه الغربة فأثمرت عقليته الواسعة الأفق الدائمة النشاط تآليف كثيرة وقصائد مطولة - فوق العادة - كلها تدور حول موضوع واحد وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ظهرت هذه النزعة واضحة وصريحة في بعض مدائحه النبوية مثل قوله :-

| | |
|---|---|
| واذا ليل غرامي أظلما | ولنفسي لم أجد من مؤنسي |
| أجد الراحة في شعري فما | نفس الكربة الا نفسي |

وأما شعوره بالغربة فهو واضح في كثرة شكواه من الزمن وقد أفردنا له غرضا مستقلا من أغراض شعره والنبهاني بثقافته ومواقفه من ثقافة عصره يعد ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي لم تتكرر في غيره فيما أعلم .

ولعل انفرادها وعدم تكرارها راجع لعدم تشابه الظروف بينه وبين غيره اضافة الى اسبابها الشخصية وبهذا نستطيع ان نفسر قول الدكتور عبد الله كنون :-
" ان النبهاني قد تأخر به عصره وبهذا ندرك كيف عاش النبهاني غريبا ومات غريبا " وطوبى للغرباء " .

.......

# الباب الاول

## ( عصره وبيئـــة )

### الفصل الرابـــع :

### الحياة السياسية والاجتماعيـــة :

### النظـــام الاداري :

عندما استولت الدولة العثمانية على بلاد الشام اناطت الحكم فيها بولاة كانت تعينهم من بعض الموظفين الذين ترافقهم قوات عسكرية وقسمت البلاد الى ايالات : الشام وحلب وطرابلس الشام ، وعلى رأس الايلة موظف يعرف بالوالي يعود بأموره الى وزير الداخلية في استانبول ، وكل ايالة تشتمل على عدة ألوية أو متصرفيات يحكمها الوالي أو المتصرف ، وتتألف المتصرفية من عدة أقضية يحكم كل قضاء منهـــا قائم مقام وكل قائم مقامية تتألف من عدة نواح يحكم كل ناحية منها مدير ناحية وتضـــم الناحية عدة قرى ينوب في كل منها عن مدير الناحية أحدها ويعرف بالمختار وكانت ولاياتها هي :ـ

١) ولاية حلب وتشمل شمال البلاد السورية :

٢) ولاية طرابلس الشام وتشمل وسط البلاد وتضم طرابلس وحماه وحمص والسلمية وجبلة .

٣) ولاية الشام وتشمل جنوب البلاد وكانت تتألف من دمشق والقدس وغزة ونابلس وتدمر وبيروت وصيدا وفي عام ١٨٦٠ م أنشئت ولاية صيدا لتضم مدن السواحل وعلى أثر الفتنة بين الدروز والنصارى استقل جبل لبنان ( ولا يضم بيـــروت ) استقلالا اداريا بوحدة ادارية خاصة يتولاها متصرف برتبة وزير مرتبط برئيـــس الوزراء الذي كان يعرف بالصدر الاعظم ، وحوالي عام ١٨٨١ أنشئت متصرفية القدس وصارت تتبع وزارة الداخلية في العاصمة استانبول مباشرة ، والحـــق بها أقضية يافة وغزة والخليل وبئر السبع . كما أنشئت في السنة ذاتهـــا متصرفية بدير الزور ، وفي سنة ١٨٨٨ أنشئت ولاية بيروت لتحل محـــل ولاية طرابلس وصيدا ويتبعها متصرفيتا نابلس وعكة ، وكانت تضم متصرفيـــات حماه وحوران والكرك التي أنشئت سنه ١٨٨٧ وعجلون ويتبع حوران متصرفيـــه

الكرك أقضية السلط ومعان والطفيلة .

وفي سنة ١٩١٠ كان قضاء عجلون يتألف من مدينة واحدة هي أربد ومن ناحيتي كفرنجة والكورة كما أن متصرفية الكرك كانت تشمل ثلاثة أقضية وهي السلط ومركزه السلط ويتبعه ثلاث نواح هي مادبا والطفيلة وعمان وتسع قرى و ١٢ مزرعة وقضاء معان وقصبته معان ويبقى ناحية الشوبك وقضاء الطفيلة المؤلف من الطفيلة وقراها (١) .

يقول الاستاذ خليل طوطح " .... أما في القرن التاسع عشر فقد أنتاب فلسطين تقلبات ادارية كثيرة نلخصها فيما يأتي :—

كانت عكة حاضرة فلسطين الادارية الوحيدة ثم أقتطعت صيدا قسما منها وبعد حين أخذت الشام نابلس وبلادها وظلت البقية تابعة لعكة ثم التحقت جميعها بالشام مركز الحاكم العام " باشا الدورة " أما النظار والمتسلمون " حكام البلاد " فكانوا وطنيين من أبناء فلسطين يحكمون مقاطعاتها ويجبون الضرائب ويجمعون الجنود ويطوف عليهم " باشا الدورة " فيأخذ منهم ما تعهدوا به فلما اعتزم السلطان محمود الاصلاح ألغى فرق الانكشارية وإبادها ومحا الطوائف الأخرى واستبدل بها فرقا منظمة وغير العمامة بالطربوش الرومي وتزيا بالزي الأوروبي وأمر بأتخاذه زيا رسميا وعسكريا ثم جاء بعده من السلاطين من نفوا بعض النظار من أمراء الاقطاع الى طرابزون وحولوا النظارات والمتسلميات الى مديريات على رأسها وطنيون ثم ألغيت المديريات وتجرد المشايخ من الوظائف المحلية الاقطاعية واستولى الاتراك على البلاد فعلا فأمروا بتحرير النفوس وطوبوا الأرضين ونظموا ادارة الامن العام وأسسوا العدلية فكانت محاكم فلسطين تستأنف الحكم الى عدلية الشام ثم تحولت الى عدلية بيروت وامتازت القدس فصارت متصرفية تخابر الأستانة مباشرة في الأمور الادارية وفي ابتداء القرن العشرين تأسس فيها محكمة استئناف فأنضم اليها لواء نابلس وظل لواء عكة ملحقا ببيروت ومن ثم حكم العثمانيون البلاد بلا واسطة فأرسلوا مأموريهم الاتراك وقبضوا على دفة الادارة واتصلوا بالشعب ولكنهم تقربوا من أصحاب النفوذ وراعوا امتيازاتهم القديمة لا ستمالتهم فتمادوا في غطرستهم واستعانوا بقوة الحكومة واتخذوها آلة لتنفيذ مآربهم وتسابقوا الى الطاعة وترويج أوامر الحكومة ابتغاء الحظوة عند المأمورين وكان من كسب ثقتهم وظفر بودهم يعد

---

(١) بلادنا فلسطين — الديار النابلسية — ج ١ ص ٩ — ١٠ . بتصرف

سعيد الأنه يستفيد من صحبتهم بغض أبصارهم عن أعماله مهما كانت فيبطش ويستبد[1] .

وخلاصة القول أن فلسطين قد قسمت الى ثلاث متصرفيات فى العهد العثمانى هى :-

١ ) متصرفية القدس ومركزها القدس وهى تتبع الاستانة مباشرة وتشمل مدن غزة وياقة وبئر السبع واللد والرملة ورام الله وبيت لحم والخليل والمجدل . ويافه

٢ ) متصرفية نابلس : وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق نابلس وقلقيلية وطولكرم وجنين وغور الفارعة .

٣ ) متصرفية عكة وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق عكة والناصرة وصفد وطيرية[2]

ومما تجدر الاشارة اليه ان الخلافة العثمانية لم تكن تميز او تفاضل بين ولاياتها عربية كانت أو غير عربية وعلى هذا نصت المادة الثانية من القانون الأساسى الذى اصدره الخليفة العثمانى بكتاب توجيه الى وزيره فى ٧ من ذى الحجة ١٢٩٣ على ما يأتى :-

الفقرة الاولى :-

" ان الدولة العثمانية تحتوى على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايالات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تجزئته بوقت عن الاوقات أو بسبب من الاسباب" .

الفقره الثانية :-

" ان مدينة استانبول هى عاصمة الدولة العثمانية[3] ومقرها غير معفاة أو ممتازة عما سواها من جميع البلاد العثمانية " وعند ما خضعت فلسطين للاستعمار البريطانى بعد الحرب العالمية الاولى قسمت الى ستة الوية وضمت ستة عشر قضاء على النحو التالى :-

١ ) لواء القدس ويضم : القدس والخليل وبيت لحم ورام الله واريحا وبيت ساحور والعيزرة .

٢ ) لواء غزة ويضم المجدل وبئر السبع والفالوجة واسدود وخان يونس ورفح والنقب ومركزه غزة .

---

(١) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦١ - ٢٦٣

(٢) جغرافية فلسطين محمد سلامة النحال ص ١١٣

(٣) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جـ ٦ ص ٥ جمع سليم فارس الشدياق وكذلك الجوائب عدد ٨٣٦ يوم الخميس ١٩ ذى الحجة ١٢٩٣هـ .

٣ ) لواء اللد ومركزه يافة ويضم ثل أبيب واللد والرملة ويافة .

٤ ) لواء السامرة ومركزه نابلس ويضم جنين وطولكرم وقلقيلية .

٥ ) لواء الجليل ومركزه الناصرة ويضم صفد وطبرية وخطين وسقوريا وترشيحا وسمنح وبيسان .

٦ ) لواء حيفة ومركزه حيفة ويشمل مناطق حيفة وعكه وشفا عمرو .

وفيما بعد أعادت حكومة الانتداب تقسيم فلسطين الى اربعة الوية هي :ـ

١ ) اللواء الجنوبى ومركزه يافة .

٢ ) اللواء الشمالى ومركزة حيفة .

٣ ) لواء الجليل ومركزة الناصرة .

٤ ) لواء القدس ومركزه القدس .

## المسألة الشرقية :

وهى عبارة عن أطماع الدول الغربية لاقتسام املاك الدولة العثمانية ـ الرجل المريض ـ بحجة حماية الأقليات الدينية وتحرير الشعوب ولعل المسألة الشرقية تبدو واضحة بعد ثورة اليونان على السلطنة عام ١٨٢٥ فأتجهت أنظار الساسة الأوروبين الى تركية وهم بين طامع فيها يود تقسيمها ومحافظ عليها يود أن يجعلها ترسا لمصالحه ، وقد كانت هذه الأدوار تتوزعها روسية والمانية وفرنسة وبريطانية حسب مصالحها غير أن الدول الأوروبية كانت على اتفاق بصدد تحرير اليونان عملا بمبادىء الثورة الفرنسية ظاهرا وتحقيقا لتحرير العناصر والدول المسيحية من ربقة حكم الاسلام باطنا ،ولما رفض الباب العالى تدخلهم أحرقوا الاسطولين العثمانى والمصرى فى موقعة نافارين باليونان وزحفت روسية لتحرير مكدونيا وما حولها ومن هنا كانت بداية " المسألة الشرقية " فى عرف الدول الغربية وهى فى الواقع رجعة الى الحروب الصليبية من جانب أوروبة حيث أتخذ بعضها المطالبة بالاصلاح وحماية ومساواة الأقليات فى الحقوق حجة لتدخله وكانت روسية تطالب باجلاء المسلمين عن سائر أوروبة المسيحية . ولما تقدمت جيوش ابراهيم باشا المصرية سنة ١٨٣٩ م واحتلت سورية كلها ودخلت تركية متوجهة الى دار الخلافة وقفت الدول الأوروبية الى جانب تركية وأعادت سورية لدار الخلافة ، وعندها أصبح مصير تركية بين أيدى ساسة اوروبة عندها أعلن السلطان عبد المجيد " فرمانا سلطانيا " وعدة اصلاحات لتحسين وضع الاقليات (١) كانت تسير ببطء لقلة الاكفاء من رجال الدولة بالاضافة الى

---

(١) أوليات سلاطين تركيا محمد جميل بيهم ص ٤٤ ــ ٤٥

ان رعاياها كانوا عقبة كأداء فى سبيل تحقيقها • وقد أشار فيكتور بيرار الى هـــذا فقال " لقد كان المسلمون يطلبون الأفضلية التى يجب أن تكون من نصيب المؤمنين وحدهم فى بلاد الخلافة بينما كان النصارى يحرصون على الحقوق والامتيازات المورثة التى كانت لطوائفهم ولكنائسهم وكان وراء المسلمين الاسلام وعطف الدولة وكان خلف النصارى الدول الأوروبية ودسائسها وتدخل جيوشها (١) •

وقد أدت روسية دورا مهما فى عرقلة مساعى الاصلاح واثارة الدول الاوروبيـــة لتجزئة السلطنة واثارة الفتن فى أمصارها عن طريق تزويد دول البلقان بالســـلاح (٢) ولما أشهرت روسيا الحرب على تركية فى حرب القرم عام ١٨٥٣ وقفت تركية وفرنســة وانجلترا ضدها فشلت مطامع روسية ولكن هذه الحروب حملت الخلافة عجزا ماليــا جعلها تقدم على أول قرض من أوروبة •وقد اضطرت السلطنة لان تصدر فرمانا بأسم " الاصلاحيات الخيرية " مؤكدا لمضمون الاصلاحات التى أعلنت على أثر الحملـة المصرية ترضية لباريس ولندن (٣) وهو المشهد نفسه الذى حدث حين قامت فتنة فـى بلغارية فى عام ١٨٧٥ وجعل الأتراك يطاردون الثوار ويتعقبونهم من مكان الـى آخر حتى لجأوا الى احدى قرى بلغارية واسمها " بتـــك "
ودخلوا كنيسة القرية يلوذون بمقدساتها فما كان من الأتراك الا ان صبوا عليهـــا البترول وأشعلوا فيها النار حتى أفنوهم عن آخرهم وقدر عدد الضحايا بنحو خمسة آلاف نفس • فلما وصل نبأ هذه الفظائع الى حكومات أوروبة ثارت ثائرتها وأعـــلن جلادستون السياسى الانجليزى الشهير قولته المعروفة " ان الأتراك يجب أن يرحلوا عن أوروبة بقضهم وقضيضهم " •

واجتمع مندوبو الدول فى استانبول يتداولون ويبحثون فيما يجب اتخاذه مـــن القرارات والضمانات حتى لا تتكرر مثل تلك المآسى فى البلاد الخاضعة للسلطـــان خاصة أوروبة • وبينما كان المندوبون جالسين فى مداولاتهم اذا بطلقات المدافع

---

(١) فلسفة التاريخ العثمانى محمد جميل بيهم ج ٢ ص ١٥٩ راجع ايضا كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٧٩ - ٨١ •

(٢) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٢ - ٧٣ راجع ايضا تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١ •

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٠ •

من قلاع استانبول تطرق آذانهم وتعلن للملاء صدور دستور جديد للبلاد عام ١٨٧٦ (١) وهى بداية تولى السلطان عبد الحميد الثانى للحكم • ومن باب " الشىء بالشىء يذكر " نود أن نذكر ما لحق المسلمين البلغاريين على يد الروس من قتل وعذاب فقد نشرت الجوائب ترجمة المضبطة التى كتبها ووقعها عدة من مراسلى ومخبرى الجرانللات الاجنبية نقلا عن جرنالات بك أوغلى وهى " نحن مخبرى الجرنالات الاجنبية الواضعين أسماءنا وامضاء نابذيل هذا الرقيم القاطنين الان فى شملة نرى من الواجب علينا ان نعيد هنا على سبيل الاجمال ما حررناه سابقا بالتفصيل الى الجرنالات من جهة الفظائع المغايرة للانسانية التى جرت فى البلغار على المسلمين البريئين ونصرح بأنا رأينا بأنفسنا فى زغراد وشملتا نساء واولادا و رجالا مجرحين بضرب السيوف ووخز الرماح من عساكر الروسية وفى بعض الأحيان من البلغاريين وسمعنا أيضا منهم أن سكان عدة قرى من المسلمين قتلوا عن آخرهم وطرحت جثثهم فى مواطنهم وفى الطريق وفى كل يوم يأتى كثير من المجروحين ونصرح أيضا بأن اكثر هؤلاء المظلومين من النساء والأطفال " محل الامضاء فتسفرلر مخبر منشتر غارديان ساترغر كويلنغ زيتنغ وغيرهم (٢) •

أما حماية الأقليات فكما أنها أربكت الدولة العثمانية للتميز بين رعاياها فى الحقوق والواجبات ‥ ألحقت أضرارا بالغة بالمسلمين وهم الأكثرية الذين عاشوا مئات السنين مع هذه الاقلية ولم يميزوا أنفسهم عنها بشىء وقد ظهرت حاجة الأقليات للتمييز نتيجة لأطماع وتحريض الدول الاجنبية التى جعلت من علاقتها الدينية بهذه الأقليات وسيلة للتدخل فى شؤون الدولة العثمانية تمهيدا لاقتسامها وقد نالت هذه الأقليات امتيازات كثيرة نتيجة لرعاية الدول الأجنبية الغنية لها فنالت حظا وافرا من التعليم والمساعدات الاقتصادية مما أهلها لأن تظهر وتعلو على حساب الاكثرية المسلمة التى لا ذنب لها الا أنهم مسلمون وقد أصبحت هذه الاقليات ركائز ثقافية واقتصادية للدول الغربية التى يتشابهون معها فى الطائفة الدينية وكانت ايضا محاطة بسور سياسى استعمارى بحراسة دول أجنبية لم تربطها بهذه الاقلية أى رابطة طيلة مئات السنين •

---

(١) التوجية السياسى للفكرة العربية الحديثة ص ٨٣ — ٨٤ •

(٢) الجوائب عدد ٨٨٠ ص ١٨ رجب ١٢٩٤

وأضرب مثلا واحدا لأقلية يهودية فى صفد وكيف أنهم كانوا مدللين بفضل حماية الدول الأجنبية لهم " فقد ذكر السائح الانجليزى الموجود سنة ١٩٤٥ ( كينجلسوك King Locke ) فى كتابه " Eathon " فى الفصل الذى عقده باسم النبى دامور يقول فيه " سمعت وأنا فى طبرية ان أهل صفد متعصبون ويكرهون الأجنبى لذلك لم أدخل المدينة بل نصبت خيامى فى ظاهرها وتحت جنح الظلام زارنى وفد من يهود صفد وكم ضحكت عندما خاطبنى أحدهم بقوله : يا مواطنى مع أنه مولود فى جبل طارق باسبانية ثم قال ، ان حالتهم سيئة جدا ولم يذوقوا طعم الراحة فى صفد ، ولكنهم مضطرون للبقاء فيها بسبب قداستها وفى هذه السنة أصيبوا بنكبة فادحة فان أحد دراويش المدينة واسمه الشيخ محمد دامور وقف مرة فى السوق وصاح بأعلى صوته " ان اليغمة " ( الهجوم ) على حارة اليهود قريبة فى أول ربيع سنه ١٢٥٠ هـ فمر الناس به غير مكترثين وما ان حل اليوم الموعود حتى كانت جموع القرى تملاء حارة اليهود ومحمد دامور يتقدمهم وهو يصيح : هذا هو اليوم الموعود فهرب أكثرنا والذى بقى لم يتجاسران يبدى حراكا حتى كان الولد المسلم الذى لم يتجاوز الثامنه عشر من عمره ينهب الدار وصاحبها اليهودى لا يجرؤ على رفع رأسه اليه فضاعت أموالنا وأمتعتنا وكل ما نملك ثم علا نشيجه حتى استدر عطفى ، وتكلم الثانى ورجانى أن اعمل ما فى وسعى لانصافهم فقلت فى نفسى يجب الا أتدخل فيما لا يعنينى ومع ذلك طيبت خواطرهم وقلت لهم سأتوسط لكم عند الباشا وصديقى قنصل بريطانية فيها وصرفتهم ولكنهم عادوا بعد خطوات قليلة يرجوننى ألا أذكر على ألسنتهم أى شىء لأن ذلك سيؤدى الى الشدة عليهم من جديد ولا فائدة من مراجعة الحكام فانهم شركاء فى أموالنا من أصغر فلاح الى الوالى نفسه وفى الصباح جائتنى نساؤهم بأنواع الكعك والحلوى وقنانى الخمر التى اكتسبت لونها من حمرة خدودهن[1] وارسل وجوه صفد رسالة الى الامير خليل ابن الامير بشير الشهابى الثانى صديق المصرين ذكروا فيها " .. وحارة اليهود فى نفس صفد صار عليها نهب من أهالى الدبرة والجبل ... ولما علم بشير الشهابى أن كل شىء تم فى صفد قصدها من الصفصافة ولما وصل اليها جمع اليهود فيها وسألهم عن منهوباتهم فقالوا : لا يعلم مقدار ذلك الا الله ولكن المال وحده يزيد على أربعة وتسعين خزنة فى كل خزنه عشرة أكياس وفى كل كيس خمسمائه ذهبة

---

(١) من تاريخنا محمود العابدى ج ١ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨

فطلب من الأعيان تقديم هذا المبلغ فاقسموا له باغلظ الأيمان أن كل ما يملك يهود صفد لايوازى عشر معشار ما ادعوه فلم يسمع كلامهم بل ضبط بيوتهم وأرزاقهم وأخذ يعذبهم حتى هرب كثيرون منهم الى عكة والناصرة وغزة ودمشق ومصر وهذا سر كثرة أسماء أسرة الصفدى" • فى خارج صفد ويقال : انه مات عدد عظيم من الرجال تحت أسواط عذابه ثم أرسل الى سجن عكة ثمانية عشر من ذوى المقام فيها • ومنهم نائب صفد ( عبد الغنى النحوى ) ومفتى صفد ( محمد السلطى ) والنقيب السيد على ومصطفى العبدونى وسليم محمد القواسمى وغيرهم •

ومما تجب ملاحظته أن القناصل الأوروبين والمؤلفين والمغرضين قد بالغوا فى الخسائر التى اصابت يهود صفد وها هو ذا جرمانوس بحرى الذى أرسل الى صفد ليدرس حالة اليهود عاد بتقرير الى محمد على باشا والى مصر يقول فيه :—

بما ان قناصل الدول قد أكدوا لليهود أن الحكومة المصرية ستدفع خسائرهم من خزانتها فان الكثير من اليهود قد اعتدى على الحق وبالغوا فيه ولقد بذلت قصارى جهدى فى أن احمل الحاخامين على الرجوع الى الحق ولكن لم أنجح [٢] •

وفى هذا الموضوع كتب حنا بك بحرى الى ابراهيم باشا كتابا هذا نصه :

" ان شقيقى عبدكم كان قد ذهب الى صفد بمأمورية تحقيق منهوبات اليهود القاطنين فى الجهة المذكورة فعند وصوله الى هناك علم أن قوائم المنهوبات المقدمة من طرف هؤلاء اليهود تتضمن أشياء لا وجود لها كما أن الثمن المقدر للاشياء المدونة يبلغ الضعف لأنهم زعموا — باغواء بعض وكلاء القناصل — أن بدل منهوباتهم سيصرف لهم من الخزينة وبما ان الكولونيل كامبل ( قنصل بريطانية فى الاسكندرية ) قدر خسائر اليهود بسبعين ألف جنيه وهو من المقاومين لسلطان محمد على فعلينا أن نفترض على صحة ما قيل من أن محمد على لم يعتقد أن هذه الخسائر تجاوزت ٢٥ أو ٣٠ الف جنيه وعندنا وثيقة رسمية محفوظة فى السجلات الملكية فى القاهرة كتبها باغوص بك الأرمنى فى ٢٢ ربيع الاخر سنة ١٢٥٣ هـ بأنه علم من افادة : جواز اعطاء الرد بعدم ورود تعليمات عند وقوع استفهام من قناصل الدول الاربع عما يختص بمسأله صفد • والباعث لذلك ما ورد من سليمان باشا (الجنرال سيف

---

(١) من تاريخنا محمود العابدى ج ١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢ — ٢١٣

الفرنسى ) رئيس الجهادية وأنه قد استحب اعطاء الاجابة عند الاقتضاء هكذا
" أمر من محمد على باشا الى باغوص بك فى ٢٩ رجب ١٢٥٣ خ " قد علمت
نتيجة تقارير القناصل الجنرالية المختصة بمادة سلب يهود صفد المقال بوقوع ذلك
بأدلة غير مقبولة وتصميمهم على مصادرة أملاك أناس فقراء مسلمين تلك الجهات
الغير مجنوحين فيها وبما أن قبول رغائب المؤما اليهم هذه أمر لا يتصور ولم يسبق
تنفيذ أغراض مثل هذه فى مملكة ما كما هو فى احاطة علمهم لكن ما دام أصدقاؤنا
القناصل أصروا وصمموا على ذلك فتخلصا من هذه القائلة قد صدرت الاوامر خطيا
الى سليمان باشا ببيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم أثمانها على المدعين كذبا
وتلك الأوامر مرسلة على طيبة لتسليمها الى القناصل ليوصلوها بمعرفتهم الى الباشا
المومأ اليه ومع كل هذه الترضيات التى قدمها محمد على باشا الى الدول الاربع
بريطانية والنمسة وروسية وبروسية فانهم لم يرضوا عن حكومته وساعدوا الدولة العثمانية
عليه ولما تكاثفت هذه القوى على ابراهيم باشا واضطر لمغادرة الشام الى مصر لحقه
الجنرال جوكموز JOKMOS من حاصبية الى صفد فى أول كانون اول سنة
١٨٤١ ولما لم يدركه فيها فقد أسرع الى جنين وهكذا عادت البلاد الى الحكم
التركى (١) .

من هذه الحادثة نلاحظ دهاء اليهود وسياستهم فى تقديم نسائهم الى
الرحالة الانجليزى كينغ Kinglocke ثم نلاحظ الشدة البالغة فى عقاب
أهالى صفد من قبل والى عكة الأمير خليل ابن الامير بشير الشهابى وكأن فى نفسه
عقدة الخوف من أن تتخذ الدول الغربية هذه الحادثة وسيلة للتدخل والاحتلال .

ثم نلاحظ كذب اليهود فى تقدير الأموال المنهوبة التى لا يعقل أن تكون كل
هذه المقادير منها عند هؤلاء النفر من اليهود فى قرية صغيرة مثل صفد ، وقد كان
كذبهم واضحا كما جاء فى تقرير جرمانوس بحرى وكذلك فى رسالة حنا بحرى السالفة
الذكر ، وما يلاحظ من رسالة حنا بحرى من ان الوالى محمد على باشا أمر ببيع
جميع أملاك أهالى صفد لتقسم على اليهود فيها لترضية الدول الأربع بريطانية
والنمسة وروسية وبروسية خوفا من تدخلها فى أوضاعه الداخلية ليس أكثر ، ومع
هذا وقفت هذه الدول الى جانب تركية واثارة (واعادت) سورية اليها .

---

(١) من تاريخنا ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٦

والمسألة الشرقية قامت على أساس التعصب الدينى لفصل البلاد البلقانية عن الدولة العثمانية ولجعلها مسيحية وعن طريق امتيازات الأقليات الدينية فى البلاد العربية كل هذا كان واضحا من خلال العرائض التى كانت تنهال على الملكة فكتورية طالبة انقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين (١) وكان جلادستون زعيم حزبى الاحرار فى انجلترة يلقى الخطب ويؤلف الرسائل ناسبا الى تركية اضطهاد المسيحين مشيرا الى السلطان عبد الحميد بقوله " الشيطان " عدو المسيح " وهذا اللورد كرومر سكرتير سفارة انجلترة فى الآستانة يكتب تقريرا مطولا عن المسألة البلقانية ينسب فيه الى المسلمين ارتكاب جرائم بشعة فى الانتقام من المسيحيين مقترحا أن يكون حكام هذه الأقاليم مسيحيين (٢) كما اقترح أحد كتاب فرنسة القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونقل عظامة الى متحف اللوفر فى باريس (٣) كل هذه الشواهد تدل على ان الروح العدائية الغربية تجاه الخلافة العثمانية كانت صليبية عدوانية .

ولكن المسألة الشرقيه لم تخل من بعض المسائل الايجابية بآثارها على الشرق يقول الأستاذ العقاد " وكانت المسألة الشرقية قد تمخضت عن دورآ خروراء دور الحروب الصليبيه وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة الرجل المريض فبعد ان كان الغرض من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من أملاك الدولة العثمانية اصبح هذا الغرض كما قلنا فى كتاب ضرب الاسكندرية هو تقسيم اقطارها جميعا من مسيحية واسلامية وتبادل الاغضاء عن كل نصيب متفق عليه يقع فى قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها بقيد الحياة (٤) " .

" الا أن المسألة الشرقية صنعت من المعجزات فى ايقاظ الشرق مالم تصنعة الحروب الصليبية لأن الشرق العربى انتصر على الغرب فى تلك الحروب ورد عادية الدول الاوروبية عن ذماره فقنع بما انتهى اليه وبقى على حاله التى هو فيها وهبط من بعدها دركا تحت درك حتى أصبحت امه بين موروث بقيد الحياة وبين ميراث

---

(١) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٤ .

(٢) تاريخ الدولة العلية ص ٣٣٩ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٨٠١ .

(٤) محمد عبدة — العقاد ص ٩ — ١٠ .

كأسلاب الغنيمه بيمن يقدرون على السلب والاقتسام •

نعم ان المسألة الشرقية جاءت فى أوانها هذا فصنعت من المعجزات ما لم تصنعه تلك الحروب وكان سر هذه المعجزات أنها فتحت اعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه وعلمته قهرا ما كان يأبى أن يتعلمه بأختياره فأدرك حاجته الى التغيير العاجل وأدرك ما هو ألزم له من ذلك وهو حاجته الى علم يجهله واعتقاده أن أمم الغرب قد انتصرت بذلك العلم عليه وأنه لا غنى له عن ذلك العلم ليستعيد القوة التى انتصر بها على أعدائه قبل أن ينتصروا عليه ويأخذوا عليه كل طريق غير طريق الفناء ومن لم يطلب التغيير بعلم يتعلمه من المنتصرين عليه كان أبله أو أحمق فقد آمن بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وآمن بأن قومه غيروا دينهم فتخاذلوا واتخذلوا فلا نجاة لهم بغير الرجوع الى الدين الصحيح مبرأً من لوثة البدعة والخرافة سليما من شبهه الدجل والغفلة (١) •

وقد كان الشيخ يوسف النبهانى من القائلين بهذا الرأى من وجوب الأخذ بأسباب الصناعات الحديثه على ألا تكون على حساب ديننا كما سنوضحه فى معالم شخصيته ان شاء الله تعالى •

## الجامعة الاسلاميـــة :

تسلم السلطان عبد الحميد العرش عام ١٨٧٦ وقد كانت السلطنة تعانى أشد الأزمات فقد استنفدت أموال القروض ولا سيما منذ اصبحت مشفوعة بتبذير عمه السلطان عبد العزيز فى حين أن أوروبة التى كانت تلح على تركية من اجل تحقيق ما وعدت به من الاصلاحات وتهددها اذا احجمت وفى الوقت نفسه كانت تعمل على اثارة العناصر فى كل مكان فلا تترك للدولة مالا ولا وقتا لتحقيق هذه الاصلاحات•

وقد كانت همة السلطان عبد الحميد عالية فى تحقيق الاصلاح فمنذ ان تولى السلطة فاجأ مؤتمر سفراء الدول المجتمعة فى الأستانه لتقرير نوع الاصلاح فى شرق

---

(١) محمد عبدة الاستاذ العقاد — ص ١٠ — ١١

أوروبة العثمانيه فاجأهم بأعلان الدستور • ولكنه سرعان ما عاد والغاه لانه وجد أن المساواة بين العناصر والملل لم يكف أطماع روسية بل أعلنت عليه الحرب كما أن الدول الطامعة الاخرى لم تكف عن تحريض الشعوب على الفتن التى بها يتدخلون فى الشؤون الداخلية للدولة العثمانية •

•••• وأخيرا خرجت تركية من شرق أوروبة بموافقة بريطانية التى كانت تقف فى وجهه اى تقسيم للسلطنة •

وقد كان السلطان عبد الحميد يقيم سياسته على أساس التوازن السياسى الدولى الغير الثابت مما يلحق بسيادة السلطنة خسائر فادحة كما حدث فى الممالك العثمانية فى شرق أوروبة فتأكد له أن لا منجاة للدولة الا بحيازة القوة ولكنه كان لا يملك المال والرجال فثلاثة أرباع شعبه يتحفزون للثورة عليه والانفصال عنه • فلم يجد امامه الا عواطف المسلمين فى أقطار العالم الاسلامى وأنظارهم الشاخصة الى دولة الخلافة • ولم يكن السلطان عبد الحميد يحتاج الى مزيد دعاية للجامعة الاسلامية فان هجوم كرومر الدائم على المسلمين فى بعض تقاريره وفى كتابيه اللذين ظهرا بعد مغادرته مصر " مصر الحديثه " وعباس الثانى " (١) وتصويرهم فى صورة الهمج المتخلفين وان الاسلام غير صالح لان يكون دينا لمجتمع راق ، ومما قوى فكرة الجامعة الاسلامية ايضا مخاصمة الدول الاوربيه للدولة العثمانية بأسم الدين حمية لدول البلقان المسيحية (٢) •

والحقيقة أن الشعوب الاسلامية كانت فى حالة من التمزق والتفرق والتأخر السياسى والثقافى لا تسمح بانضمامها الى رابطة أو وحدة فى يوم ما ، وقد كشف مصطفى كمال عن هذا المعنى فقال " انه لا يوجد مسلم متنور يعتقد لحظة واحدة ان الشعوب الاسلامية يمكنها ان تؤلف عصبة ضد اوروبة ان الحقيقة الساطعة الخالصة من كل شيء هى ان حركة الجامعة الاسلامية بالمعنى المقصود منها فى أوروبة لا وجود لها بالمرة أما الشعور الموجود حقيقة وبلا نزاع عند كافة الشعوب الاسلامية فهو شعور انعطافها وحنانها الى بعضها البعض ، وانه لما كان لتأخر الشعوب

---

(١) مصر الحديثه ج ٢ : ص ١٢٩ عباس الثانى ص ٤٥ ، ٤٨ نقلا عن الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ج ١ ص ٦١ •

(٢) تاريخ الدولة العلية ٣٣٩ •

الاسلامية أسباب واحدة فان نهضتهم تكون بوسائل واحدة وان الاسلام ليس عقيدة دينية فقط بل هو قانون اجتماعي (١)

وقد أشار جمال الدين الأفغاني مرارا في مجلة العروة الوثقى الى الآمال التي يعلقها المسلمون على دولة الخلافة وأن جميع المسلمين يعدون أنفسهم رعايا هذه الدولة وان كانوا خارج حدودها السياسية خصوصا المسلمين في الهند حيث أصبح الانجليز يخشون من اشارة السلطان عبد الحميد لدعوة المسلمين في الهند للثورة على الانجليز (٢) • كما يبدو أن السلطان عبد الحميد بحنكته ودهائه استطاع توقيت الدعوة للجامعة الاسلامية حيث ان الاسلام كانت لـه شهرة عالمية بعد أن صدم العالم بالثورة الصناعية التي لم تستطع أن توفر السعادة للشعوب اذ لابد من قيم روحية ترافقها حتى يكون الانسان قد اكتمل من جانبيه الروحي والمادي وفي هذا الوقت كانت الصحف تروج احتمال اتباع اليابان للدين الاسلامي وقد تابعت الموضوع في مجلة ثمرات الفنون التي كان يصدرها الشيخ عبد القادر القباني في بيروت في مقالات مسهبة في العدد ١٥٧٠ ص ٤ وتموز ١٩٠٦ ، وعدد ١٥٨٧ ص ١٤/٥ آب ١٩٠٦ وعدد ١٥٦٦ ص ١٩/١ ربيع الاول ١٣٢٤ هـ وقد أرسلت الدولة العلية كلا من محمود أسعد أفندي مستشار الحقوق في نظارة المالية واسماعيل أفندي منا سترلي اجابة لطلب الميكادو من السلطان عبد الحميد الثاني •

هذا وقد كان اقبال اليابان على اختيار أحد الأديان السماوية حديث الساعة في جميع صحف العالم • وتصور مجلة " ثمرات الفنون " أن هناك شبه اجماع من الصحف العالمية على ترشيح الاسلام منها ما نقلته عن احدى المجلات الألمانية حيث تقول " •••• وأما الدين الذي سترتضيه اليابان فهو مما لا يمكن القطع به الآن غير ان الظواهر والأمارات تدل على أنه سيكون الدين الاسلامي بدليل أن حكومة اليابان أضحى لها خمس عشرة سنة وهي تبعث بعلمائها الى البلاد الاسلامية للبحث عن أسرار هذا الدين والتحري عن حقائقه حتى بات أولئك العلماء مقتنعين أن اليابان لا تتخذ غير الدين الاسلامي دينا وهناك

(١) عبد العزيز جاويش لأنور الجندي ص ١٦

(٢) العروة الوثقى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ •

دليل آخر يبرهن على صحة هذا القول ويدل على تفضيل اليابان لدين الاسلام على سائر الأديان وهو خدماتها المهمة التي تمتها نحو المسلمين وظهورها بمظهر التعظيم والاحترام لدينهم وثمة دليل ثالث أيضا وهو اعلان حكومة الصين اجابة لطلب اليابان ان المسلمين الذين يعدون بالملايين فى البلاد الصينية هم مساوون للوثنيين فى جميع الحقوق ثم ختمت الجريدة الألمانية كلامها بقولها : انه اذا دانت اليابان بالاسلام فانها ستحرز حياة جديدة وقوة عظيمة "(١)

هذا وقد لاحظ السلطان عبد الحميد ملاءمة الظروف الدولية هذه لاعلان الخلافة الاسلامية لتعزيز السلطنه بقوة جديدة ودفع المؤامرات التى تبيتها أوروبه وقد كانت أوروبة تقدر الطاعة والولاء الذى تكنه الشعوب الاسلامية للخلافة .

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى " وقد كان من هيبة السلطنه على ممالكها خصوصا مصر — حتى بعد استقلال محمد على باشا — ما جعل بريطانيا تؤخر اعلان استعمارها لمصر من سنه ١٨٨٢ — ١٩١٤ وقد لاحظ الزعيم مصطفى كامل ذلك فكان يدعو دائما الى الارتباط بالدولة العثمانية ولو اسميا خوفا من بريطانية وكان العرب ولايزالون يتمتعون بقدسية ترجع الى أنهم هم الذين حملوا رايه الاسلام وراء الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هم لايزالون أصحاب القرآن أنزل بلسانهم ولايزال يقرأ فى العالم بلغتهم . فقرر الخليفة الاستعانه بهم خصوصا أنهم كانوا بعيدين عن النزعة الاستقلالية التى سرت بين العناصر العثمانية الأخرى ، ولم يفكر العرب فى الاستقلال عن السلطنة الاعندما أرسل الاتحاديون حاكمهم فى سورية أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح خلال الحرب العالمية الأولى سنه ١٩١٦ (٢) .

قرر السلطان عبد الحميد أن يستعين بالمسلمين وذلك بالدعوة الى الجامعة الاسلامية وأن يقوى صلته بالعرب نواة المسلمين وهو يؤمل أن يهز عصا الخلافة وقت الحاجة (٣) ، وقد استهل مشروعه هذا بدعوة كل من خير الدين باشا التونسى النشأة الجركسى الأصل وجمال الدين الأفغانى — ولعل مشروع الخلافة الاسلامية يكون من وحى أحدهما أو دعاهما لمساعدته فى تنفيذ

---

(١) مجلة ثمرات الفنون عددها ١٥٧٠ ص ٤ ٩ تموز ١٩٠٦ .

المشروع . ومن يقرأ أعمال جمال الدين يجد أنه كان من الداعين الى الجامعة الاسلامية أصلا وكثيرا ما كان يهيب بالخليفة للاستفادة من شعور المسلمين نحوه ثم قرب السلطان فريقا من علماء العرب وشيوخ الطرق كالشيخ أبى الهدى الصيادى الرفاعى من خان شيخون فى جوار حلب ، والشيخ محمد ظافر من الجزائر ، والشيخ سعيد من حمص ، والشيخ أحمد أسعد القيصرلى من المدينة ، كما استدعى بعض أشراف مكة وعلى رأسهم الحسين وعلى حيدر وعبد الاله باشا وصادق وأجرى على هؤلاء العلماء والأشراف المرتبات وخصهم بالكنايات كما أجرى المرتبات وأجزل العطايا لغيرهم من المتخلفين فى بلادهم المعرفين بنفوذهم كما عهد اليهم بمختلف الوظائف والمناصب الرئيسة فى الدولة دون تفريق بين الملل فقد عين أحمد عزت باشا العبد (العابد) الكاتب الثانى فى بلاطة وقد تمتع بنفوذ واسع جعله الاول فى السلطنة وشفيق بك المؤيد المفوض فى الديون العمومية . وشفيق بك الكورانى رئيس الضابطة وعرب حقى باشا وسليم بك ونجيب بك ملحم وقد بلغوا رتبه الوزارة وجميعهم من سورية ولبنان وطالب بك النقيب وأحمد باشا الزهير من أعضاء مجلس شورى الدولة وهما من العراق ، كما اتخذ من بعض ضباط العرب خاصه له فكان ياورانه الفريقان محمد باشا ومحيى الدين باشا ولدا الأمير عبد القادر الجزائرى . وكان المشير أركان حرب شفيق باشا وأخوة الفريق وهيب من أساتذة المدارس العسكرية وهما من قرية المتين فى لبنان وشكرى باشا الأيوبى الدمشقى ناصر الأعمال العسكرية والدكتور يوسف الراعى من لبنان وكان استاذ علم التشريح الدكتور الياس مطر من بيروت والأستاذ سليم يازر من بلدة دير القمر فى لبنان وكان أستاذا فى مدرسة الحقوق واتخذ من أبناء العروبة حرسا أنزلهم حول قصره وألبسهم العمائم الخضر كما عمد الى مصاهرتهم فزوج أميرتين من أسرته من شابين عربيين ورفعهما الى رتبه الامارة وهما الأمير عبد المجيد بن الشريف على حيدر وصالح بك بن خير الدين باشا التونسى ولف حوله طائفة من الكرد والارنؤوط كدرويش باشا الألبانى أحد الياوران واسماعيل باشا الكردى فضلا عن بعض الشراكسة كما أنشا مدرسة العشائر لتربية أبنائها . كما فتح معاهد الآستانة أمام جميع الطلبة ليقر فى نفوسهم أنهم جميعا يشتركون فى أنهم عثمانيون وقد رحب السلطان كثيرا بفكرة أحمد باشا

والارنؤوط

---

(١) مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعى ص ٣٣٧ .
(٢) عبد العزيز جاويش ص ٢١ — ٢٢ .
(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٧٧ .

العايد بمد خط حديدى بأموال المسلمين يصل بين سورية والحجاز وقد ناسبت هذه الفكرة برنامج السلطان يجعل نفوذه الفعلى يمتد الى الحرمين الشريفين اضافة الى تسهيل الحج على المسلمين ليكسب عواطفهم فى العالم قاطبة •

وفى الجملة نجح السلطان عبد الحميد فى تحقيق الجامعة الاسلامية قدر المستطاع وقد حفظت السياسة سلطنته فى منل سبات عدة من الأخطار كما أنها استأخرت زوالها سنين عديدة أما عصا الخلافة فى تلك الحقبة التى كان يلوح بها فكانت العلم النبوى الشريف ليزحف المسلمون وراءه من كل صوب " (١)

ولعل فى الحادثة التالية التى وقعت لفؤاد باشا مندوبا عن السلطنة فى بيروت بمناسبة فتنه ١٨٦٠ — توضح قوة الخلافة وأثرها فى قلوب المسلمين وأن الجهاد المعلن من الخليفة هو السلاح الرهيب الذى كانت تخافه الدول الأوربية " فقد كانت بيروت تعج بعد هذه الفتنه بسفراء الدول الذين انتدبوا للتحقيق فى المذابح التى وقعت بلبنان وثمدته الى دمشق وكان هؤلاء السفراء يتبادلون الدعوات والحفلات فيما بينهم وبين مندوبى الحكومة فتحفل هذه الاجتماعات بالتعليقات على الشؤون السياسية وتتخللها المداعبات •

دخل المدعوون ذات يوم الى مائده أقيمت على ظهر سفينه أمير البحر النمسوى : وكان فؤاد باشا وبعض أركان الحكومة فى مقدمتهم فاذا بهم يشاهدون أعلام الدول مرفوعة على المائدة فوق رؤوس حيوانات من المعجنات وكل واحد منها يعلو رأس الحيوان الذى اتخذته الدولة رمز الها فكان علم فرنسة يخفق على رأس الديك وعلم روسية على هامة الدب وعلم انجلترا على الأسد أما لواء تركية فكان مرفوعا على هامة خنزير وشاء أحد السفراء أن يتحدى فؤاد باشا على سبيل المفاكهة فأشار الى الخنزير متسائلا عن العلم الذى يرتفع فوقه فابتسم الباشا وقال له " هذا علم تركيه المظفر فوق أرضكم الخبيئة " وأثناء ضحك السامعين تناول الحديث سفيرا أخر وقال بين الجاد والمازح " لاتزالون ياصاحب الدولة تذكرون النصر والانتصار واذا ارجعنا مصدر ذلك الى شجاعة جيشكم فأين لكم تأمين المال وهو عصب الحرب • " وحينئذ استقام فؤاد باشا وتحول الى المتحدث وقال بلهجة الجد " حسبك فقد أحرجتنى حتى لم يبق فى وسعى كتم السر أنتم تعلمون كم مضى على المسلمين

---

(١) فلسفة التاريخ العثمانى محمد جميل بيهم ص ١٧٩ — ١٨٠ •

وهم يقصدون الى بيت الله الحرام وكم من — ملايين الناس قد أدت فريضة الحج فى هذه الحقبة الطويلة أما الذى لاتعلمونه وقد حملتمونى على أفشاء سره فهو أن لبيت مال المسلمين الذى تسمعون به فريضة على الحجاج يوءديها كل منهم على قدر طاقته ولا بأس أن يكون أداء تلك الفريضة بتقديم الجواهر والاحجار الكريمة . وبعد فكم تبلغ ثروة بيت مال المسلمين هذه التى لاتحسبون لها أى — حساب أنها رهن أوامر الخليفة ( يضطر لاخراج العلم النبوى ودعوة المسلمين للجهاد فنحن أذن ياسادة أغنياء بالرجال وبالمال أيضا (١) ثم يعقب الاستاذ بيهم على هذه الحادثة فيقول " وهذه الحادثة التى رواها لى فى عهد الصبا أحد الشيوخ تدل سواء كانت صحيحة أم موضوعه على أن السلطنه العثمانية كانت حتى قبيل عهد السلطان عبد الحميد المشار اليه تستفيد من الخلافة عفوا أو — تجرب أن تستفيد منها .ولكن هذا العاهل الذكى السلطان عبد الحميد أختط طريقة عملية للجامعة الاسلامية وذللها لسياسة الدولة حيال الاجانب وأستثمرها أحسن أستثمار غير أن من الواجب الاعتراف بأن هذه السياسة وأن حققت لواضعها جملة من المنافع جرت وراءها كثيرا من الاخطار الداخلية والخارجية فالاتراك على وجه عام نقموا على السلطان من جراء تقريب أبناء العروبة دونهم وأنكر عليه شبابهم المثقف هذه السياسة الاسلامية لانها لاتتفق مع روح العصر ، ولاتتلائم مع التعاليم التى أقتبسوها عن أوربه فأجمعوا أمرهم بينهم على أزاحته عن عرشه حتى يتسنى لهم تطبيق الدستور القائم على مبادىء الثورة الفرنسية " (٢) وبعد أن عزل السلطان عبد الحميد ضعفت الرابطة الاسلامية بين السلطنة وولاياتها وأنكشفت حقيقة حزب الاتحاد والترقى ومعاداته للاسلام "........ بعد ما صرح رئيس وزراء الجمهورية التركية الجديدة بقوله علينا وعلى روءس الاشهاد بأنه لم تبق لتركية علاقة بالدين الاسلامى الحنيف وبعد ما أعلن الحرب على الاسلام فألقى بالقرآن الكريم من يد من غرفته التى هو فيها وحرض المرسلين المسيحيين على — التبشير بانجيلهم فى البلاد الاسلامية لحمل المسلمين على أعتناق الدين المسيحى (٣) وبعد عزل السلطان عبد الحميد سرعان ماقسمت بريطانية وفرنسه العالم العربى بينهما وأستولت أيطاليه على ليبيه . كما أتجهت الحملات العنيفة لتشويه تاريخ

---

( ١ ) فلسفة التاريخ العثمانى جـ٢ ص ١٨٠ — ١٨١

( ٢ ) قوافل العروبه ومواكبها خلال العصور جميل بيهم جـ ٢ ص ١٦ — ١٨
راجع موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين جـ١ ص٧٩

( ٣ ) مجلة الفتح العدد ٧٠ ص٧ السنة الثانية .

الدولة العثمانية وسلاطينها وكان مصدرها ذلك الاتجاه الذى خلفه النفوذ الاجنبى وجند له عددا من الكتاب والمفكرين ،وأغلبهم من متعصبى اللبنانين والاتراك ورجال الدونمة ممن هاجروا الى مصر وكانوا يعملون فى قصر عابدين والسفارة البريطانية أو الفرنسية رامين الى القضاء على الاسلام واللغة العربية علما بأن أول جمعية سرية تألفت لمقاومة العثمانيين قامت فى الجامعة الاميركية فى بيروت وقد حملت فكرة الجهاد العربى كوسيلة للقضاء على فكرة الجامعة الاسلامية لتمزيق وأسقاط دولة الخلافة الاسلامية (١) .

وكان الشعور بالانتماء والولاء الى الجامعة الاسلامية شعوراً عاما وظاهرا على جميع التيارات السياسية من خلال دعوة قادة الاحزاب والجماعات للولاء لدولة الخلافة ففى سنة ١٨٨٢ قبض أحمد فارس الشدياق منشيء الجوائب (٦) من سفارة أنجلترا فى الاستانة مبلغ الف ليرة أنجليزية حتى يطبع صورة المنشور الذى صدر من الباب العالى باعلان عصيان عرابى باشا لاثارته نار الفتنة فى وادى النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرابى وسقوط أعتباره من عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (٢) وقد كانت معظم الاحزاب وأصحاب الدعوات الفكرية والاصلاحية يعدون الخليفة هو الامل والمنقذ من أطماع الدول الغربية فى البلاد الاسلامية وأن من واجب السلطنة حماية هذه البلاد وقد كانت هذه الدعوة واضحة فى تصريحات زعماء الحركات الوطنية فى مصر (٣) ففى قرارات المؤتمر العربى الاول فى باريس وقيام الحكومة اللامركزية التى تعطى للوطن السورى مقدساته السياسية من غير أنفصال عن الكيان العام الذى تمثله الدولة العثمانية (٤) وحين ثار عرابى على فساد أساليب الحكم فى مصر وعلى تغلغل النفوذ الاجنبى لم يخطر بباله الخروج على الخليفة فهو يعرض عليه خطواته مستمدا منه السلطة فى كل مايفعل (٤) وفى مصر كان الحزب الوطنى مثلما كان مؤسسه مصطفى كامل وخليفته محمد فريد مصريا فى الدرجة الاولى وأسلاميا فى الدرجة الثانية (٥)

---

(١) عبد العزيز جاويش ص ١٩ — ٢١

(٢) تاريخ الصحافة العربية فيلب طرازى ص ٦٢ ج ١

(٣) مجلة العروة الوثقى ص ٣٧٢ — ٣٧٤ .

(٤) عبد العزيز جاويش ص ١٤ — ١٥ .

(٥) مذكرات عرابى ج ١ ص ٧١ و ٢٢٢ .

(٦) الفكرة العربية فى مصر انيس الصايغ ص ٤٩ .

وقد أكد الحزب الوطنى ثلاثة أمور جعلها أسسه التى لاتتغير وهى :ـ

١ ـ أيقاظ الامة المصرية من حيث حى كيا ن له طابعه الواضح الكامل •

٢ ـ مقاومة الانجليز ومخاصمتهم خصومة كاملة حادة لاتسامح فيها ولامهادنة •

٣ ـ تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية دولة الخلافة (١) ويضع مستر بلانت في مقدمة برنامج الحزب الوطنى ـ الاعتراف بسلطة الباب العالى وبيان جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله فى أرضه وأمام المسلمين (٢) ومن بين المتحمسين للجامعة العثمانية علماء الذين من المسلمين فهم يؤيدون السلطانة بدافع من الغيرة الدينية وهؤلاء لايهتاجون الالما يمس الدين ولايرون بين الاقطار الاسلامية من يستطيع أن ينهض بعبء الذود عن الاسلام والمسلمين غير تركيه لانها أقواها وأقدرها على مواجهة مطامع الدول المسيحية ومن هؤلاء الشيخ يوسف النبهانى •

## السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩

مفتاح شخصيته ليس أدل على شخصية السلطان عبد الحميد ماقاله الفليسوف جمال الدين الافغانى فى وصفه حيث قال أن السلطان لووزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر رجحهم ذكاء ودهاء وسياسة فقد رأيناه يذلل مايتام لملكة من الصعاب من دول الغرب حيث كان يعلم دقائق الامور السياسية ومرامى الدول الغربية وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجا وسلما وأعظم ما أدهشنى ما أعده من خفى المسائل وأمضى العوامل كى لاتتفق أوربه على خطير فى الممالك العثمانية كان يريها عيانا محسوسا أن تجزئة السلطنة العثمانية لايمكن الابخراب للممالك الاوربية بأسرها وكلما حاولت دول البلقان الخروج على الدولة بجرب كان السلطان بدهائه العجيب يحل عقدة ماربطوه وتفريق ماجمعوه " ويقول أيضا " ضاقت أوربة ذرعا بسياسة ـ السلطان عبد الحميد وحيطته ويئست من أكثر دول البلقان • فحاولت كيدها بدس الدسائس وصرفت همتها بالاستقراء الى أخف الدويلات حلوما وأكثرها غرورا وجيشا وهى دولة اليونان فقد بدأت تتحرش بالدولة العثمانية لتتدهور بالحرب مع السلطان

---

(١) عبد العزيز جاويش ص ١٣ •

(٢) مذكرات عرابى جـ ١ ص ١١٧ •

عبد الحميد (١) ويقول أيضا " أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره — وأعداده العدة اللازمة لابطال مكايد أوربة وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة ( الذى فيه نهضة المسلمين عموما ) فقد دفعني الى مد يدى له ومبايعته بالخلافة والملك عالما علم اليقين أن الممالك الاسلامية فى الشرق لا تسلم من شراك أوربية لامن السعى وراء أضعافها وتجزئتها وفى الاخير أزدرادها واحدة بعد الاخرى الا بيقظة ـــــ وأنتباه عموم وأنضواء تحت راية الخليفة الاعظم (٢)

أستولى السلطان عبد الحميد على العرش بعد خلع السلطان عبد العزيز حيث — قامت ثورات فى البوسنة والهرسك والصرب والجبل الاسود ، وكريت أستنفذت القروض المعقودة وأدت الى أعلان تركية أفلاسها (٣) وقد كان الجهد الاعظم فى تولى السلطان عبد الحميد الحكم مكان أخيه يعود الى مدحت باشا الذى كان يرأس — حزبا فى السلطنة — تركيه الفتاة — كانت فاتحة أعماله خلع السلطان عبد العزيز وقد أشترط مدحت باشا على السلطان عبد الحميد ثلاثة شروط وافق عليها هى :—

١ — أعلان القانون الاساسى .

٢ — أستشارة الوزراء المسؤولين دون سواهم فى أمور الدولة .

٣ — تعيين بعض أفراد حزبهم فى المابين .

ولكن السلطان عبد الحميد ما أن تسلم العرش حتى أوجس خيفة من تدخل مدحت باشا وحزبه فعزل مدحت باشا من منصب الصدارة وشتت أعوانه ولكن السلطان أضطر لاعلان الدستور لان روسية دعت الدول لاجباره على أجراء الاصلاحات المطلوبة فى مكدونية والا فهى ستتخذ التدابير اللازمة منفردة وقد جرى أفتتاح المجلس العمومى المؤلف من مجلس الاعيان — والمبعوثان فى ١٨٧٧ وذلك يوم أفتتاح مؤتمر السفراء فى أستامبول الذى أقترحته روسية ولما تساءل السفراء فى جلستهم الاولى عن سبب قصف المدافع نهض صفوت باشا وقال لهم " أيها السادة أن أصوات المدافع التى تسمعونها هى من أجل الاحتفال باعلان القانون الاساسى وهو سيمنح جميع عناصر — السلطنه الحقوق المنشودة بحيث لم يبق موجب لاعمال المؤتمر ولكن روسية —

---

( ١ ) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

( ٣ ) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦١ .

حملت المؤتمرين على الاقتناع بوجوب متابعة أعمالهم لما أبى الباب العالى خرجوا غاضبين وأعلنت بطرسبرج الحرب على تركية ولما رأى السلطان أن أعلان الدستور لم يحل دون أعلان الحرب وأن أعضاء المجلس النيابى كانوا غير أكفاء حتى لقب مجلسهم بمجلس ( أوت أفندم ) (١) لموافقتهم على أقتراحات الرئيس دون مناقشة بادر الى حل البرلمان وأنصرف لمواجهة الحرب الناشبة غير أن ما أصاب جيشه من الفشل منذ المعارك الاولى جعله يتحول مرة أخرى الى مصانعة كل من الدولة والاحرار من رعيته فاستقدم مدحت باشا من أوربه وأمر بانتخاب مجلس آخر نيابى وجرى أفتتاح المجلس فى ١٨٧٧ ثم ندم السلطان على ما فعل حينما أيقن أن أوربة لم تحد عن سبيلها فى صدد أجلاء السلطنه عن البلقان وتقليم أظافرها فى البلاد الاخرى ولاسيما التى تطالب باستقلالها فأصدر أرادته السنية بعد شهرين من أفتتاح المجلس الثانى بوقفه أيضا وشرع يطارد المتمردين من أعضائه ونفى مدحت باشا الى الطائف حيث قتل خنقا فيها سنة ١٨٨٣ . (٢) من هنا نلاحظ أن السلطان عبد الحميد كان يعتزم المضى فى الاصلاح لولا الفتن الداخلية التى أخذ بعضها برقاب بعض والتى كانت تستنفد أموال الخزانة وتصرفه على مشاريعه الاصلاحية وقد كانت هذه الفتن التى ترمى الى التحرر من ربقة أيد أجنبية تتستر وراء طلب الاصلاحات وهى فى الواقع أنما كانت تريد تخليص الاقليات من الترك وتقوية نفوذها عن طريقها لاقتسام ممتلكات السلطنة فثورات كريد وثورات أرمينية كانت تحدث مع ثورات أخرى فى البلقان ومكدونية والبانية فتصرف السلطان عن أمانيه الاصلاحية وتثير بالتالى الشكاوى ضده كما أن أفلاس الخزنة بسبب هذه الفتن حمل النقمة على السلطان الى صفوف جيشه فانقلب عليه وازاحه عن عرشه " (٣) .

الاسباب التى كونت سياسة عبد الحميد :-

أولا : الخطر الاوروبى منذ أواسط القرن التاسع عشر شرعت روسيه تفكر فى أجلاء السلطنة عن الاراضى الاوروبية والعمل على تجزئة أمصارها بمساعدة كل من أنجلترة والنمسة يظهر هذا من قول قيصرها نقولا الاول عندما زار الدول الاوروبية لاقناعها بالتقسيم وخصوصا أنجلترا المعارضة " يوجد

---

( ١ ) أوت معناها عشب . أفندم سيد أو محترم .

( ٢ ) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

( ٣ ) فلسفة التاريخ العثمانى ص ١٦٢ .

بين وزرائي وأيان بشأن تركية فبعضهم يصرح بأنها بلغت حالة الاحتضار وبعضها — يعلن أنها لقيت حتفها ، وعلى كل فلاشيء يحول دون مماتها العاجل وفي مناسبة أخرى يقول القيصر للسيد هملتن سيمور سفير أنجلترا في بطرسبرج

أود أن أصارحك بأنه أذا أتيح لهذا المريض أن يتخلص منا في يوم من الايام — فسيكون من أسباب البلاء على أوروبة ولاسيما أذا حصلت هذه المفاجأة دون أن — تتاهب لها هذه التصريحات تبين لنا النوايا العدوانية الاوروبية ممثلة في تصريح قيصر روسيا وأن كانت أنجلترة تعارض — في بادي الامر — فكرة تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وربما أستعجلت موتها لذلك كما حدث في مساعدتها لتركية في حرب القرم وقد قدرت السلطنة موقف بريطانية فتخلت لها عن جزيرة قبرص لتكون لها من بعد نقطة حربية للدفاع عن بقية الامصار العثمانية • ولكن بريطانيا كشفت عن عدائها للسلطنة بعد أن حصلت المانيا على أمتياز مد خط حديد الاستانة بغداد الذي — ينتهي الى الخليج العربي •

ثانيا : تدخل الدول في شؤون السلطنة : — لقد كان لضعف الدولة العثمانية العام خصوصا من الناحية العسكرية أثره الواضح في فرض أرادة الدول الاوروبية عليها عن طريق حماية الاقليات الدينية أو عن طريق العمل العسكري كمساعدة دول البلقان وغيرها على الاستقلال وقد أتخذ هذا التدخل شكله السافر بعد مؤتمر باريس — ١٨٥٦ لما قدمته كل من أنجلترا وفرنسه وسردينية من المساعدة في حرب القرم ثم أزداد هذا التدخل بعد أنقاذ السلطنة من حملة محمد علي باشا وفي هذه الحملة وقفت فرنسة ضد السلطنة ووقفت انجلترا معها مما أدى الى فشل الحملة وبلغ هذا التدخل الى حد أجتماع الدول الاوروبية في مؤتمرات لايجاد حلول لمشاكل تركية دون أن تشترك فيها ومن ثم تطالبها بتنفيذ مقرراتها وكان آخرها أجتماع ريفال في ( ١١ حزيران ١٩٠٨ ) وقد كان عجز السلطنة عن سداد ديونها للدول الاوروبية قد أدى الى أستخفاف هذه الدول بالسلطنة من جهة ولتسامح السلطنة حيال تدخلها في شئونها خصوصا مايتعلق بالاقليات من رعاياها •

ثالثا : الوعي القومي عند العناصر : لقد تسرب الوعي القومي من أوروبة للعناصر

الخاضعة للسلطنة فهى لاترى جهودا فى المساعى الاستقلالية الأزاد تها أضطراما وقد غمر الوعى القومى المثقفين من العرب فعملوا على الاستقلال وقد كانت الدول الاوروبية تقدم لهم كل المساعدات فى هذا الاتجاه علما بأن معظم المثقفين العرب المصريين هم خريجو المدارس التبشيرية المسيحية •

رابعا : فراغ الخزانة — كانت الاموال التى أقترضتها السلطنة طيلة عشرين سنة حتى ١٨٧٥ قد بلغت ثلاثة مليارات وثلاثة عشر مليون فرنك ذهبى وكانت خزانة السلطنة قد أعلنت الافلاس فى عهد السلطان عبد العزيز •وهكذا أستلم السلطان عبد الحميد الحكم والبلاد فى حالة أفلاس ولم يستطع أن يقترض من الماليين فى أوروبة بسهولة يقول الاستاذ محمد جميل بيهم " كانوا أذا أقدموا على شراء الأسهم تلك القروض كأنهم يبتاعون أسهم " اليانصيب " وما كان يغريهم بشراء تلك الاسهم الا الفوائد الباهظة ومع ذلك رأينا القروض التى أستطاع عبد الحميد أن يدركها ذهبت فريسة الحروب الخارجية التى كان أكثرها وأخطرها مع روسية أو فى سبيل تهيئة الفتن الداخلية وقد أستنفذت هذه الحروب أموال الخزينة فم تترك مجالا للاصلاح والتعمير •

هذه هى المؤثرات فى السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد وقد كان — فى معظمها طرفا ضعيفا لذلك أعتمد على أسلوب ترضية دولة لتقف معه فى وجه دولة أخرى عن طريق منحها بعض الامتيازات أو الولايات •

سياسة السلطان عبد الحميد الداخليـــة :

لقد سار السلطان عبد الحميد فى سياسته الداخلية على سياسة بعثها الخوف وعدم الثقة من عناصر شعبية أو عماله لذلك أجرى تغييرات كثيرة بحيث تصبح جميع السلطات بيده وقد كان للاحوال السياسية الخارجية فى المنطقة أكبر الاثر فى توجيه السياسة الداخلية أن لم تكن تجاوبا وصدى لها • فمن مظاهر سياسته الداخليـــة :—

١ — نقل السلطة العليا الى المابين : فقد عمد تدريجيا على نقل السلطة من الصدارة العظمى ومجلس الوزراء الى المابين فأصبح الحل والعقد ومنح الامتيازات من أختصاص سراى يلدز أما الوزراء فكان عليهم تنفيذ مايرسم وقد كان النفوذ يتناويه الكاتب الاول والكاتب الثانى ومامور الشفرة تبعا لثقة صاحب الجلالة وكثيرا ماكان المشايخ المقربين ينازعون هؤلاء — سلطتهم فكان الشيخ أبو الهدى الصيادى يتمتع بالنفوذ تاره وطورا أحمد عزت باشا العابد الكاتب الثانى وكلاهما عربى ولما نجح الاخير فى مد الخط

الحديدي الحجازي عن طريق الاكتتاب به من جميع المسلمين • علانجمة ولم يعد يعلوه في النفوذ أحد الا الخليفة نفسه أو كان رئيس الجواسيس فهيم باشا يلقي الرعب في قلوب الرعية وكان بعض رجال السراي أمنين وقليل منهم يحسنون اللغات الاجنبيه وأقل منهم من يتمتعون بخبرة سياسية ودون هؤلاء وأولئك : من - يعملون للمصلحة العامة (١).

٢ - النضال بين السلطان والدستوريين : أرتقى عبد الحميد العرش بمساعدة مدحت باشا دستوريا حيث كان صدرا أعظم لدى السلطان عبد العزيز ولكن عبد الحميد أوجس خيفة من حزب ( تركية الفتاة ) الذي كان يتزعمه مدحت باشا وكان ينسب اليه حادثتين ذهب ضحيتها عمه السلطان - عبد العزيز وأخوه السلطان مراد كان السلطان يعتقد أن هناك أيد خفية أنجليزية وروسية وراء خلع وقتل عمه عبد العزيز لذلك أعلن بعد فترة وجيزة من أعلان الدستور سنة ١٨٧٦ تعطيل العمل به ونفي مدحت باشا وشرد أنصاره وأنتهى الصراع بين عبد الحميد وأتباعه وختم بخلع عبد الحميد ومبايعة أخيه محمد الخامس ١٩٠٩ - ١٩١٨ •

٣ - سياسة التفرقة بين العناصر : قضى على السلطنة العثمانية أن تعيش مفككة الاوصال متنافرة العناصر والطوائف منذ عمدت كل واحدة من الدول - الاجنبية الى توجيه هذه الطوائف الى التنابذ بين بعضها لبعض - وذلك بغية وصول هذه الدول الى نيل نصيبها على وجه أتم من تركة " - الرجل المريض " وقد كان لاعلان السلطان عبد الحميد سياسة الجامعة الاسلامية أثر بالغ في ألتفاف عواطف المسلمين حوله ومقاومته للدول الاجنبيه التي تتستر بحماية الاقليات لكسب عواطفها • وقد أدى هذا بطبيعة الحال الى أنشقاق الطوائف على بعضها لانها تعد السلطان عاهلا - للمسلمين أكثر منه ملكا للعثمانيين • وقد فصل السلطان الكنيسة البلغارية عن البطريركية الارثوذكسية بينما كانت أوروبة للمسيحين - روسية والنمسا وفرنسة - تعمل جاهدةً لتوحيد هذه العناصر ضد السلطنة • كما ألقى السلطان عبد الحميد بذور التفرقة بين العرب والمسيحيين (١) خوفا من تعاونهم ضده خصوصا بعد ظهور الوعي القومي الذي كانت الارساليات

---

(١) لقد كان السلاطين الاوائل لا يفرقون بين مسلم ومسيحي وكانت التفرقة منشأها من عمال الولايات حيث أن الفتن والمذابح التي حدثت بين ١٨٦٠ لم تكن بقصد أحد من السلاطين أورجال دولتهم الامناء بل من العمال - الاردياء كتاب حسر اللثام ص ٢٣ •

والقنصليات الاجنبية تغذيه • وقد نالت بلاد الشام قسطا كبيرا من هذه السياسة لوجود الطوائف المسيحية فيها أكثر من غيرها لهذا يرجح كثير من الباحثين أن تكون المذابح بين المسلمين والنصارى فى مطلع القرن العشرين بتدبير من السلطنة على يد بطلها الوالى رشيد بك الذى رقى بنقله الى رتبة أعلى من رتبة الولاية يقول الاستاذ محمد جميل بيهم : ولازلت أذكر تلك الفتنة التى وقعت بين المسلمين والنصارى فى قرية بتاتر فى الشوف عام ١٩٠٥ وكان حدوثها فى نفس اليوم الذى وقعت فيه مذبحة المزرعة فى بيروت برهانا على أن الفتنة فى الولاية بالمساحل وفى المتصرفية فى الجبل كانت من عمل يد واحدة خفية (١) وقد أنعكست هذه السياسة فى ميدان التربية والتعليم فكانت للمدارس الاجنبية والارساليات فرصة أستثنائها من رقابة الدولة فعملت على القاء الرعب من المسلمين فى أفئدة طلابها النصارى بقصد تنفيرهم من الدولة وأكتساب قلوبهم مستعينة ببعض التآليف التى تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم وفى المقابل كانت المدارس الرسمية لاتقتصر على رسم صورة قبيحة للاجانب واخطارهم بل تتعدى الى بث روح البغضاء بين الملل والطوائف (٢) وأما فى البلاد التى لم يكن فيها غير المسلمين كجزيرة العرب فأن السلطان كان يغرى أبن رشيد وابن سعود ويجند أشراف مكة ضد أمام اليمن ويلقى الخصومة بين أمام اليمن وأسياد عسير ، كذلك بين الاكراد والارمن وبين السوريين والشراكسة فى بلاد الشام • لقد كان الشعب العثمانى عبارة عن مجموعة أعداء يتربص بعضهم الدوائر بالعض حتى أذا أطبقت الالسنة بأعلان الدستور أنكشفت السرائر وظهر من ثم تفسخ فظيع بين الصفوف يستحيل معه بقاء هذه الكتل المتنافرة تحت سماء وطن واحد من هذه الزاوية كان السلطان عبد الحميد يحد من أطلاق حرية العناصر المختلفة ولاسيما الاعداء منهم حفاظا على سلامة السلطنة كما كان يحكم الرقابة عليها عن طريق جواسيسه ليطلع على نواياهم ومن ثم يوجه اليهم الضربة قبل أن يتحدوا ضد السلطنة •

٤ — الخلافة والاتحاد الاسلامى : قلنا فيما سبق أن السلطان عبد الحميد لجأ لدعوة الخلافة لاستغلال العاطفة الاسلامية من حيث هى سلاح يحمى به

بالبعض

---

(١) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٧٦

(٢) راجع كتاب حسر اللثام ص ٣٦ وما بعدها •

أعدائه

السلطنة من أعداء فى الخارج الذين تألبوا عليه باسم العاطفة المسيحية (١) التى لاجلها عملوا فى مساعدة الاقليات الدينية على نيل حقوق وامتيازات خاضعة لها أما دول شرق أوروبه العثمانية فقد كانت تنادى — أى الدول الاوروبية الطامعة جهارا بوجوب تخليص للمسيحين من الحكم العثمانى المسلم وخروج العثمانيين من شرق أوروبة أجمالا • ولقد كان فى الدعوة الى الجامعة الاسلامية تحريض لمسلمى الهند ضد بريطانية وهم شديد و العاطفة نحو الخلافة وقد كانت نسبة كبيرة منهم تعمل فى الجيش البريطانى • مع مسلمين آخرين من بلاد أخرى واقعة تحت النفوذ البريطانى وكذلك فى فرنسة فقد كانت نسبة كبيرة فى جيشها من مسلمى السنغال والمغرب والجزائر وغيرها من المسلمين الافارقة وهم يشكلون خطرا فى كل من فرنسة وبريطانية أذا ما تحرك فيهم الشعور الاسلامى نحو دولة — الخلافة (٢) وبالاجمال كانت هذه الملامح هى السمة العامة لشخصية السلطان عبد الحميد المؤثرة فى سياسته الخارجية والداخلية وفى هذا المعنى يقول — الاستاذ محمد جميل بيهم " أن السلطان عبد الحميد لم يكن مصدر هلاك — السلطنة كما يزعمون بل أن السياسة الخارجية التى أختارها هى التى أمدت — فى عمرها نحو جيل وأن السياسة الداخلية التى مارسها كان مسوقا اليها بعوامل خارجية وداخلية كثيرة وكان بعضها لايخلو من حكمة وبصيرة ذلك أن — السلطان عبد الحميد لم يرتفع الى عرش أجداده الا بعد أن تزعزعت أركانه وأشرف على الانهيار (٣) وفى مقابلة شخصية مع الاستاذ محمد جميل بيهم قال "•••• السلطان عبد الحميد أنشا حوله أعداؤه من الاتراك والترقى هالة مظلمة غير أنه كان فى الواقع على غير ما وصفوه به ومن المؤسف أن هذه الدعايات ضد السلطان عبد الحميد أنتقلت الى بلاد وتبناها كثير من أدبائنا المعروفين فضلا عن أدباء الدولة

---

(١) نقل شيخ الاسلام مصطفى صبرى فى كتابة وموقف العقل والعلم جـ ٢ ص ٨١ما ذكره • " أنكلهارد " أحد سفراء فرنسا فى تركيا فى مقدمة كتابه ( تركيا والتنظيمات ) فى تاريخ أصلاح الدولة العثمانية يقول "وكان الغرض من — التنظيمات تقريب الحيلة (الحياة) الاجتماعية الاسلامية الى الحياة الاجتماعية المسيحية فقد كان العامل فى وقف الامبراطورية العثمانية فى موقفها بالقرون الوسطى الذى تحسبها (تمسها) يوما عن يوم فى ظلام تلك القرون الكثيفة والذى سينتج فى يوم من الايام أندراسها بقاء الحكومة العثمانية منفردة فى خارج الهيئة الدولة الاوروبية وكان السبب الحقيقى لهذا الانفراد هو الدين •"

(٢) للتوسع فى هذه الفكرة راجع كتاب " الحرب الصليبية والاوربية التاسعة ص ١٣٨ : ١٤٥

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى جـ ٢ ص ١٦٩ •

العثمانية التقليديين " (١) ومن أولئك الاستاذ عمر الدسوقى الذى يقول " — أستولت الدولة العثمانية على الشام فى القرن السادس عشر وساسته مع بقية البلاد العربية التى سيطرت عليها سياسة متعصبة فشددت على الاقليات وحرمتها الكثير من حقوقها وأنتقل أستعمال الشدة من الاقليات الى الجميع حتى قال بعض الباحثين ظلت مصر وبلاد العروبة ثلاثة قرون تحت حكم الاتراك وهى فى ظلال دامس وجهل فاضح تعانى مرارة الظلم وقسوة البغى .. قلب ماشئت من أسفار التاريخ لا ترى الا — صفحات سوداء قاتمة تنبعث منها روائح الاستبداد والبطش .... (٢).

ومنهم أيضا الاستاذ ولى الدين يكن الذى يقول " لم يهمل عبد الحميد شاردة ولاواردة مما كتبه الاحرار فى صحفهم وأسفارهم الا أحاط به خبرا وأحصاه عدا ونظر فيه وتأمل قريبة وبعيده وفكر فى جلية وخفية فمارآه حجة عليه تلطف فى أزالته غير مظهر أنه أزالة خوفا من هجاء الاحرار ومالم يكن كذلك تركه على حالة غير مبدل من حاله شيئا ولكن أمرين كانا شديدين على نفسه شهوة ولزوما : أعلان الدستور والتخلى عن الاستبداد هذان أمران ماحدثته نفسه أن يرضى فيهما الله ولاعباده وكان — كلما ذكر له خصومة مثلبة من مثالبه غلت مراجلة وهاج غضبه فى خوف تبدو على وجهه آثاره وأن بالغ فى تكتمه " (٣) هذا وينبغى أن نذكر أن ولى الدين يكن كان — ماسونيا ومن الاعضاء البارزين فى حزب الاتحاد والترقى حيث القى فى حفل نيازى — فى القاهرة بمناسبة أفتتاحه قصيدة مطلعها .

| | |
|---|---|
| ياعصر قد حسدتك اليوم أعصار | الامر شورى وكل الناس أحرار |

ختمها يقول :

| | |
|---|---|
| هنئتم بأخاء كان مختفيا | بين القلوب فحان اليوم أظهار |
| لم يستجد ولكنا نكرره | وهكذا يستديم الامر تكرار |

كما القى الاستاذ نعوم شقير / رئيس محفل نيازى — وهو مسيحى وكان — سكرتيرا لحاكم السودان الانجليزى قصيدة مطلعها :—

| | |
|---|---|
| فتى الاحرار لاتخش الصعابا | ولاتحسب لنا ئبة حسابا |

ختمها يقوله :

| | |
|---|---|
| نثير بأدعياء الدين حربا | ونكشف عن ذوى الظلم الحجابا |
| ونثبت فى الجهاد الحق حتى | نلاقى عند خالقنا الثوابا |

---

(١) مقابلة الاستاذ بيهم فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٥/١/١٥ .

(٢) فى الادب الحديث جـ ١ ص ٩ راجع محاضرات فى نشوء القومية العربية ص ١٠٨ راجع أيضا تاريخ فلسطين خليل طوطم ص ٢٦٨ — ٢٧٢ .
وعبارة وصفحات سوداء : خطأ نحوى واضح والصواب أسود د. عبد السلام سرحان

(٣) مناهل الادب ولى الدين يكن ص ٩٢ .

جاء فى آخره قد عقب أحد الكتاب الماسونيين على هاتين القصيدتين فى مجلة المقتطف بمقال " ولاتظن أن أحدا يطالع هاتيين القصيدتين الا ويرى فيهما روح الماسونية والغرض الذى ترمى اليه وهو التماون على البر والنفع العام وهذا شعار الماسونية " (١) من أدبائنا الذين تبنو الهجوم على السلطان عبد الحميد الاستاذ المؤرخ محمد رفعت — وزير المعارف المصرية سابقا أذ يقول متهكما :—

" ورسمه أى عبد الحميد لايبرح أنظارهم — أى العثمانيين — ومخيلاتهم وهو يتراءى لهم فى صوره المطبوعة المعلقة على جدران بيوتهم ومتاجرهم وفى مجال أعمالهم ولكن أسم السلطان لا يطرق أسماع الناس حينذاك الا مقترنا بالفاظ الجلالة فهو أمير المؤمنين وظل الله على الارض وهو خليفة المسلمين كافة ومع ذلك فأن هذا السلطان الذى مجده الناس كادوا يؤلهونه لم يكن فى حقيقة الامر الا طاغية مستبدا لم يتورع عن الظلم والغدر و سفك الدماء حتى أنحدر أسمه فى التاريخ منعوتا بـ " السلطان الدامى " أو " السلطان الاحمر " (٢) والحقيقة التى أظهرت السلطان عبد الحميد بهذه الصورة هى أنه كان حازما فى عمل كل مايصون الدولة من الانهيار أمام الاسباب المتكالبة عليها سواء أكانت داخلية أم خارجية ويتساءل الاستاذ الفرجانى فيقول " وأننى لاسأل المعترضين على هذا ( الاجتهاد ) الذى ( أجتهده ) السلطان عبد الحميد وعمل بمقتضاه أين هو الدستور المعمول به فى هذا المشرق بعد مرور أكثر من ستين عاما على خلع عبد الحميد (٣) وقد أظهر أعداء الدولة والسلطان هذا الحزم وكأنه سفك دماء ومجازر وظلم خصوصا وأن معظم أعمال الدولة الخارجية منها كانت بيد الحاقدين من رعيتها والى هذا يأخذ جمال الدين الافغانى على العثمانيين تساهلهم مع القوميات والطوائف المختلفة فهو يلاحظ أن مستشار وزارة الخارجية العثمانية كان أرمنيا وهو أرتين باشا وسفيرها لدى أنكلترا كان روميا " موزوروس باشا " وحاكم جزيرة كريت هو قسطاكى باشا ويتساءل الافغانى فيقول " فهل يمكن أن نرى مستشار خارجية بريطانية مصريا أو هنديا ويقول صفوت باشا " أن سبب أنفصال الولايات المسيحية عن الدولة العثمانية كان نتيجة لحسن معاملة السلطنة لاهلها وترك التقاليد الاصلية حرة " وقد تكلم فضيلة الشيخ مصطفى صبرى عن هذا وأشار الى ماكتبه الامير شكيب أرسلان فى الخلاصة التى كتبها " جوفارا لكتابه " مائة مشروع لتقسيم تركية " حيث يقول " كانت السلطنة العثمانية سلطنة عسكرية محضة مستندة على شرع سماوي " وقال " العداوة الحقيقية كانت عداوة النصارى

( ١ ) مجلة المقتطف جـ ٣٦ ص ١٥٧

( ٢ ) التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة محمد رفعت ص ٨٣ .

( ٣ ) الحرب الصليبية الاوروبية التاسعة ص ١٠٥ .

للمسلمين برغم (٥) تسامح المسلمين في الحرية الدينية التي يتمتع بها المسيحيون في السلطنة العثمانية " وقال : " مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم (٦) الدولة العثمانية " (١) كما أشار المستر وليم للكراف في كتابة " المسألة الشرقية " ص ١٠ — ١١ ما تعريبه بالحرف الواحد " أن المسلمين أمناء ذوو عهود وحرمة وميثاق بخلاف غيرهم كبعض الارمن واليونان والمالطين فأنهم مفترون مختلقون لاكاذيب وأقاصيص لا أصل لها أفتراء على المسلمين وعلى دولتهم ولسوء الحظ فأنا نرى هؤلاء الافاكين هم التراجمة الذين يرافقون السياح الاجانب في البلاد العثمانية والغريب أن هؤلاء السياح أيضا يعتقدون أقوال أولئك النمامين كآيات بينات ينشرونها في أوروبة فتتلقاها الامم الاوروبية قضية مسلمة فتزداد أذا ذاك ضلالا على ضلال " (٢) وقال في صحيفة ٢١ ما معناه " لقد كثر المفترى عن سلوك الجنود العثمانيين مع أننا أذا رافقناهم الى المدن والقرى التي يدخلونها أو المعامع التي يخوضونها أو المعامع التي يخوضونها ألفيناهم أبطالا أمناء مسومين (٤) صبورين (٧) على أحتمال المشاق عما يشيعه اليونان أفتراء عليهم فالمقصود منه تضليل الشعوب الاوروبية لاغير ومن ذا الذى لايعجب عندما يرى أن الكذب ليس تجارة لليونان فقط بل للسفارات الاوروبية بواسطة (٨) تراجمتها الشرقيين " (٣) وعن معاملة الدولة العثمانية لرعاياها على أختلاف مللهم ونحلهم معاملة حسنة بدون تفريق : قال الكونت هنرى كرسنسكي في كتابه المدعو " تاريخ قوزاق الاقرين " ص ٥٣ " ولقد ندم ( خميالنسكى ) أمير القوزاق أذ لم يجعل بلاده من أملاك الدولة العلية عوضا عن ضمها الى روسية وكان آخر كلامه وهو على فراش الموت سنة ١٦٥٦م قوله " الهى لقد أقترضت ذنبا عظيما وأحرقتاه بم أعتذر عنه أذ جعلت قومى تحت سلطة من لارحمة في قلوبهم ولم أجعلهم تحت حكم الدولة العثمانية الرحيمة برعايها لقد غدرت بقومى ولم أنصحهم أذ لم أجعلهم تحت حكم

---

( ١ ) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباد ة المرسلين جـ ١ص ٨٢ • ٨٩

( ٢ ) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٢٠٧ ص ٨٣ رجب ١٣١٦ هـ •

( ٣ ) المرجع السابق •

( ٤ ) مسومين — لهم علامات

(٥) كذا ، والصواب " على الرغم من "

(٦) كذا والصواب " تتهجم "

(٧) هذا جمع خاطىء كل الخطأ والصواب : صُبُر

(٨) الصواب : بوساطة • كفير وغير وغفور وغفر • الخ •

اعترفت

سلاطين آل عثمان الكرام " وقال فى مكان آخر " وكانت البلاد العثمانية خير حصن يأوى اليه من رماه الدهر بالارزاء من الاوربين جميعا ولما أعتد بلاء قوزاق (الزبوروكسى) التجأوا مع أميرهم الى الدولة العثمانية فأحسنت اليهم وأعطتهم عقارات وأراضى فسيحة يزرعونها ويقتاتون من ريعها (١) وفى هذا تأييد لرأى جمال الدين الافغانى الذى أوردناه بهذا الشأن .

السلطان عبد الحميد ضحية فلسطين وشهيدها الاول :

بدأت نهاية الدولة العثمانية يوم وقف السلطان عبد الحميد فى وجه المطامع اليهودية عن تحقيق أهدافها فى فلسطين وحتى نتمكن من فهم دور اليهود فى أسقاط السلطان عبد الحميد الذى به أنتهت دولة الخلافة وهيبتها يجب أن نبدأ من القرن التاسع عشر حيث كانت الدولة العثمانية تعطف على اليهود عملا بتوجيهات الدين الاسلامى الذى يوصى بأهل الذمة خيرا وقد رحبت بالمهاجرين اليها منهم عند فرارهم من وجه الظلم الاوروبى ولعل فيما كتبه صاحب ثمرات الفنون يوضح مدى القسوة التى كانت تعامل بها الطوائف من قبل الدول الاخرى . فقد أورد صاحب ثمرات الفنون خبرا جاء فيه " وقال الكونت المذكور — هنرى كرسنسكى فى كتابه تاريخ القوزاق الاقويين — فى وجه ١١١ ماحصله " وشرع الروس يقتلون — اليهود والكاثوليك والروتستانت نساء ورجالا وأطفالا وكانو يشنقون الرجل البولونى الكاثوليكى ويقربه رجل بروتستنتى ويشنقون بينهما كلبا مبالغة فى الاحتقار وفى سنة ١٧٦٧ حرقوا بالنار الوفا من اليهود دون أن يرحموا صغيرا أو كبيرا الى أن قال فى وجه ١٣٠ أما العثمانيون فلم يبد منهم الا الاحسان لكل من أم بلادهم وما دخلت الدولة العثمانية بلدا الاوعمرها عدلها وصانها شرعها وقد نشرت ووسية أعلانا عموميا بالامان لمن يروم العودة الى وطنه فصدق بعض القوقاز الذين أحتمو بالبلاد العثمانية قولها فعادوا نحو أوطانهم فما أستقرت أقدامهم بالبلاد الروسية حتى سقوا كئوس الموت الزؤام ولم ينج منهم أحد (٢) وفى مكان آخر ذكر صاحب ثمرات الفنون فى المعنى نفسه قول المستر فون والمستر واهويلم فى كتابهما المدعو "

---

(١) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٩٧ ص ٣ .

(٢) مجلة ثمرات الفنون ج ٩٨ ١١ ص ٢ .

"أركان الاوروبيين وجه ٢٠٨ ماتعريبه بالحرف الواحد " أن أبناء جلد تنا - يتخطفون المسلمين زه من كل جانب ومع هذا نرى هوءلاء يحسنون اليهم ويحمونهم من بعضهم البعض ويحرسون معابدهم وروءساءهم الروحيين فكان المسلمين لم - يذوقوا مرما فعله متوحشو أوروبة من الفضائح فيا فضيحة من يقول أننا قوم عادلون وهذه أعمالنا التاريخية تشهد علينا بعكس ذلك ".

وقال فى وجة ١٥٥ من الكتاب نفسه " لقد قتلت الوف من اليهود نساء - أو أطفالا أو رجالا فى أزقة أشهر المدن الاوروبية ولم يعد لاولئك المساكين مأوى أمين الا بلاد الدولة العثمانية فهى بلاد الراحة والامن والسلام .

وجاء فى الكتاب المدعو " تاريخ اليهود " وجه ٥٤٨ مانصه " لقد كثر قتل اليهود وحرقهم بالنار دون أستثناء الصغير منهم والكبير فى كافة المدن - الاوروبية ولم ينج من العذاب الا القاطنون فى بلاد الدولة العثمانية بلاد - الامن والسلام (١) ومن الادلة على عطف الدولة العلية على اليهود وحمايتها لهم أن " يهوذا - حتسيد " حاخام طائفة الاشكناز أستدان مبالغ كبيرة من أهالى القدس - لينفقها على شوءون طائفته ثم عجز أو أنه تظاهر بالعجز عن تسديدها فأصدر السلطان محمود الثانى إرادته السامية عام ١٨١٦ باعفاء الاشكناز من هذه الديون وفى عام ١٨٥٠ كان عدد اليهود فى كافة أنحاء الدولة العثمانية لا يزيدون على ١٥٠ الف يهودى كانوا يعيشون فى نظام خاص بهم منهم سبعة عشر الفا فى - فلسطين وينتشرون فى القدس ويافه وطيريه وصفد . وبدأ شعور الدولة يتبدل نحو اليهود فى أواخر عهد السلطان عبد المجيد ١٨٦١ حيث بدأ أعوانه يشتبهون فى اليهود وسلوكهم الا أن تدابير صارمة لم تتخذ بحقهم بل أكتفى بفرض المراقبة على نشاطاتهم . أما فكرة أنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين فقد تبنتها بريطانية منذ أنشأت قنصليتها فى القدس عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ وأعلنت فيه حمايتها لليهود مع حملة صحفية بريطانية توءيد أمانى اليهود فى فلسطين ظهرت فى مقالات التايمز فى السابع عشر والسادس والعشرين من أغسطس ١٨٤٠ تحدثت

---

(١) مجلة ثمرات الفنون عدد ١١٩٦ ص ٢.

فيه عن أمكان قيام دولة يهودية بجهد بريطاني (١) وزار السيد لورنس أوليفانت البريطاني فلسطين عام ١٨٧٩ وقام خلالها بدراسة سرية لشئون الزراعة والـــرى والثروات الطبيعية ثم عاد الى لندن ليتقدم للحكومة البريطانية وكانت برئاســـة اليهودى دزرائيلي — بمشروع للاستفادة من الاراضى المحيطة بنهر الاردن على أن يقوم اليهود باستثمارها والسكن فيها فوافقت عليه الحكومة البريطانية وتبنتــه ولما عاد أولفانت الى الاستانة وأجرى أتصلات مع الحكومة العثمانية بشأن مشــروع أستدعاه السلطان عبد الحميد وأفهمه بصراحة أنه لن يسمح لليهود مطلقا باستعمار فلسطين لاعتقاده بأن غرضهم الحقيقى هو أقامة مملكة لهم فيها أساسها الدين .. ..... وأضاف .......... أن اليهود يستطيعون بسلام وأطمئنان أن يعيشوا فى أى جهة من الدولة العثمانية ماعدا فلسطين فاستنجد لورنس أوليفانت بسفيرى بريطانية وأمريكه لمساعدته على أقناع السلطان لتغيير موقفه ولكن السلطان رفض تدخلها وأمر باخراج أوليفانت من البلاد ........ وقام السفير الامريكى المستر دالاس بمساع جديدة لحمل السلطان على السماح لليهود بالهجرة الـــى فلسطين وأستملاك الاراضى فيها فأفهمه السلطان بصراحة وحزم أن لا أمل لليهود فى فلسطين وأنه أذا كان اليهود يريدون عملا خاليا من أى غرض وهدف سياســى فأمامهم مايشاءون من سهول العراق وسوريا والاناضول . ولم يكتف السلطـــان عبد الحميد بالرفض بل وقع قانونا عام ١٨٨٠ يمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين وأستملاكهم الاراضى فيها وبعد ذلك بعامين أحتلت بريطانية مصر وأعلن فى الوقت نفسه عن قيام الحركة الصهيونية فضاعف هذان الحادثان من قلق الدولة العثمانية ومخاوفها من المطامع اليهودية ....... وأذ لاحظت بعض التحايل من قبـل اليهود على القانون حيث أستطاعوا بالتعاون مع الدول الاجنبية وبمساعدة بريطانيه وأمريكا خاصة مواصلة التحايل على القوانين العثمانية مستغلين ماكان يسود الادارة العثمانية أنذاك من تدهور ورشوة فلم يجز السلطان بدأ من أن يتدخل بنفسه وأصدر أوامره — الشخصية المشددة بمنع أى يهودى من دخول فلسطين الا أذا كان يحمل جوازا رسميا يحمل تأشيرة تركية للدخول كما أمر بطرد جميع اليهود الذين يثبت أنهم دخلـــوا أراضى الدولة العثمانية بصورة غير شرعية فتدخل السفير الامريكى تنفيذا لتعليمـــات مشددة تلقاها من واشنطن وباريس ليضغط على الحكومة لالغاء الاوامر فم يفلح بأكثـر من أن الصدر الاعظم سعيد باشا وافق على السماح لليهود الذين يحملون جوزات

---

(١) الهاشميون والقضية الفلسطينية ص ١٤ — ١٥ .

سفر قانونية بالاقامة فى فلسطين مدة أقصاها ثلاثة أشهر وظل السلطان عبد الحميد مشددا فى منع اليهود من الهجرة الى فلسطين وأستملاك الاراضى فيها ووقف العديد من المساعى والجهود التى كان ممثلو بريطانية وأمريكه يبذلونها باستمرار لحمله على العدول عن خطته واستمر هذا النشال المنيف مدة عشرة أعوام تقريبا دون أن تستطيع الدولتان الفوز بأمنيتهما ، وفى عام ١٨٩١ أرسل قنصل أمريكا الى حكومته رسالة يقول فيها أن تركية المسلمة لن ترضى باقامة مملكة لليهود فى فلسطين وفى عام ١٨٩٣ أصدر السلطان عبد الحميد أوامرجديدة يمنع اليهود من شراء الاراضى فى فلسطين • ثم دخلت المفاوضات بين السلطان عبد الحميد والصهيونية مرحلة جديدة أكثر جدية وصراحة وتصميما من قبل مثول تيودور هرتزل الزعيم الصهيونى بين يدى عبد الحميد سنة ١٨٩٣ وكان يرافقه موشى لاوى الحاخام الاكبر للدولة العثمانية وبعد مقدمة مليئة بالرياء والنفاق والتملق بينا له حاجة أمتهما للحماية والرعاية التى تلقاها من الدولة العلية ثم دخلا فى صلب الموضوع الذى جاء من أجله بمناوره كلامية بحسنانها فكان السلطان الداهية حريصا على أن يسبر غورها ويكشف أمرهما دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال ويصغى اليهما برحابة صدر وهدوء ••

فقال أحدهما : أن عبيدكم اليهود يا أصحاب الجلالة مدينون لكم ولاجدادكم العظام وللشعب التركى المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التى يلقونها ولن ينسى التاريخ مالقيه الشعب اليهودى من العطف والرعاية التى رأوها وهم يدعون لكم بطول العمر " (١) .

قال السلطان : أريد معرفة مقاصدكما الحقيقية التى طلبتم مقابلتى من أجلها : فأجابا بتولاه وتحفظ " أننا نجرؤ بالبيان لسدتكم الصموانية ، أن عبيدكم اليهود المشمولين بالطافكم الملوكية بحسرة وحاجة الى وطن يلم شعثهم ولاينسون لكم هذه المنة والفضل مدى الازمان وسيذكرونه لكم بالتعظيم وبالاكبار والتبجيل ••• " فقال السلطان : " كنا نظن أن اليهود فى مملكتنا يتمتعون بكل عز ورفاه مشمولين بالعدالة والامن كما كنا نظن بأنكم ممنونون من حسن المعاملة التى يلقاها اليهود أسوة ببقايا الرعايا العثمانيين لهم مالهم عليهم بدون تمييز فهل لكم شكاية من معاملة غير عادلة لانعرفها نحن " فأجابه برهبة وخشوع " نستغفر الله ياصاحب الجلالة أن رعاياكم اليهود يتمتعون بكل

---

(١) كان اليهود يجتمعون للصلاة والدعاة للسلطان راجع الجوانب عدد ٨٥٦ السنة السابعة عشر الاحد ٢٢ ربيع الثانى ١٢٩٤ .

طمأنينة وامتنان ولاتوجد لهم أى شكاية وكل ماهنالك أننا نسترحم منكم ولو قطعة أرض رمزية لتكون لهم مركزا دينيا يحجون اليه فى ظل دولتكم وليقوموا فيه — بالصلاة والدعاء والشكر لسد تكم العلية ودوام حياة جلالتكم " فأجابهما السلطان باقتضاب " لايمكننا أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الان تجاه أمنكم التى تتمتع بخيرات البلاد كمواطنين عثمانيين بل وأكثر وأظنكما تذكران ماكان يلقاه اليهود قبل لجوئهم الى بلادنا من الحقارة والذل والاضطهاد فى مختلف البلاد التى هاجروا فيها " وأدار السلطان وجهه الى الحاخام موشى لاوى بنظرة جادة وقال له " أليس ذلك باحاخام أفندى " فأجابة الحاخام بتلكوء وتعتعة : الله يزيد فى عمر جلالتكم " وتكلم تمودور هرتزل فقال " هل لى أن أتقدم بعرض على جلالتكم بأن تقدروا ان تحسبوا ما ستنسبوه من ثمن للاراضى التى تعود ملكيتها الى جلالتكم فى فلسطين بشرط أن يدفع اليهود بدلها نقدا مع الزيادة مهما بلغ وأرتفع الثمن من ملايين الليرات الذهبية وهنا وغلى الدم فى عروق السلطان وصاح بهما : " هل وصل بكما الامر لتعرضا على ثمنا لقطعة أرض عزيزة من أرض الوطن المبذولة فيها دماء الشهداء والتى لاتباع — ولايمكن التفريط فى شبر منها بل نحن على أستعداد لكى نبذل المزيد من الدماء للمحافظة عليها أكثر مما بذلناه حتى الآن " ثم نهض علاوة أنهاء المقابلة فأنسحب هرتزل ولاوى بجرران ذيول الخيبة ، ويقال أن اليهود تدارسوا فيما بينهم نتائج هذه المقابلة ودعوا الى موءتمر عقدوه فى مدينة بازل فى سويسرا عام ١٨٩٧ ضم أكثر من تسعمائة شخص يمثلون ستمائة جمعية يهودية وفى هذا الموءتمر أتخذت مقررات ( بروتوكولات حكماء صهيون " المشهورة ويقال أن هرتزل قد عرض فى هذا الموءتمر فكرة أقامة وطن قومى لليهود فى غير فلسطين فى أوغندة مثلا ....... بعد أن يئس من السلطان عبد الحميد الا أن — بقية الموءتمرين قرروا الزحف الافرادى المتواصل الى فلسطين للتمركز فيها والسكن فى تلك البقاع المقدسة بصفة زائرين أو مجاورين وفى ذلك العام زار — الاستانة الامبراطور غليوم الثانى الالمانى ومنها توجه الى زيارة القدس فاغتنم اليهود الفرصة ورجوه التوسط مع مضيفه لمنحهم مايريدون وتوسط الامبراطور فعلا ولكن السلطان عبد الحميد لم يتزحزح عن موقفه قيد أنملة بل على العكس من ذلك جعلته هذه الوساطة يحس بالتركيز اليهودى على فلسطين ويتوجس خيفة فأصدر أوامره المشددة لتقييد اليهود الزائرين للاماكن المقدسة بـ ( البطاقات الحمراء ) التى مالبثت أن عرفت باسم ( الجواز الاحمر ) وهذه لاتبيح بقاء اليهودى الزائر فى فلسطين أكثر من شهر واحد ومع هذا لم ييأس اليهود —

وتوسط

فأوفدوا اليه نائب سالونيك عمانوئيل قره صوأفندى ليعرض على السلطان خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية للخزينة السلطانية الخاصة ومبلغ أكبر تحدده — الحكومة العثمانية ويعطى لها كقرض بلافائدة والى أجل غير مسمى مقابل أعفاء اليهود المثلث القائم بين يافا والبحر الميت وكانت الدولة تخوض فى ذلك الحين حربا مريرة مع روسية وتجتاز أزمة أقتصادية خانقة ومع هذا غضب السلطان وطرده من حضرتـــه •

وتقول بعض المصادر التاريخية أن تيودور هرتزل مالبث أن أعاد الكرة وقابل السلطان بعد توسط سفيرى بريطانية وأمريكه وعرض عليه أن ينشىء اليهود لدولته أسطولا حربيا وتجاريا يفوق ويستلب من الاسطول البريطانى سيادة البحار •• ••• فأبلغه السلطان أنه يرفض جميع العروض اليهودية من أساسها وأنه لن — يسمح لهم باستعمار فلسطين والثابت قطعا أن مكاتبات جرت بينهما حول هذا الموضوع وأن السلطان ظل متمسكا بموقفه حتى النهاية طالبا الى اليهود أن يحتفظوا بملايينهم الى الحين الذى يستطيعون فيه الحصول على فلسطيـــن ولكن ••••• على أنقاض دولته العلية العثمانية (١) .

وضاق اليهود ذرعا من تصلب السلطان عبد الحميد الثانى تجاهم فاتخذوا — مقررات جديدة خلاصتها محاربة السلطان عبد الحميد وبذل كل جهد لازاحتـه عن العرش (٢) واللجوء الى الاغتيال أذا لزم الامر فبدأوا يبثون الدعايات — ضده عن طريق جمعياتهم السرية والماسونية فى الصحف الاجنبية وأعدوا موءامرة لاغتياله (٣) بوساطة فوضوى أرمنى كان السبب فى أختياره خوفهم من عدم نجاح هذه الموءامرة فلايلحق حينئذ باليهود أى ضرر ••• وفعلا أنفجرت —

---

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ — ١١٤

(٢) لمعرفة حقيقة الدوعة الماسونية فى عزل السلطان عبد الحميد عن طريق الاتحاد والترقى راجع كتاب حقيقة الماسونية للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ — ١٧٥ وكتاب الماسونية فى المراء للدكتور محمد علـى الزعبى ص ١٧٤ — ١٧٩ حيث ذكر ضبط أحد جلسات محفل سلانيك — الاكبر التى تم فيها المطالبة والتخطيط لاسقاط عبد الحميد كما ورد فى مجلة التحرير " العدد الثانى كانون الثانى ١٩٣٩ التى تصدر فـــى حمص وتطبع فى مطابع الترقى فى دمشق •

(٣) وهم الذين كانوا كثيرا ما يدعون له كما جاء فى صحيفة الجوائب "

قنبلة موقوته فى عربة السلطان بعد ظهر الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥ وللمصادفة البحته بل العناية الالهية كان السلطان قد وقف مع شيخ الاسلام خلافا لعادته يبادله بعرض الحديث فتأخر بذلك عن المركب فترة من الوقت أنفجرت القنبلة خلالها وكان من نتيجة هذه المؤامرة المذابح التى تعرض لها الارمن وثورتهم فى ذلك العام .

وعندما فشل اليهود فى محاولتهم هذه توسلوا بوسائل دنيئة أخرى — فلفقوا قصصا وحكايات لايزال الكثيرون من الناس يؤمنون بها وكأنها حقائق — ثابته ... منها أن السلطان قد أغرق ثلث أو نصف أعضاء مجلس المبعوثان — العثمان الاول فى البوسفور ..... وأنه مالبث أن أغرق المئات من طلاب — الجامعات والزعماء المعارضين فى البحر عن طريق ربط أرجلهم بالحجارة الثقيلة ورميهم فيها من سراى برونى (١) ومنها قصة وجود سوء أستعمال وسرقات وفى مشروع سكة حديد الحجاز وأحتفاظ السلطان لنفسه بالاعلانات التى جمعت بمعرفته من أقطار العالم الاسلامى مع أنه حينما أستتب الامر للاتحاديين لم يعلن قط عن أسم نائب أو زعيم أو طالب قد رمى فى البوسفور أو يكون مفقودا لم يعرف مصيره هذا من جهة ومن جهة أخرى أشادوا برجالهم أمثال مدحت باشا وسموه أبا الاحرار وهو رئيس جمعية ( تركيا الفتاة ) اليهودية التى أطاحت بالسلطان عبد الحميد (٢) وكان عملهم لتقويض الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد فى ميدانين ( ميدان خارجى بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم فى الدولة الاوروبية وميدان داخلى فى تغذية الروح القومية الانفصالية لعناصر المملكة المختلفة من عرب وأكراد وشركس وأرناؤط وأرمن وغيرهم وأحزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية ب ( عقائديات ) حسنة الظاهر ولها فى كيان الامة فعل الديناميت المفجر حتى أتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها فجعل حزب — الاتحاد والترقى ( اليهودى الماسونى ) مركز عمله سرا فى ( سلانيك ) وقد أختارها لان فيها عدا الجاليات الاجنبية الكثيرة عددا من المحافل الماسونية كانت عونا لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم ثم قويت حركات المعارضيين

---

*** السبت اجتمع الاسرائليون فى معبدهم وتلوا أدعية خيرية بطول بقاء مولانا وسلطاننا المعظم وبتأييد دولته العلية ونصره ع مكره " الجوائب عدد ٨٥٦ لسنة ١٧ " ربيع الثانى ١٢٩٤ .

( ٢ ) اسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت أتلخان ص ٥٩ .

( ٣ ) راجع كتاب الثورات سلامة موسى ص ٧٢ — ٧٩ .

حتى صارت علنية بعد السرية وتجاوب مع معارض ( سلانيك ) الارمن وسائر - الاقليات تحت شعار ( الدستور ) (١) أما الشبان العرب فقد أعداهم التجسس القومى الذى كان الاجانب يورثونه لهم (٢) من حيث لا يشعرون - بهم وكانت الارساليات الاجنبية ومدارسها والقنصليات زر رماد الوعى القومى ٠٠٠٠ واعتنمت المدارس الاجنبية المنتشرة فى المملكة فرصة - أستثنائها من رئاسة الدولة فألقت فى أفئدة تلاميذها النصارى الرعب من المسلمين لتنفرهم من الامبراطورية العثمانية ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك ببعض التآليف التى لم تتورع عن الطعن فى الاسلام والتشهير برسوله ٠٠٠٠٠ (٣) ثم جاء الظرف الذى أضطر فيه السلطان عبد الحميد للعمل بموجب الدستور العثمانى فى ٢٤ تموز ١٩٠٨ وفى هذه المناسبة قال الامير شكيب قصيده - مطلعها :-

الا يا بنى عثمان حسبكما شكرا      لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى

ويصف الخليفة بأنه ظل الله حيث يقول :

وألهم مولانا الخليفة ظله      قياما على الدستور فى الملة الغرا

تداركها رمقا باكسير ناظر      أذ امال نحو الترب سيره تسبرا ٠٠٠

الى أن يقول :

وقدوا أميرا موءمنين بأنفس      كنتها الى عثمان نسبتها فخرا (٤)

ويسجل الاستاذ خليل طوطح شيئا عن تاريخ هذه الحقبة فيقول ٠٠٠٠٠٠ وكان شعار الناس قاطبة حرية عدالة مساواة فكثر الفساد وعم التعدى وضعفت الادارة الملكية وسادت الفوضى وضوءلت هيئة الحكومة وطمع الناس الى احتقار الحكام وجهلوا معنى الحرية فظنوها الاشتراكية أو الفوضوية فكان الرجل ينهب مال غيره ويستبد بالضعيف وأذا عنفته أو زجرته قال حرية مساواة " (٥) ولكن سرعان ما عاد السلطان والغى الدستور والعمل به ولكن جمعية الاتحاد والترقى كانت قد تغلغلت وأستشرت وزحفت فرقة من الجيش نحو العاصمة أستانبول بقيادة محمود شوكت باشا الفاروقى " وهنا يسجل السلطان عبد الحميد موقفا حقن به

---

( ١ ) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى ٠

( ٢ ) التأريث الاغراء بين القوم وأيقاد النار ٠

( ٣ ) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى

( ٤ ) ديوان شكيب أرسلان ص ١٠٢ - ١٠٣ ٠

( ٥ ) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦٩ ٠

الدماء فى الوقت الذى كان يستطيع أن يقاوم بحرس قصره ويرد هذه الفرقة ريثما تحضر فرقة الجيش الاخرى لنصرة السلطان (١) .

ويقول الاستاذ سعيد الافغانى أيضا " يحفظ المعمرون فى دمشق عن أحد باشوات الدولة العثمانية المرحوم " زاهد باشا الهبل " وكان يروى لجلسائه آخر ماأتى السلطان فى قصره يوم الخلع قال : لما أضطربت الحوادث وتمردت ( سلانيك ) أخبر الصدر الاعظم سلطانه بعصيان جيش سلانيك فقال السلطان ( طيب ) ولم يزد عليها ثم أخبره باتجاه العصاه نحو العاصمة ( أستانبول ) فقال ( طيب ) ولم يأمر بشئ ثم أخبره بدخولهم العاصمة .... ثم باتجاههم نحو قصره .... ثم بحصارهم القصر وفى ذلك كله يقول ( طيب ) ولايزيد عليها وكان الصدر الاعظم شديد الهيبة للسلطان ثم دخل آمر القوى فى القصر يستأذن السلطان بضرب العصاه والمقاومة فمنعه ثم عاوده القول بأنهم يريدون أذنه بالمقاومة لهم فقال : أعرف جيدا مايريدون هو خلعى أو قتلى وأنا شخص واحد فاذا أمرتكم بالمقاومة سقط مئات القتلى منكم ومنهم وأنتم جميعا أفراد من هذه الامة والامة تحتاج اليكم فيما ينزل بها من شدائد ثم دخل العصاه ولم يقاومهم أحد " (٢) . كان ذلك فى ٣١ آزار ١٩٠٩ .

وتولى بعده أخوه محمد رشاد الذى لم يكن له من الامر شئ حتى التوقيع أو الختم فقد وضعت جميعها بيد أنور باشا وأصبح يهود الدونمة والماسون يحكمون من وراء ستار عن طريق كبار رجالهم أمثال " جاويد بك والميتر سالم ، وصانوئيل قرة صو " ولم يكن خافيا على أحد تغلغل وسيطرة الماسونية على جمعية الاتحاد والترقى يقول صاحب المقتطف " ... وحسبك شاهد ما فعلته جمعية الاتحاد والترقى العثمانية وأكثر أعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها "

كما أشار الى دور الانجليز أيضا فى خلع السلطان عبد الحميد فى مناسبة أفتتاح محفل نيازى فى مصر برئاسة نعوم بك شقير بمكان المحفل فندق كونتننتال وحضر الحفل أدريس بك راغب مدير المحافل الماسونية المصرية والى يمينه نعوم بك

---

( ١ ) ولكن الدكتور محمد محمد حسين يقول " .... ويلجأ زعماء الاتحاديين فى الجيش الى العنف فيقتحمون الاستانة ويحاصرون يلدز ويشتبكون مع رجال عبد الحميد فى معركة كبيرة تنتهى بالتسليم " الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ج ١ ص ٤٦ ولكنه لم يذكر المراجع .

( ٢ ) مجلة العربى عدد ١٦٩ ( ص ١٥٤ ) مقال الاستاذ سعيد الافغانى

شقير رئيس محفل نيازى ثم حضره ستاك بك وكيل حكومة السودان وحضرة القائم مقام برتوبك من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ... فأديرت الوان الطعام الفاخرة وتداول الجلوس المسامرات الفكاهية ثم شربوا نخب الجناب العالى والحضرة السلطانية وجلالة ملك الانجليز رئيس المحافل الماسونية والانجليزية السابقة ... وخطب برتوبك بالتركية وأثنى الثناء الماطر على الحكومة الانجليزية والامة الانجليزية لانها ساعدتا العثمانيين فى هذا الانقلاب المبارك — ضد عبد الحميد — الذى فرض أساس الاستبداد ووطن أركان الحرية فى الممالك العثمانية وقال صريحا " أن الماسونية كانت المحرك الاول والمرشد الاكبر للجنة الاتحاد والترقى وأظهر الذين تكلموا بالعربية فضل الماسونية فى تأليف القلوب بين كل الامم على أختلاف أجناسهم ومذاهبهم مستشهدين بذلك الاجتماع الذى جمع كثيرين من المصريين والانجليز والترك من المسلمين والمسيحين على أختلاف مذاهبهم وكلهم أخوان تجمعهم رابطة الحرية والاخاء والمساواة " (١)

هذا وفى ١٤ نيسان ١٩٠٩ أوفد البرلمان العثمانى هيئة مكونة من الرئيس حكمت باشا وثلاثة أعضاءهم أسعد الطويتالى باشا وغالب باشا وعمانوئيل قره صو أفندى الى سراى يلدز لابلاغ السلطان قرار الخلع وقد كانت أمارات التردد — والتهيب على وجوه رجالها وكانت النشوة ظاهرة على ملامح قرصو وعندما أبلغه عارف حكمت باشا قرار الخلع أجابه عبد الحميد " ذلك تقدير العزيز العليم وبعد أن صمت برهة تابع يقول " لا بأس فليكن ذلك لقد أمسكت قيادة الامة بخيط أرفع من خيط القطن مدة ثلاثة وثلاثين سنة دون أن ينفصم فأتمنى لكم النجاح أكثر منى ، وأعلموا أن المسئولية التى تحملونها ثقيلة جدا وأستغرق فى تفكير عميق كمن يستعرض الاسباب الحقيقية التى أدت الى خلعه والرهبة آخذه بأعضاء اللجنة كل مأخذ وفجأة أنتفض عبد الحميد وأشار الى قره صو متسائلا " ماهو عمل اليهودى فى مقام الخلافة ؟ .. ) ثم التفت الى بقية أعضاء الوفد وصاح بهم " بأى قصد أتيتم بهذا اليهودى الى هنا ؟ أنا أفهم حقكم كمسلمين —

---

(١) القطف ج ٣٦ (١٩١٠) ص ١٥٧.

في خلع سلطانكم وخليفة نبيكم ولكن ... ما هي علاقة هذا اليهودي بالـذي جئتم من أجله ...؟ " .

وهناك ساد الارتباك أعضاء الهيئة وارتعدت مفاصل زعيم يهود سالونيك وفي رواية ان السلطان انتهره وأخرجه من المجلس[1] " .

لقد كان مجيء زعيم يهود سالونيك ضمن اللجنة التي تبلغ السلطان قرار الخلع أكبر دليل على اليد الطولى لليهود في خلع السلطان[2] وقد كان لموقف السلطان المتعنت اتجاه المطامع اليهودية في فلسطين السبب الأول في موقف اليهود منه موقف العداء والعمل على خلعه واذا استبعدنا هذا الفرض لم نجد هناك سببا مباشرا لهذا العداء فهم بأعترافهم كانوا يعشون أرغد عيش في ظل الدولة العثمانية في الوقت الذي يضطهد ويحرق فيه اليهود في أوروبة .

وفي رسالة السلطان عبد الحميد الى شيخه الشيخ محمود افندي أبي الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في عصره حيث كانت تتم بينهما المراسلات عن طريق أحد الحرس — على السلطان عبد الحميد — الذين أخذوا العهد والطريقة من الشيخ أبي الشامات أثناء وجوده في استانبول في غلفة ( راغب رضا بك ) مدير القصر السلطاني كما أخذ عنه عدد من وجهاء استامبول وموظفي القصر السلطاني وجرهه وحراسه وهي حجة دامغة في بيان دور اليهود في عزل السلطان عبد الحميد[3] وهذا نصهـا :

---

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ — ١١٨

(٢) راجع الماسونية في العراء ص ٢١٨ — ٢٢٢ . وكتاب حقيقة الماسونية ص ١٧٤ — ١٧٦

(٣) يقال ان الذي مول الفتنة التي قضت على السلطان عبد الحميد يهودي يدعى ناثان رئيس بلدية روما راجع كتاب مصطفى كمال تأليف جو بوت فون تمريف كامل مسيحه ص ٢١

يا هـــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين الى يوم الدين أرفع عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلمية الشاذلية الى مفيض الحياة ، الى شيخ أهل عصره الشيخ محمد افندى ابى الشامات وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامى أعرض أننى تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٢ مارس فى السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدى :

أننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا وأعرض أننى مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة . بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم والى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة التاريخ " اننى لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى أننى - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بأسم ( جون ترك ) وتهديدهم - اضطررت واجبرت على ترك الخلافة وان هؤلاء الاتحاديين قد أصرورا وأصروا عليّ " بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة ( فلسطين ) ورغم أصدارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم ( ١٥٠ ) مليون ليرة انجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الأتى :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا - فضلا عن ( ١٥٠ ) مليون ليرة انجليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين .

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعى .. " . وبعد جوابى القطعى أتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سينفوننى الى ( سلانيك ) فقبلت بهذا التكليف الأخير هذا وحمدت المولى وأحمده أننى لم ألطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامى

بهذا العار الأبدى الناشيء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة فلسطين ..

وقد كان بعد ذلك ما كان ولذا فانى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال واعتقد أن ما عرضته كاف فى هذا الموضوع الهام وبه أختم رسالتى هذه ألثم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى بسلامى الى جميع الاخوان والأصدقاء .

يا أستاذى المعظم :

لقد أطلت عليكم التحية ولكن دفعنى لهذه الاطالة أن تحيط سماحتكم علما وتحيط جماعتكم بذلك علما أيضا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى ٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

.............

هذا وقد نشرت هذه الرسالة ضمن مقال طويل للاستاذ سعيد الافغانى فى مجلة العربى عدد ١٦٩ وذكر الأستاذ الافغانى أن هذه الرسالة مترجمة عن النسخة الأصلية بخط السلطان عبد الحميد باللغة التركية وقد نشرت مجلة انجليزية اسلامية نص الرسالة بالانجليزية بعد مقدمة طويلة ففضلنا الاعتماد على الترجمة العربية المأخوذة عن التركية مباشرة بدلا من ترجمة النص الانجليزى الى العربية والمجلة اسمها

Impact International fortnight London
23 March – 12 April 1973 Vol 2:21.

ونشرت مجلة العربى أيضا فى عددها رقم ١٧٨ ص ٥٢ — ٥٨ مقالا فى الرد على الأستاذ سعيد الأفغانى بعنوان " السلطان عبد الحميد طاغية وليس خليفة " للاستاذ عبد الله أحمد حسين يعتمد فيه على المراجع

التى روجت ما أدعته جمعية الاتحاد والترقى من بطش وظلم واستبداد عبد الحميد علما بأن موقف هذه الجمعية من القومية العربية وقضاياها موقف لا تحسد عليه .

وينبغى لنا ان نقول : ان هذه الرسالة لم تضف اى جديد فى موضوعها سوى أنها وثيقة من السلطان عبد الحميد لاثبات دور اليهود فى الاحزاب والجمعيات التى كانت تثور على السلطان منادية بالدستور والحرية فى الظاهر وهى تسعى لهدم الخلافة العثمانية فى الباطن . حتى أتقدت شرارة الخلاف سافرة أمام رفض السلطان عبد الحميد الموافقة على اقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين حيث قدم السلطان المؤمن عرشه ليكون الثمن ، وقد كان هذا معروفا بحقيقته لمثقفى الأمة العربية أمثال الأمير شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده ورشيد رضا والشيخ يوسف النبهانى والمؤرخ الأستاذ محمد جميل بيهم وغيرهم من الذين بقى ولاؤهم للدولة العثمانية حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم .

وما ان تسلم الاتحاد والترقى الحكم حتى أنطلقت القصائد والتأييدات ترحيبا بالاحرار والدستوريين او شماته فى السلطان عبد الحميد أو رثاء له .

هذا شوقى يقول فى قصيدته :ـ

| | |
|---|---|
| سل يلدز ذات القصور | هل جاءها نبأ البدور |
| شيخ الملوك وان تضعضع | فى الفؤاد وفى الضمير |
| نستغفر المولى له | والله يعفو عن كثير |

الى ان يقول :

| | |
|---|---|
| عبد الحميد حساب مثلك | فى يد الملك الغفور |
| سدت الثلاثين الطوال | ولسن بالحكم القصير |
| تنهى وتأمر ما بدا لك | فى الكبير وفى الصغير |
| لا تستشير وفى الحمى | عدد الكواكب من مشير |

ثم يشيد بالجيش فيقول :

يا أيها الجيش الـذى ... لا بالدعى ولا الفخـور
يخفى فان ربح الحمى ... لفت البرية بالظهـور
كالليث يسرف فى الفعال ... وليس يسرف فى الزئير
فى مدح أنورك الجرىء ... وفى نيازيك الجسـور
يا شوكت الاسلام بل ... يا فاتح البلد العسير(١)

وهذا حافظ ابراهيم يرثى السلطان فى قصيدة تفيض حزنا حيث يقول :

لا رعى الله عهدها من جدود ... كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد(٢)
فرح المسلمون قبل النصارى ... فيك قبل الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمة ... أن يشمت الورى فى طريد
خالد أنت رغم آنف الليالى ... فى كبار الرجال أهل الخلود

الى ان يقـول :ـ

حاولوا طمس ما صنعت وودوا ... لو يطيقون طمس خط الحديد
ولى الأمر ثلث قرن ينادى ... باسمه كل مسلم فى الوجود
كلما قامت الصلاة دعا الداعى ... عى لعبد الحميد بالتأييد
فاسم هذا الأمير قد كان مقرو ... نا باسم الرسول والتوحيد(٣)

ولكن حافظ ابراهيم سرعان ما انقلب الى الهجوم على السلطان عبد الحميد فى قصيدة ألقاها فى الأزبكية فى احتفال بعيد الدستور العثمانى وذلك بعد عزله بثلاثة شهور يوليو ١٩٠٩ .

---

(١) انور ونيازى وشوكت من كبار قادة الانقلاب الشوقيات جـ ١ ص ١٣٦

(٢) الجدود جمع جد ( بفتح الجيم ) وهو الحظ

(٣) الديوان جـ ٢ ص ٤٢

يقـــول :

ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ... ولا عصمت عبد الحميد تجاربـه
ولم يخفه عن أعين الحق مخدع ... ولا نفق في الأرض جم مساربـه
وأصبح في منفاه والجيش دونه ... يغالب ذكرى ملكه وتغالبـه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم ... فكل امرىء رهن بما هو كاسبه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه ... وولت أفاعيه وماتت عقاربـه (١)

وهذا شعر يدل على نفاق الشاعر أو على جهله بحقائق الأمور • مع الاسف الشديد !!! •

وهذا الشاعر احمد محرم يغلب الوفاء عليه في قصيدته ويرى الناس الذين تزلفوا لعبد الحميد بالأمس يأكلون لحمه اليوم فيقول :ـ

ثوى عاثر الآمال يؤنسه الأسى ... وتوحشه أوطاره ومآربـه
كأن جلال الملك لم يبد حوله ... مهيبا ولم تضرب عليه مضاربـه
كأن رءوس الصيد لم تك خشعا ... لدى بابه المرجو بالأمس حاجبه
كأن بنات الشعر لم تغش بابه ... بمستحليات تزدهيها مناقبـه

الى أن يقـول :

أرى الناس من يقعد به الدهر ينقموا ... عليه وان كانت قليلا معايبـه
الم يك ظل الله في الامس بيننا ... نلوذ به والخطب ضنك مذاهبـه
أنطريه قهارا ونؤذيه مرهقا ... كفى الليث شرا أن تفل مخالبـه
الا راحم ؟ هل من شفيع ؟ أما كفى ؟ ... أكل بني الدنيا عدو يغاضبـه.
أكان يريد السوء بالملك ؟ أم يرى ... مسرته في أن ترن نواديـه
أكل مآتيه ذنوب ؟ أكلـه ... عيوب ؟ ألا من منصف اذ نحاسبه
أكل ذوي التيجان بالعدل قائم ؟ ... أما فيهم من لا تحد مثالبـه
أليس الاولى غشوه أجدر بالأذى ... وأولاهم بالشر من هو جالبـه.

---

(١) الديوان ص ٤٨ جـ ٢

وأما ولي الدين يكن وهو من حزب الاتحاد والترقي ، فقد حمل حملة شعواء على السلطان عبد الحميد ولا يرى له أي حسنة وقد نقض قصيدة شوقي – الرائية السابقة – على نفس الوزن والقافية تعتقد أن كل حسنة ذكرها شوقي للسلطان عبد الحميد هي في الحقيقة سيئة يقول :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزير
ولوا هب المال الكثير وناهب المال الكثير
حامي الثغور الباسمات مضيع آهلة الثغور (١)
أهدى الفتور لقلبه ما باللواحظ من فتور
والجند عارية منا كبها مقصمة الظهور
قمص البطون من الطوى دقت فعادت كالسيور (٢)
باتت على خشن الثرى من بعد مضجعها الوثير
كانت زهور شبيبة لهفي على تلك الزهور
كم خلفها من صبية تحت ومن شيخ كبير
يترقبون مآبها ان المآب الى النشور
من كان يستحلي الشرور يموت من تلك الشرور
لما أديل من السرير بكاه عباد السرير
نذروا النذور لعوده هيهات يرجع بالنذور
أسفوا عليه وانما اسفوا على المال الدرير (٣)
طلبوا له عفو الغفور وشذ عن عفو الغفور
قلص ظلالك راحلا ودع البرية في الهجير

(١) الثغور الاولى افواه الحسان والثانيه البلاد التي على الحدود .
(٢) السيور جمع سير وهو الذي يقد من الجلد .
(٣) الدرير المكتنز الخلق المقتدر او السريع من الدواب والمقصود هنا المال الدرير اي الكثير .

أما الشيخ يوسف النبهانى فلم أجد له قصيدة فى هذا الغرض لضياع جميع شعره الذى قاله فى غير الأغراض الدينية البحتة — الا القليل — لأنه أوصى باتلافه أيضا — والذى نراه أنه لابد أن يكون قد نظم شيئا فى هذا الشأن لأنه بفضل حبه للسلطان عبد الحميد وولائه له أصبح رئيس محكمة الحقوق فى بيروت وهو الذى يقول فى قصيدة يمدح بها أحمد عزت باشا العابد بعنوان " عنوان التهانى ببلوغ الأمانى " قال فى أولها " وهى قصيدة فريدة فى التهنئة بتوجيه رتبة الوزارة السامية من لدن مكارم سيدنا ومولانا وولى نعمتنا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، امير المؤمنين وحامى حمى الدين المبين حضرة السلطان الغازى عبد الحميد خان اطال الله عمره وخلد تأييده ونصره الى أبلغ كتابه الصادقين واصدق اقربائه المقربين الوزير الجليل الأصيل النبيل عابد زاده حضرة دولتو أحمد عزت باشا الكاتب الثانى للحضرة العلية السلطانية وأحد أثر بائها الكرام وفخر البلاد الشامية وخصوصا مسقط رأسه دمشق الشام .

والقصيدة تبلغ خمسة ومائة بيت ومن الأبيات التى ذكر فيها السلطان عبد الحميد قوله :

| | |
|---|---|
| جل المليك الذى أولاه نعمتها | وزاده الله تنويلا وتنويها |
| وبلغ الدولة العلياء سيدنا | عبد الحميد بها أقصى أمانيها |
| هدية من عظيم القدر قد عظمت | ان الهدايا على مقدار مهديها |
| لله در أمير المؤمنين فقد | هيا السهام وأعطى القوس باريها |
| تعجب الناس من حب المليك له | لغاية مالها مثل يساويها |
| فقلت لا تعجبوا ان المليك له | عقل يعادل دنيانا وأهليها (١) |

ومما يؤكد لى أن الشيخ النبهانى كان وفيا فى ولائه للسلطان عبد الحميد اننى عثرت له على قصيدة يمدح بها أبا الهدى الصيادى وفيها يذم الترك ذما شنيعا ويتهمهم بالكفر والعداء للعرب مما يدل على أن المقصود هو حزب الاتحاد والترقى الذى ربما يكون قد أخر الحملة عليه لاعتقاده أن عملية عزل السلطان عبد الحميد ومجىء أخيه محمد رشاد ليست أكثر من عملية داخلية وأن الأوضاع والمفاهيم العثمانية السابقة لم تتغير ولكن يبدو أنه زار الآستانة فوجد أن الأمور

---

(١) قصيدة عنوان التهانى ببلوغ الامانى للشيخ يوسف النبهانى

قد تغيرت كليا ولم يعد للسلطان محمد رشاد هيبة وصولة أخية عبد الحميد فقال معرضا بالترك أى الاتحاد والترقى – فى أثناء مدحه لأبى الهدى الصيادى وكأن هجاؤه الشنيع للاتحاد والترقى هو فى حقيقته مدحا لابى الهدى الصيادى الذى أوذى ونفى بعد خلع السلطان عبد الحميد يقول الشيخ النبهانى من قصيدة مطلعها :–

تذكر دهرا بالعقيق تصرما ... فواصل سفح الدمع فى خده دما
وهبت عليه من ربا الشام نسمة ... فكاد يفيض النفس لما تنسما

الى ان يقول :

ويممت دار الملك أحسب أنها ... الى الآن لم تبرح الى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت من ربوعها ... ولم يبق فيها الفضل الا توهما (١)
حوت قوم سوء اسلموا أى نفوسهم ... الى الكفر الا من له الله سلما (٢)
وألفيت فيها أمة عربية ... يرى القوم منها أمه الزنج أكرما
وما نقموا منا بنى العرب خصلة ... سوى أن خير الخلق لم يك أعجما
ولكن حجاب الحقد أعمى قلوبهم ... فلم ينظرونا من ورا حجب العمى
بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجيا ... ولكن قلبى من جفاكم تكلما
ولو لم يكن قصدى مديح أبى الهدى ... لجرعتكم لو ذقتم الهجو علقما
فانى على رأى لزوم هجائكم ... أرى المدح فى فرع النبوة ألزاما (٣)

كل هذا يجعلنى أجزم بوجود قصيدة للشيخ النبهانى توضح موقفه من خلع السلطان عبد الحميد .

---

(١) اشارة الى السلطان عبد الحميد وانصاره

(٢) اشارة الى حزب الاتحاد والترقى .

(٣) فرع النبوة : ( ابو الهدى الصيادى لانه من العترة النبوية الطاهرة ) وسوف نذكر القصيدة بتمامها عند الكلام على اغراضه الشعرية الفصل الثانى الباب الثالث .

وأخيرا يتضح أن شخصية السلطان عبد الحميد لم تتم دراستها على حقيقتها (١) حتى الان ذلك أن الدعاية المضادة التى بثها حزب الاتحاد والترقى والجهات الاخرى لأهداف دينية وسياسية صورت السلطان عبد الحميد بالطاغية وصاحب المذابح بالاضافة الى أن المصادر الأصلية لدراسته قد ملكها الاتحاديون فزيفوها أو اتلفوها وما كان منها فى البلاد العثمانية قد استولى عليها الاستعمار البريطانى أو الفرنسى أو الايطالى الحاكم الجديد ونقلها الى جامعاته ومعاهده .

أما عن الدعايات المضادة فيقول الجنرال جواد رفعت أتلخان .... " وأدى هذا الرفض - اقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين - الى اشارة دعاية يهودية عالمية ضد الطبقة الحاكمة فى الدولة العثمانية متخذة من الافتراءات والاكاذيب سلاحا لها وكانت هذه الاكاذيب والافتراءات من القوة بحيث لا يمكن للانسان أن يقف امام تيارها الجارف ... وكانت تتضمن أمثال هذه الكلمات " لا حرية فى الدولة العثمانية " " الاستبداد يخيم عليها " " السلطان يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر الى البحر " .

يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان وهو احد أبطال الجيش التركى فى حرب البلقان والقرم " ... وفى الواقع أن جمعية الاتحاد والترقى التى خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هى التى أقامت الاستبداد بعد ذلك وشهدت البلاد من المآسى مالم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الاخيرة على أعواد المشانق التى نصبت فى مختلف أنحاء البلاد. أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهى وقوع ادارة الحاكم تحت تأثير النفوذ الماسونى اليهودى وكأن الارض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذوات أبنية شاهقة من مناطق حيفه ويافه والرملة والكرمل وهكذا نرى ان اسس اسرائيل قد أرسيت بأيدينا وأن طلعت باشا ( مأمور البريد السابق )

---

(١) راجع كتاب الاتجاهات الوطنيه فى الادب المعاصر ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ - الهاشمى .

رئيس وزراء الحكومة العثمانية المسكين لم يكن على علم بخفايا الأمور لانه كبقية الغافلين كان قد صدق المزاعم الماسونية التى تتغنى بالحرية والمساواة والاخاء البشرى والسلام العالمى ، ولقد انهارت الدولة العثمانية ولفظ طلعت أنفاسه الاخيرة غريبا فى بلاد أجنبية برصاص الماسونية اليهودية (١) » .

هذا وقد أشارت المجلة الانجليزية التى نشرت نص رسالة السلطان عبد الحميد الى شيخه أبى الشامات أشارت الى مصادر دراسة السلطان عبد الحميد وما دار حولها من شبهات .

---

(١) أسرار الماسونية ص ٥٨ - ٦٠ .

وأخيرا يقول الأستاذ محمد الفرحاني :

" وليس أبلغ مارثى به السلطان عبد الحميد مما رواه المجاهد التركى المغفور له جواد رفعت اتلخان من انه بعد اندحار الجيوش العثمانية فى كافة الجبهات وانفراط جمعية الاتحاد والترقى زار القائد جمال باشا أنور باشا فى داره الكائنه فى أورطة كوى فى استانبول – وكان جميع رفاقه قد هربوا – وتذكرا معا فى الهزائم وحللا أسباب هذه الاندحارات فقال وزير حربية الاتحاديين – أنور باشا – وقائد جيوشهم موجها كلامه الى زائريه " أتعرفون ما هو ذنبنا الحقيقى ... ؟ لقد كان ذنبنا أننا لم نقدر السلطان عبد الحميد حق قدره فأصبحنا الة بيد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية ... هذا فظيع جدا ولكنه فى الواقع مع كل أسف كنا العوبة فى أيدى اليهودية العالمية " (١) .

## الحركة العربية الحديثة :

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى كافة الشعوب وهو آخر الرسل كان من الطبيعى ألا يفاضل بينها الا بمقدار ما تستجيب لهذه الدعوة متمثلة لها بأفعالها وأقوالها والآيات والأحاديث فى هذا الخصوص كثيرة منها قوله تعالى " أن أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) وقد كانت الشعوب راضية بتساويها أمام هذا الدين ولما بدأت السياسة العربية تظهر واضحة فى أواخر العصر الأموى وقف الفرس الى جانب العباسيين للاطاحة بالأمويين وأخذت الشعوبية تظهر بشكل واضح على لسان شعرائها وأدبائها مجدة لشعوبها فى الظاهر نابذة للاسلام فى الباطن (٣) .

وقد كان الفرس يطلقون لفظ العرب على كل من يدخل الاسلام منهم .

---

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٢٠

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

(٣) راجع مجلة العربى عدد ٥٤ ص ٩٨ – ١٠٠ مقال بقلم انعام الجندى بعنوان شعوبية ابن المقفع .

يقول الدكتور عبد العزيز الدوري " ان الفتوحات نشرت السيادة للعرب وفتحت أبواب المعمورة أمام التدفق العربي ولم تكن الشعوب المغلوبة تميز في البدء بين العروبة والاسلام في هذا التوسع بل بقي المفهومان مترادفين لديها خلال القرنين الأولين حتى ان الداخلين في الاسلام من الشعوب الأخرى اعتبروا [١] ( عربا ) في نظر من بقي على دينه منهم وبيد و أن العرب أنفسهم كانت لديهم أو لدى أكثرهم مثل هذه النظرة [٢] .

كما أورد الطبري أن " أشرس بن عبد الله السلامي — أمير خراسان وما وراء النهر — وعد باعفاء من يسلم من الضريبة فأقبل الكثيرون على دخول الاسلام فشكا دهاقين بخارى الى الأمير فقال " ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا [٣] " .

من هذا نفهم أن المفهوم الأول للعروبة والاسلام شيء واحد . فمن أسلم من غير العرب فهو في طريقه لان يصبح عربيا بقراءة القرآن والعلوم الاسلامية المكتوبة بلغة العرب وفي العصر الحديث أنضم العرب للحكم العثماني ولم يروا غضاضة في ذلك لأن السلاطين العثمانيين لم يفرقوا بين رعاياهم خصوصا العرب الذين هم معدن الاسلام الذي باسمه تخضع الشعوب الاسلامية للسلطنة العثمانية وقد كان العرب يتميزون بنوع من التقديس والاحترام لدى السلاطين وقد لاحظنا ذلك لدى السلطان عبد الحميد كما أن العرب كانوا يفاخرون بأنهم عثمانيون كما أنهم عرب .

وقد تبدلت الأمور منذ أن بدأ الترك يفاخرون بطورانيتهم حيث استيقظ العرب يفاخرون بمجدهم القديم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عربي والقرآن الكريم

---

(١) كلمة اعتبروا خطأ شائع بالمعنى المراد منها والصواب : عدوا . د . محمد السلام سرحان

(٢) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٩٨ راجع ايضا حول الحركة العربية الحديثة للاستاذ محمد عزة دروزة ج ١ ص ١١ — ١٤ .

بلغة العرب اذن لا يفضلهم غيرهم من الشعوب • وقد كانت هذه بداية الوعى العربى الذى عرف فيما بعد بالوعى القومى •

أما الدعوة الطورانية التى أعلنها حزب الاتحاد والترقى — بعد أن أطاح بالسلطان عبد الحميد — فقد كان مدفوعا من قبل الماسونية اليهودية الهادفة الى تفتيت دولة الخلافة العثمانية عن طريق أثارة القومية الطورانية مما يؤدى الى ثورة القوميات الأخرى التى لم يعد شىء يربطها بدولة الخلافة بعد ان أعلنت انحيازها لأصلها الطورانى وتميزها عن شعوبها •

ومن جهة أخرى أخذت الدول الاوربية تساعد هذه القوميات على الاستقلال لاضعاف الدولة العثمانية تمهيدا لتنفيذ أطماعها فى الاستيلاء على اجزاء منها مدفوعة بدوافع نفسية صليبية أظهرها قوادها العسكريون عندما دخلوا القدس ودمشق •

هذا وقد ظهرت الروح القومية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تقريبا وقد كانت تتخذ شكل المناداة بالاصلاحات الداخلية أو الحكم اللامركزى ضمن الاطار العثمانى العام ولم يكن أحد يجاهر بالانفصال عن دولة الخلافة قبل اعلان سياسة التتريك من قبل حزب الاتحاد والترقى مما أدى الى نشوء ( الحزب الائتلافى ) مكونا من العناصر غير التركية ومنهم العرب وانضم اليهم بعض الترك من خصوم الاتحاديين (١) فتولدت لدى السلطنة العثمانية مشكلتان الأولى هى ثورة العناصر العثمانية مطالبة باستقلالها مثل الكرد والالبان والعرب والعناصر المسيحية من البلغار والارمن واليونان كما قامت النمسة وأحتلت الهرسك والبوسنة واحتلت اليونان جزيرة كريت واحتلت ايطالية ليبية وأطلقت يد فرنسة فى مراكش بعد ارضاء المانية بأعطائها بلادا اخرى فى افريقية (٢)

---

(١) قوافل العروبة ومواكبها محمد جميل بيهم ص ٢٠ — ٢١ ج ٢

(٢) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٨٩ يقول الاستاذ بيهم فى مقابلة اجريتها معه فى بيته فى ١٩٧٥/١/١٥ " أنشئت القومية العربية للتفريق بين العرب والاتراك وكانوا يسلكون كل السبل الى الهدف لأنها التفريق بين العناصر العثمانية ولاتراك الحاكمين وقد كان هذا مسهلا للدعايات الاجنبية التى كانت تدعو بصورة سرية للتفريق بين العناصر العثمانية •

## المشكلة الثانية :

هى شروع الاتحاديين فى العمل على جمع شمل الأتراك حولهم حيث كانوا فى روسية ويوغوسلافية والمجر وبلغارية وغيرها فأثاروا بذلك حفائظ الدول ذوات العلاقة بالموضوع . وقد ساعدت هذه المشاكل الحزب الائتلافى لاستلام مقاليد الحكم وعهد الى كامل باشا تأليف الوزارة وهو من رجال السلطان عبد الحميد غير أن هذا العهد كان قصيرا اذ سرعان ما أسقطت الحكومة الائتلافية وأبعد الضباط العرب عن البلاد العربية وتدخلوا فى انتخاب المجلس النيابى سنة ١٩١٣ حيث لم يمكنوا العرب من ارسال أكثر من خمسين نائبا بدلا من سبعين ومنذ هذه اللحظة أصبح العرب يطلبون الاستقلال التام بعد أن كانوا يطلبون الاصلاح واللامركزية ضمن نطاق السلطنة (١) .

وتولد فراغ لظهور الحركة العربية الاستقلاليه لملئه ولكن سرعان ما نشبت الحرب العالمية الاولى فوجد الاتحاديون دولتهم بحاجة الى رعاياها من كل الشعوب فأخذوا ينادون بالخلافة الاسلامية والجهاد المقدس وأخذت جريدة الشرق التى تصدر فى دمشق وهى لسان حالهم فى البلاد العربية تنشر لجمال باشا قائد الجيش الرابع فى الشام أقواله التى يصرح بها أن لا فرق فى نظر الاسلام بين تركى وكردى وعربى وتلوح بأستقلال الشرق (٢) ولكن هذه الدعوة لم تلق صدى لدى المسلمين لأن تركية كانت تحارب الى جانب ألمانية وربما لان خلع السلطان عبد الحميد ترك مكانه شاغرا فى قلوب المسلمين الذين استطاع أن يستلهم مشاعرهم نحو الجامعة الاسلامية .

كان النصر فى سنى الحرب الاولى الى جانب ألمانية وتركية فأيقن الاتحاديون أن النصر النهائى سيكون من نصيبهم فكشفوا عن دخائلهم واذا بجمال باشا ينقلب على العرب انقلاب غيره من الولاة والقادة على بقية الرعايا فى الولايات

---

(١) قوافل العروبة ومواكبها ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ج ٢ ص ٢٥ .

الاخرى واذا بالحكومة الاتحادية تستأنف نشاطها أيضا فى الدعوة الطورانية (١) بشكل جدى ولكن الكلمة الاخيرة كانت للحرب حتى اذا خسرت تركية الحرب خسرت كل شيء واحتلت الآستانة من قبل الانجليز عام ١٩١٨ .

وليكن معلوما أننا اذا كنا قد بدأنا الكلام عن الحركات العربية الحديثة منذ سقوط عبد الحميد واعلان سياسة التتريك من قبل الاتحاديين فنحن لا ننكر وجود أوليات لهذه الحركة كما لا يعقل أن تكون قد انطلقت من الصفر بل كان لهذه الحركة جذور غذتها وساعدت على تكوينها فأتخذت طابع ( الوعي ) و " التنبيه " فمنذ القرن الثامن عشر اتخذت اتجاها اسلاميا ينادى باصلاح المجتمع وبالعودة الى الاسلام وقد تمثل هذا الاتجاه فى الدعوة الوهابية وفى القرن التاسع عشر أخذت مظهر " التجديد " وذلك بتوضيح الاسلام بروح عصرية والاستفادة من المدنية الغربية وبالتالى اتخذت طابع الحركة القومية المعروفة .

وكانت حركة الشيخ محمد عبده اصلاحية تدعو الى استعمال الاجتهاد والفكر مع التأكيد على التراث (٢) وقد كان الاهتمام باللغة العربية الفصحى ظاهرا فى هذه الاتجاه فابن تيمية (٣) قديما دعا لجعل العربية لغة المسلمين ويرى فى تعدد اللغات نكوصا ومحمد عبده حديثا دافع عن العربية الفصحى فى اللهجات المحلية وضد توسع اللغات الأجنبية . وأكدت هذه الحركة على

---

(١) يقول الاستاذ المؤرخ محمد عزة دروزه فى مقابلة معه فى بيته فى دمشق فى ١٥ / ١٢ / ١٩٧٤ " وما كان السلطان عبد الحميد يفرق بين العرب والاتراك فالظلم عام والجهل عام والاتراك خلافا للفرس لم يكن لهم فكرة تهديم العرب ولا تهديم الاسلام تسلطهم ليس كتسلط الفرس سلوك الاتراك مع العرب سلوك اصدقاء وسلوك الفرس سلوك عداء .

(٢) يقول فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب مطول " ... وكان محمد عبده لا يرى تناقض اساسى بين الاسلام والعلم الحديث ولقد فسر بعض الايات تفسيرا عقليا وادرك قصور المدرسة الاسلامية .. وقد ساهم كلاهما محمد عبده والافغانى اكثر من اى كاتب عصرى فى تمزيق ثوب المحافظة والرجعية الذى التف به الاسلام منذ العصور الوسطى وهو اول من هاجم بعنف تعدد الزوجات والطلاق والحجاب ص ٨٨٧ ـ ٨٨٨ .

(٣) الصراع بين الموالى والعرب محمد بديع شريف ص ١٢٢ ـ ١٤٥ .

العرب فى التاريخ ودعت الى تجديده " محمد عبده ورشيد رضا لاحظا أن العرب هم الشعب البارز بين الشعوب الاسلامية لذا هم أفضل هذه الشعوب للقيادة ولاعادة الاسلام لمكانته فالنهضة العربية ضرورية لنهضة الاسلام .

ويأتى دور الكواكبى فى ابراز دور العرب التاريخى فى المدنية ويركز على عرب الجزيرة بالذات فهم " أعرق الأمم فى أصول الشورى وفى الشئون العمومية " وهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية " كما دعا الى نهضة اجتماعية سياسية وحمل حملة شعواء على ظلم العثمانيين ودعا الى خلافة عربية (١) " .

ويتخذ الكواكبى فى دعوته نبرة " قومية " مبكرة حين يقول " أيها العرب المسلمون ان أنكر المنكرات بعد الكفر هو الظلم فانهو عن المنكر ان كنتم مؤمنين وانتم ايها العرب من غير المسلمين ادعوكم الى تناسى الاحقاد وأجلكم عن ألا تهتدوا الى وسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون ، فهذه أمم أميركا قد هداها العلم للاتحاد الوطنى دون الدينى فما بالنا نحن لا نفكر فى ان نتبع احدى تلك الطرائق فيقول علماؤنا لمثيرى الشحناء من الاعاجم والأجانب بيننا ، دعونا يا هؤلاء نحن ندبر شأننا دعونا نجتمع على كلمة سواء الا وهى فلتحى الأمة فليحى الوطن ولنحى طلقاء اعزة " وهو يجاهر بالاستقلال اللامركزى فى قوله " من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالى تركية على استقلال نوعى اد ارى يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم " .

وفى أقوال الكواكبى دلالة على تدخل الأجانب فى شئون العرب الداخلية وفيها أيضا تمهيد للدعوات اللامركزية ثم الاستقلالية عن الدولة العثمانية " (٢) . كل هذا كان وعيا عربيا خالصا وجاءت حملة نابليون فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تحمل معها الفارق الحضارى بين أوروبة الحديثة والشرق ـ العربى ـ

---

(١) كتاب ام القرى للكواكبى ص ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨

(٢) طبائع الاستبداد للكواكبى نقلا عن الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٥٩ ـ ٦٠ .

المتأخر أضف اليها الارساليات التبشيرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كل هذا أدى الى تغلغل الأفكار والعادات الغربية وبالتالى فرضت السيطرة الغربية فرضا وفى هذا تبدو المفارقة بين الوعى العربى والوعى القومى ثم الحركة القومية (١) .

يقول الدكتور فيليب حتى " كان فى حياة الشعوب العربية فى هذا الزمن شىء من التناقض الظاهر فقد كانوا يصدون تدخل الأوربيون فى شئون بلادهم بيد ويتقبلون الأفكار الجديدة الكثيرة التى استوردوها فى أوروبة فكرتا القومية العربية والديمقراطية السياسية (٢) .

ويقول الاستاذ محمد جميل بيهم فى مقابلة معه فى ١٩٧٥/١/١٥ " .. الدول الأجنبية بوساطة مؤسساتها اسهمت فى انشاء القومية العربية (٣) .

ويقول الدكتور فيليب حتى " وقد بدأت حركة القومية العربية أول الامر كحركة (٤) فكرية صرفة وكان دعاتها الاول بالاكثر المفكرين السوريين وبنوع خاص اللبنانيين المسيحين الذين تعلموا فى جامعة بيروت الاميريكية وعملوا فى مصر (٥) .

هكذا نشأت الحركة القومية بجذور ثقافية وطابع ثقافى متميز ثم اتجهت الى ناحية سياسية كانت البدايات فى الانتباه الى الارث الثقافى والاعتزاز بدور العرب الحضارى وفى التركيز على اللغة العربية فقد كان للمطابع الموجوده فى سورية ومصر دورا ايجابيا فى نشر بعض كتب التراث كما ان دور الثقافة واللغة العربية كبير فى تكوين الأمة وفى تراثها تجد شخصيتها التاريخية . وقد تمثل النشاط الثقافى فى الجمعيات الأولى التى تأسست فى البلاد العربية كالجمعية العلمية السورية التى تأسست فى بيروت سنه ١٨٥٧ والحلقة الثقافية فى دمشق حول الشيخ طاهر الجزائرى فى أواخر القرن التاسع عشر وأثمرت فى جمعية النهضة العربية ١٩٠٦ كل هذه جمعيات ثقافية فى أساسها ثم ثقافية سياسية فقد ضمت الجمعية العلمية السورية أعضاءها من مختلف الطوائف الدينية (٦) .

---

(١) راجع كتاب حول الحركة العربية الحديثة محمد عزة دروزة ج ١ ص ٥ — ٨ فقد القى اضواء على هذه الفكرة .

(٢) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٧ .

(٣) راجع ايضا كتاب حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٤ — ٥ فيه توضيح وربط بين الحركة القومية العربية والتركية والاوربية .

(٤) كحركة تعبير من الخطأ الشائع ـ لان الشىء لا نسبه بنفسه والصواب من حيث هو حركة

(٥) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٩ (٦) القومية العربية مصطفى الشهابى ص ٤٦ـ٤٧

وكانت حلقات دمشق تدعو الى دراسة تاريخ العرب وقواعد العربية وآدابها وكذلك النهضة السورية أولت هذا الاهتمام الثقافى نفسه لنهضتها مع أثارة الهمم لتحرير الامة العربية ومن أوليات فكرة الخلافة العربية ماصرح به أحد أقطاب — جمعية النهضة العربية — الاستاذ محب الدين الخطيب — أذ يقول " ليس بين الاتراك فيما أحسب من لا يعلم أن الامة التركية ما علت الاعلى آثار الامة العربية وماشيدت من دعائم ملكها وماوطدت من أسسه الا على أنقاضها وهم يخشون أن تسرى فكرة الخلافة العربية فتتسرب فى فكر الكبير والصغير ومن ثم تقوم الامور بعضها على بعض وهناك الطامة الكبرى (١) وفى هذا تحول فى أغراض الجمعيات الثقافية الى أغراض وأهداف سياسية وكان التأكيد على اللغة العربية من أهم مطالب هذه الجمعيات لمواجهة أنتشار الارساليات التى كلفت الاتدخر جهدا فى تعليم اللغات الاجنبية وبعد سياسة التتريك زاد التأكيد على أهمية اللغة العربية قوميا حيث يقول أحد أعضاء جمعية النهضة العربية " ولقد ثبت بالاختبار أن الرجل أذا أخذ بنصيب من العلم بغير لغته لامته لا يرجى منه فى الاعم الاغلب من أحواله — أى خير لقومه ولا بدع فاللغة من الذرائع الكافية لتقويم الحياة القومية " ويقول أيضا " وبعد : فأن العناية بغير لغتنا والاضراب عن لغة آبائنا هو الذى سبب لنا هذا العجز الكبير فى ميزان التقدم وأن هو الا نتيجة سوء التربية والتعليم (٢) وكان التأكيد على الدور التاريخى للعرب من أهم مظاهر الوعى القومى خصوصا فى الحقبة التى بين ظهور الاسلام وسقوط بغداد وقد كان للفوضى والتأخر فى الدولة ~~[illegible]~~ مقاومة السلطان عبد الحميد أتجاه هذه الجمعيات (٣) ثم الموجات الغربية الهادفة للنيل من رسالة العرب القومية وتدخل الدول الغربية فى الشوئون العربية كل هذا كان له أثر فى تعميق الوعى القومى . ويبدوا أن السلطان عبد الحميد بذكائه ودهائه شعر بقوة هذا الوعى فأخذ يقرب العناصر العربية ويوليها المناصب الهامة فى الدولة فى محاولة لصد هذا الشعور ولان العرب أقوى عناصر الدولة العثمانية من جهة الخلافة الاسلامية .

---

(١) محب الدين الخطيب — الدكتور صلاح الدين القاسمى ص ٧٤

(٢) محب الدين الخطيب الدكتور صلاح القاسمى ص ٤٥ — ٤٦ .

(٣) راجع فلسفة التاريخ العثمانى محمد بيهم ص ١٧٢ ج ٢ .

وقد تجلت الدعوة القومية الانفصالية في أجلى صورها في المنشور الـــذي أصدرته الجمعية الوطنية السورية في باريس سنة ١٩٠٥ موجها الى الدول العظمى جاء فيه " أن العرب الذين تحكم فيهم الاتراك بتفريقهم على مسائل ثانوية تتصل بالعقيدة والشعائر أصبحوا داعين لوحدتهم القومية والتاريخيه والعنصرية يرغبون في الانفصال عن الشجرة العثمانية النخرة وأقامة دولة مستقلة لانفسهم وستمتـــد حدود هذه الامبراطورية العربية الجديدة الى حدودها الطبيعية من وادي ــ دجله والفرات الى قناة السويس ومن البحر الابيض المتوسط الى بحر عمان وستحكمها حكومة دستورية حرة على رأسها سلطان عربي (١).

وأخيرا نجح حزب الاتحاد والترقي ــ وكان من أعضائه بعض دعاة الاصـــلاح من العرب (٢) ــ في التخلص من السلطان عبد الحميد وأعيد أعلان الدستور وتوهم العرب أن عهد الحرية والازدهار تحت الراية العثمانية قد جاء واعتقـــدوا أن الوقت حان ليحقق العرب ذاتهم ويرفعوا كيانهم (٣) في حين أن الدستور يفرض صهر العناصر المختلفة في بوتقة عثمانية لغتها التركية وهذا يهدم الكيـــان الثقافي والقومي (٤).

ولذلك جوبهت الحركة القومية بتحد وأصرار خصوصا بعد خلع السلطان عبد الحميد وسيطرة الاتحاديين سيطرة مطلقة مما أدى الى أن تعمل بعض الجمعيات جهرا وهي معتدلة وبعضها تعمل سرا وهي أقرب للتعبير عن النوايا الحقيقيـــة فمن الجمعيات الناتة بعد أعلان الدستور جمعية المنتدى الادبي في الاستانة (١) وحزب اللامركزية الادارية العثمانية شكلته الجالية السورية في مصر ١٩١٢ وقامـــت جمعية بيروت الاصلاحية في أواخر سنة ١٩١٢. هذه الجمعيات علية كانت تنادي باللامركزية وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية. أما الجمعيات السرية أهمهـــا الجمعية القيطانية تألفت في الاستانة سنة ١٩١٥ والجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ وتأسست جمعية العهد سنة ١٩١٣ وهي جمعية عسكرية وكانت تنادي بالاستقـــلال التام والعمل على الوصول باللغة العربية الى مصاف الامم المتمدنة وكان رأي ــ الجمعيات السرية هو الرأي السائد للعرب وقت الحرب.

ثم دعت الجمعية العربية الفتاة الى عقد مؤتمر وجهة الهيئة التحضيرية للمؤتمر منشورا جاء فيه " دعوة الى أبناء الامة العربية المنتشرة في أقطار الارض تحت كلمـــة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الامة حيث نبسط للامم الاوربية أننا أمة متمسكـــة ذات وجود لا ينحل ومقام عزيز لا ينال وخصائص قومية لا تنزع ... ونصارح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا (٥) وكانت الاستجابة سريعة وعقد المؤتمر العربي الاول في ١٨ حزيران ١٩١٣.

---

(١) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٧٠ (٢) راجع مجلة المنار ج٢ ا ص ٩١٣ ــ ٩١٩ (٣) محب الدين الخطيب ص ٣٦ ــ ٤٠ (٤) التوجيه السياسي للفكرة العربيـــة ــ الحديثة محمد رفعت ص ٩٤. (٥) راجع كتاب الوحدة العربية محمد عزة دروزة ص ١١٩ القومية العربية للشهابي ص ٧٠ ــ ٧١، الثورة العربية الكبرى امين سعيد ج١ ص ٨ ــ ٩٠ (٦) كتاب (المؤتمر العربي الاول) ص ٩ ــ ١٠ القاهرة ١٩١٣ (٧) المصدر السابق.

وكان في قراره تأكيد لحقوق العرب السياسية واسهاماتهم الفعالة في ادارة الامبراطورية والنص على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد • وفي محاضر جلسات المؤتمر تظهر لنا القومية العربية بخصائصها المميزة •

قال عبد الغني العريسي " ان العرب تجمعهم وحدة لغة و وحدة عنصر ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمع سياسي (١) وهنا نلاحظ استبعاد العقيدة والدين من حيث هو رابطة قوية عربية واسلامية •

قال الشيخ عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر حين سأله مراسل الطان الفرنسية فقال " هل انتم تريدون الوحدة العثمانية لأجل الرابطة الدينية ؟ فأجاب " أن ، الرابطة الدينية قد عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية ••• فنحن لا نتمسك بالوحدة السياسية لاجل الرابطة الدينية بل رغبة منا في ايجاد مجموع عثماني قوي يرتقي فيه مجموعنا العربي بدون حائل في طريقه وأملا في قيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في أمورها (٢) ثم جرت مفاوضات مع الاتحاديين ووعود بالاستجابة لأهم المطالب ثم سوفوا والتزموا بقدر ضئيل منها ثم أعقبه اضطهاد صارم لكل القوميين كل هذا أدى الى صقل الفكرة الاستقلالية واتخاذ الحركة القومية طابعا استقلاليا تحرريا كل هذه كانت ارهاصات (٣) تهيئ لثورة عربية فكانت ثورة الشريف حسين التجسيد العملي لامالها ونواياها فما أن اصبحت تركية شريكا في الحرب الى جانب المانية ضد الحلفاء حتى أوقف الوطنيون العرب كل نشاط لهم ضدها •

يقول الاستاذ محمد رفعت " اما الوطنيون العرب فقد استلهموا موقفهم عند نشوب الحرب من صادق وطنيتهم وما كانت تمليه عليهم الحكمة السياسية والظروف الدولية • وكان أول استجابة منهم لنداء الوطنية أن أوقفوا نشاطهم السياسي ضد تركية ما دام الاتراك يحاربون ضد الغرب والاستعمار وذلك الى أن يستبين لهم الطريق السوي واكثر من ذلك أن جمعياتهم السرية قد اخطرت اعضاءها عند اندلاع نيران الحرب بأن عليهم أن يعاونوا تركية في محنتها ضد الغرب (٤) • وهو الموقف نفسه الذي وقفه الشريف حسين أيضا فهو على رغم من سوء العلاقة بينه وبين

---

(١) كتاب المؤتمر العربي الاول ص ٩ ـ ١٠ القاهرة ١٩١٤

(٢) كتاب المؤتمر العربي الاول ص ١٨ ـ ١٩

(٣) الارهاص الاثبات ارهص الشيء اذا اثبته واسسه •

(٤) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ١٠٤ ـ ١٠٥

حكومه الاتحاد والترقى التى كان يتوقع منها عزله كما صرح ولده وسفيره المتجـــول الاميرعبد الله (١) وعلى الرغم من المفاوضات الجارية له مع الانجليزعن طريق ولده المذكور مع " السير رونالد ستورز " السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى البريطانى فى مصر أثناء لعبة الشطرنج ثم المفاوضات الرسمية بالمكاتبة بعد دخول تركية الحــرب مع السير هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر التى أصبح بموجبهـــــا ملكا على الجزيرة العربية والعراق وسوريا مع بعض الاستثناءات .

ومع هذا لم يسارع الشريف حسين لاعلان الثورة على تركية بل بقى يناور ويداور ، بل ارسل العلم النبوى الشريف فى صحبة بعثة شرفية سافرت الى دمشق حيث استقبلها أحمد جمال باشا ورجال الحكومة بالتكبير والتهليل وجثا جمال باشا أمام البيـــرق النبوى مقبلاً طرفه وقام حامل البيرق من الاسرة الهاشمية يدعو للجيش التركى ويباركه قبل رحيل الجيش لغزو مصـــرعام ١٩١٥ حتى اذا قامت الحملة على مصر بقيـــادة جمال باشا يساعده القائد الالمانى كوسنشتين وفشلت الحملة فى هجومها فى ٢ ــ ٣ فبراير ١٩١٥ وعاد جمال باشا الى سورية مهزوما وحكم على أحد عشر من زعمـــاء ووجهاء البلاد بالاعدام فى مارس واغسطس سنة ١٩١٥ حيث عثر جمال باشا عـــلى الاوراق التى يطلب هؤلاء فيها وضع سورية تحت الحكم الفرنسى والذى أرشـــده اليها هو " فيليب زلزل " ترجمان القنصلية الفرنسية فى بيروت والذين ذهبـــوا ضحية بريئة وشنقوا ظلما ثلاثة فقط هم شكرى العسلى وعبد الوهاب الانجليزى وعبـــد الغنى العريسى ويروى أن يوسف الهانى عندما صعد حبل المشنقة هتف وقـــال " أموت فى حب فرنســا والوطن (٢) " ولعل هذا ان يكون من قبيل ما حدث فـــى تركية كما يقول الاستاذ دروزة " .... وكان هناك بعض الرجال والنساء يـــرون الخلاص الحقيقى فى الانتداب الامريكى والحصول عليه اعتقادا منهم بأن البلاد فـــى حاجة الى مساعدة علمية واقتصادية لن يجدوها نزيهة الا فى أمريكية كما كانوا يعتقدون أن مثل هذا الانتداب قد يحفظ للدولة وحدتها وكيانهـــا (٣) .

وفى أبريل ١٩١٦ زحف الاتراك على قناة السويس مرة أخرى بقيادة الضبـــاط الالمان بجيش عدد ١٨٠٠٠ جندى قابلهم الانجليز بجيش عدده ٣٠,٠٠٠ جنـــدى

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠

(٢) راجع كتاب الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٢٤ ــ ١٢٧ وكتـــاب حياة الشرق لمحمد لطفى جمعة ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠

(٣) تركيـــا الحديثـــة ص ١٤

فانهزم الاتراك وكانت أخر محاولاتـــهم .

وفي مايو ١٩١٦ أعدم واحد وعشرون اخرون حتى اذا نمى الى الشريف حسـين أن جيشا تركيا متألفا من ٣٥٠٠ جندي على وشك أن يخترق شبه الجزيرة العربيـة لتهدئة الحال في اليمن عندها أوجس الشريف حسين خيفة من قدوم الحملة نادي بالثورة على الاتراك في يونية ١٩١٦ (١) .

من هذا يتضح لنا أن الشريف حسينا وقف الموقف نفسه الذي وقفه وطنيـو الجمعيات العربية وبقي يماطل في اعلان الثورة على الرغم من اتفاقه مع الانجليز عـلى قيامها وهذا يدل على شخصية الشريف حسين وحنكته فقد كان رجلا عنيدا أوتـي كثيرا من الحنكة والدراية السياسية وقد أمسك العصا من الوسط مدة طويلة على الرغم من توالي الاحداث متيحا لنفسه الاستفادة من الطرفين الحلفاء والمحور - ولعـله انضم الى الحلفاء تعبيرا عن المشاعر السياسية العربية التي كانت امام موقفيـن الاول : أن يغتنموا فرصة دخول تركيا الحرب فيساندوها ويطالبوها باستقلالهـم بعد الحرب ثمنا ، والثاني : أن ينضموا الى الحلفاء للحصول على الاستقـلال اذا كسب الحلفاء الحـرب (٢) .

وقد تحقق الموقف الثاني نتيجة لمواقف الاتراك السابقة في اتجاه القضايا العربية وكان خاتمة هذه المواقف اعلان السياسة الطورانية من قبل الاتحاد والترقي لذلـك كان وقوف الشريف حسين الى جانب الحلفاء تجسيدا للسياسة العربية المصريـة على أسس ثقافية واجتماعية أسهمت في تكوينها جهود الحلفاء عن طريق سفاراتهـم وبعثاتهم التبشيرية في المنطقة (٣) كما أن القيادة العربية كانت تتطلع الى حيـاة أفضل بمساعدة الحلفاء لهم في مختلف المجالات متى كسبوا الحرب .

كل هذا لم يمنع وجود تيار عربي مضاد لثورة الشريف حسين حدد موقفه نتيجـة لشعوره الاسلامي اتجاه دولة الخلافـة .

فهذا مصطفى كامل يقول " ..... ولذلك رأت انجلترا أن بقاء السلطنـه العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها ومنشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكهـا

---

(١) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثـة ص ١١٧

(٢) المصـدر السـابق ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) راجع فلسفة التاريخ العثمانـي ج ٢ ص ٧٦

امتلاكها مصر وأن خير وسيلة تضمن لهم البقاء فى مصر ووضع يدهم على وادى النيل هى هدم السلطنة العثمانية ونقل الخلافة العثمانية الى أيدى رجل يكون تحت وصاية الانجليز وبمثابة آلة فى أيديهم . ولذلك أخذ ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤمنين به استمالة للعرب لهم حتى يقوموا بالعصيان فى وجه الدولة العلية (١) .

ويقول شوقى من قصيدة ضجيج الحجيج التى رفعها الى السلطان عبد الحميد فى ١٤ أبريل ١٩٠٤ شاكيا فيها اضطراب الامن فى ربوع الحجاز بسبب تمرد شريف مكة :

ضج الحجيج وضج البيت والحرم ... واستصرخت ربها فى مكة الامم
قد مسها فى حماك الضر فاقض لها ... خليفة الله أنت السيد الحكم
لك الربوع التى ريع الحجيج بها ... أللشريف عليها أم لك العلم
أدبه أدب أمير المؤمنين فما ... فى العفو عن فاسق فضل ولا كرم
لا ترج فيه وقاراً للرسول فما ... بين البغاة وبين المصطفى رحم
فى كل يوم قتال تقشعر له ... وفتنة فى ربوع الله تضطرم
من الشريف ومن أعوانه فعلت ... نعمى الزيادة ما لا تفعل النقم
عز السبيل الى طه وتربته ... فمن أراد سبيلا فالطريق دم

الى أن يقول :-

رب الجزيرة ادركها فقد عبثت ... بها الذئاب وضل الراعى الغنم
أزل الشريف وأحزاب الشريف بها ... وقسموه كارث الميت وانقسموا
فجرد السيف فى وقت يفيد به ... فان للسيف يوما ثم ينصرم (٢)

هذا ولا يعقل أن يكون الشريف حسين راضيا عن قطع الطريق على الحجاج وانما هو ضعف سلطة الشريف على أطراف الحجاز بالاضافة الى مبالغات الشعراء

ويقول حافظ ابراهيم يهنىء السلطان عبد الحميد فى عيد جلوسه سنه ١٩٠٨ - يشير الى ما يضمره شريف مكة من عصيان

---

(١) المسألة الشرقية مصطفى كامل ص ١٩
(٢) الشوقيات جـ ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

منى على دار السلام تحيــــة ... وعلى الخليفة من بنى عثمــــان
وعلى الاولى سكنوا الى الحسنى ســوى ... ذاك الذى يدعو الى العصيـــان
ما للشريف المنتمى حسبا الـــى ... خير البرية من بنى عدنـــان
أمسى بماله وينصر غيــــه ... وضلاله بحثا له العربـــان
والله لو جندتما رمل النقــــا ... ونزلتما بمواطن العقيـــان
وغرستما ارض الحجاز أســـنة ... وأسلتما بحرا من النيـــران
وأقمتما فيها المعاقل منعــــة ... من ارض نجد الى خليج عمـــان
لدهاكما ورماكم وذراكمـــــا ... ماحى الحصون وماسح البلــدان
ان تأتيا طوعا والا فأتيــــا ... كرها بلا حول ولا ســـلطان(١)

ويقول محرم فى قصيدة له فى حرب طرابلس سنة ١٩١٢ .

ألا إن من شق العصا لمذمـــم ... وان الذى يبغى الفساد لآثـــم
ومن كان يأبى أن يوالى امامــه ... طواعية والاه والانف راغـــم
سيعلم من خان الخليفة أنـــه ... مواقع أمر ســره متفاقـــم
أطاع هواه واستزلته فتنـــه ... عضوض تلوى فى لهاها الاراقـــم
له الويل ماذا هاج من نزواتـــه ... فثار يرامى ربه ويراجـــم
تباركت ربى كيف يعصيك مســلم ... فيوقع بالاسلام ما أنت عالـــم
تباركت ان المسلمين كما تـــرى ... تفاريق منها مستطيـــر ورازم (٢)

ويقول الكاشف من قصيدة قالها فى عيد الدستور العثمانـى :

ما أختص أحمد فى الخلافة أمـــة ... علما بأن الدائرات تـــدور
أولى بها من صانها من بعدمـــا ... عبثت مقادير بها وعصـــور(٣)

ويقول من قصيدة أخرى يهنئ الخديو اثر عودته من الديار الحجازية حاجا سـنة ١٩١٠ .

---

(١) الديــوان ج ١ ص ٤٩

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٧ مستطير من الطيـران رازم : البعيــر يعجــز عن النهوض من الاعياء والضعف مستطير ورازم : كنــاية عن تفرق الكلمــة وتشـــتت الرأى .

(٣) الديـــوان ج ٢ ص ٢٨ .

| | |
|---|---|
| يا ناصر الاسلام كيف مكانه | من عرب تلك البيد وهو العادل |
| أينازعون على الخلافة قادة | لولا هم غال الخلافة غائل |
| الله قد رها لهم وأعزهم | ما دام فيهم قانت ومقاتل |
| فليسكن العرب الكرام اليهم | وليربأن بنفسه المتطاول |
| هل يفتديها والخطوب جلائل | من لم يصنها والخطوب قلائل (١) |

ولعل فى هجمات كرومر الدائمة على المسلمين فى بعض تقاريره وفى كتابيه الذين ظهرا بعد مغادرته مصر " مصر الحديثة " " وعباس الثاني " وتصويرهم فى صورة الهمج المتخلفين ومهاجمة الاسلام وتصويره دينا رجعيا لا يصلح لأن يقوم على أساسه نظام اجتماعى راق (٢) كل هذا قد مكن كراهية الانجليز فى قلوب المسلمين خصوصا فى مصر التى اكتوى شعبها بالاحتلال الانجليزى • ولذلك لم تجد ثورة الشريف حسين تأييدا لها فى مصر كما وجدته فى بلاد الشام وربما كان ذلك لان مصر لم تكن تحت الحكم العثمانى مباشرة بل خرجت منه منذ زمن بعيد أو لأن المصريين بقوا على فطرتهم وايمانهم حيث لم تنشط بينهم المدارس التبشيرية ومؤثرات الحضارة الغربية ليستسيغوا الوقوف ضد الدولة العثمانية فى جانب دولة أجنبية بالأضافة الى المشانق التى نصبت لوجهاء البلاد فى الشام على يد الوالى العثمانى أحمد جمال باشا مما أوغر الصدور وجعلهم أحوج الناس ليمدوا أيديهم لكل من ينقذهم •

كما أن هناك علماء الدين من المسلمين الذين لا يهتاجون الا لما يمس دينهم ولا يرون من يستطيع أن ينهض بعبء الذود عن الاسلام غير تركية لأنها أقواها وأقدرها على مواجهة مطامع الدول المسيحية بالاضافة الى ورود الأحاديث العديدة التى تنهى بل وتزجر عن الخروج على السلطان • علما بأن نوايا الاتحاد بيين الخفية ضد الخلافة الاسلامية فى تركية لم تكن قد ظهرت بعد فما كاد الاتحاديون ينجحون بثورتهم عام ١٩٠٦ ويظهروا مقدمات نواياهم حتى واجهتهم الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ مما أضطرهم الى اعلان الجامعة الاسلامية من جديد والدعوة الى الجهاد الدينى وتقريب العرب بل والتودد اليهم كما ذكرنا •

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٦١ •

(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ١ ص ٦١ •

ومن هؤلاء العلماء الشيخ يوسف النبهاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والاميروشكيب ارسلان الذى يقول " لم يمنعنا من الاشتراك فى الثوره العربية سوى اعتقادنا أن هذه البلاد العربية سوف تصبح نهبا مقسما بين انجلترة وفرنسة وتكون فلسطين وطنا قوميا لليهود (١) وهناك عامة الناس الذين لا يرضون لهم راعيا غير الخليفة امام المسلمين لأن كانوا لا يعرفون ما الوطن وما الوطنية فهذا والدى الذى جاوز الخامسة والثمانين من عمره ما سمعته مرددا فى دعائه الا " اللهم انصر الاسلام " أو " اللهم أنصر المسلمين " وما سمعته قط يدعو " اللهم أنصر العرب " أو " اللهم انصر العروبة "

وقد ذكر الاستاذ رشيد رضا من محاسن الخديوى " أول ما عرف الناس من محاسنه ما يسمى فى عرف العصر بالوطنية (٢) .

ويذكر الاستاذ محمد الفرحاني ما دار من حديث له مع المغفور له رمضان باشا الشلاش الذى كان من أوائل الملتحقين بالثورة العربية يقول الاستاذ الفرحاني سائلا رمضان باشا : وماذا تقول فى الشهداء الذين أعدمهم الطاغية السفاح جمال باشا ؟ فأجابنى رمضان باشا بكل رضاء وهدوء " جمال باشا ياولدى ليس طاغية ولا سفاحا والشهداء ليسوا شهداء بل خونة مجرمين لقوا جزاءهم العادل ولو كنت مكان جمال باشا لما كنت فعلت غير ما فعل ..... بل ما كان جمال باشا ليستطيع أن يوجه اليهم من الاذى قيد أنمله وفيهم النواب و[illegible] وفيهم الوجوه البارزه فى المجتمع لو لم يجد فى الوثائق التى وقعت فى يديه ما يدينهم " وهتفت وشريف مكه باشا فقال " لقد أغرى بالذهب ..... نعم ... أغرى بالذهب الكثير ولا حول ولا قوة الا بالله (٣) "

ويقول الاستاذ الفرحاني ايضا " وجلست يوما الى الرئيس السورى الجليل السيد الحكيم فقلت له : " هل هناك من وعود وعهود مكتوبة غير الرسائل المتبادلة بين شريف مكه ومكماهون ؟ فأجابنى بالنفى ثم قال " الواقع لقد وجدنا أطفالا فى السياسة " ويضيف الاستاذ الفرحاني فيقول ومثل هذا الكلام نسب الى النجل

---

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٣٥ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٩٢ راجع أيضا كتاب عبد العزيز جاويش الاستاذ أنور الجندى ص ١٥ حيث يوضح أوليات " الوطنية " " والقومية العربية "

(٣) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٣٦

الاكبر لصاحب رصاصة مكة حيث قال " لم نكن سوى بداة بسطاء لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا فى الحياة الدولية أو عاملنا الاجانب أو أتصلنا بهم من قريب أو بعيد ولقد جاءنا الانجليز الى الحجاز ولم نذهب اليهم ، جاءونا بورقة بيضاء فى ذيلها ختم الامبراطورية وقالوا لنا هذه ورقة فاكتبوا فيها ما تشاؤون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم وقاتلنا الى جانبهم ، ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وغدروا بنا (١) "

ولكنى أعود لاوكد ما قلته فى السابق من أن شريف مكه بقى ينتظر انتصار المحور وبعث بالراية النبوية لجمال باشا ومكث شهرين بعد الحرب ينتظر وذلك بالاضافة الى ما كان قد أعلنه الاتحاديون من عداء العرب والاسلام وسلب الخليفة كل سلطانه حتى الختم ولم يكن الشريف حسين يقصد ابدال " الطغيان العثمانى " طغيان فرنسى أو بريطانى " ولم يكن انتصار الحلفاء بسبب مساعدة الشريف حسين لهم فقد أرتدت جيوش جمال باشا مع الالمان مرتين عن قناة السويس قبل أن يعلن الشريف ثورته . والحقيقة كما أعلنها النجل الاكبر للشريف أنهم كانوا على الفطرة صادقين ليس لهم ممارسة بالسياسة الدولية والاعيبها وموقف شريف مكة من الحرب يشبه موقف تركية من الحرب أيضا يقول الاستاذ دروزه " ان عدم دخول الدولة العثمانية الحرب كان الافضل ولكنه ليس ممكنا لانه لابد أن تكون الدولة الحيادية مسلحة وأن تسد المضايق وهذا وذاك ليس فى مقدورها (٢) " كذلك نقول ان مساعدة الشريف حسين للحلفاء لم تكن هى الفيصل فى الحرب وقد كان من الطبيعى أن ينضم للحلفاء للحصول على الاستقلال من الحكم التركى كما وعدت بريطانية فى تجربتها الاولى مع الشريف حسين .

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحكم على الاحداث بعد وقوعها فقد كان الرأى العام ضد تركية ولو انضم الشريف حسين الى تركية ثم خسرت الحرب لكان اللوم عليه بأن الحلفاء كانوا يتظاهرون بالحرص على مساعدة العرب نحو الأخذ بأسباب المدنية الحديثة عن طريق بعثاتهم التعليمية والتبشيرية وابراز كيانهم القومى المستقل مما حدا بالبعض ان يستدعى فرنسة لحكم سورية كما قدمنا أما القلة المتبصرة فقد كان لسان حالهم يقول :

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) تركيا الحديثة محمد عزت دروزة ص ٢٥

مخطئ من ظن يوماً — أن للثعلب ديناً

وأخيرا استسلمت تركية ووقعت معاهدة الصلح فى ٢٩ تشرين الاول ١٩١٨ (١) — وبذلك خرجت سورية والعراق من الحكم العثمانى لتدخل فى حكم جديد فقد أصبحت فلسطين والاردن والعراق تحت الاستعمار البريطانى (٢) وسورية ولبنان تحت الاستعمار الفرنسى . وكانت حال العرب الذين وقفوا مع الحلفاء لمساعدتهم على التخلص من الحكم العثمانى كما قال الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته — كالمستجير من الرمضاء بالنار

## ضياع فلسطين :

الحقيقة أنه كان هناك عقبتان أمام انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين العقبة الاولى وجود السلطان عبد الحميد ولذلك عملوا على اسقاطه ونجحوا عن طريق تغلغلهم فى جمعية الاتحاد والترقى بعد أن أعيتهم كل السبل للتحايل على السلطان عبد الحميد حتى ضاق بهم ذرعا ونفذ صبره وقال للوسطاء ( على رواية هرتزل فى مذكراته ) : " انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع انى لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الارض فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الارض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم . اذا مزقت امبراطوريتى ، فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين ، بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا فى جثتنا فانى لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ، ونحن على قيد الحياة (٣)

أما العقبة الثانية فهى وجود روسية القيصرية فقد كانت الحكومة الروسية فى العهد القيصرى شديدة التمسك بالتقاليد المسيحية الارثوذكسية وكان الكثيرون من الروس يرنون الى الاماكن المقدسة فى فلسطين بعينى الايمان العميق والخشوع

---

(١) المرجع السابق ص ١١

(٢) راجع اثر اليهود فى صياغة صك الانتداب البريطانى على فلسطين وهو من وضع المستر فيلكس فرنكفورتر الصهيونى الامريكى . قضية فلسطين العربية ص ٣٠ .

(٣) الموجز فى تاريخ القضية الفلسطينية قسطنطين ضار ص ٣٨ - ٣٩ .

الشديد ومنهم من كان يحج اليها سيرا على الاقدام وهذا ما جعلهم يؤمنون بأن تحويل فلسطين الى دولة يهودية يدنس الاراضى المقدسة ولذا كانت الحكومة القيصرية تقاوم أى مشروع يرمى الى اقامة دولة يهودية فى فلسطين . ولا ريب أن هذه المقاومة كانت عاملا فى تأخير صدور تصريح بلفور الى ما بعد انهيار الحكم القيصرى مباشرة ولهذا يقول المؤرخ البريطانى " آرنولد توينبي فى كتابه ( دراسة التاريخ ) ما معناه " ان انهيار حكم آل رومانوف الامبراطورى الروسى قد أزال بالفعل حماية أخرى عن العرب الفلسطينيين [١] " لذلك أسهم اليهود فى اسقاط أسرة رومانوف القيصرية وقيام الثورة الشيوعية فى روسية فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧

يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان نقلا عن كتاب المؤامرة اليهودية " أن المحفل الامريكانى الماسونى الذى يدير الماسونية الكونية وكل أعضائها من أعاظم زعماء اليهود عقدوا مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسية القيصرية الذين تبرعوا بالمال هم اسحق ملايتمر ، وشيستر ، وليفنسن وروق ، وشيف .

وكان المال مرصودا للدعاية واثارة الصحافة العالمية على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود وحوالى نهاية القرن التاسع عشر [٢] " ونتيجة للجهود المكثفة التى بذلها زعماء اليهود وأنصارهم أمثال هرتزل ، وايزمن ، لويد جورج بلفير ، هربرت صموئيل ، سكوت مارك سايكس ، موسى جاستر ، جيمس مالكرلم ، براندير وغيرهم استطاع اليهود أن يحصلوا على وعد من الحكومة البريطانية للعمل على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وهو ما عرف بـ " وعد بلفور " الذى وجهه الى اللورد ولتر روتشيلد فى ٢ تشرين الثانى سنه ١٩١٧ هذا نصه :

" عزيزى اللورد روتشيلد : يسرنى أن أنقل اليك بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى ، متضمنا العطف على الامانى الصهيونية اليهودية وكان هذا التصريح قد رفع الى المجلس الوزارى فوافق عليه " ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يكون مفهوما بصورة واضحة أنه

---

(١) الموجز فى تاريخ القضية الفلسطينية ص ٢٩

(٢) كتاب اسرار الماسونية ص ٥٧ ـ ٥٨ طبع دار المختار الاسلامى القاهرة .

لا يجوز القيام بأى عمل من شأنه ان يكون مجحفا بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بالحقوق والاوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهودى فى أى قطر آخر وسأكون شاكرا اذا أنبأتم الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح "

أما عن دوافع بريطانيا من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فمنها الظاهر والمباشر مثل مكافأة الدكتور وايزمن على اختراعه مادة الاسيتون لانتاج مادة ت ، ن و ت والذى رفض المكافأة الشخصية بالاضافة الى الجهود المكثفة التى بذلها زعماء الصهيونية والمحافل المأسونية . أما عن الدافع الحقيقى الذى دفع لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا للموافقة على صدور وعد بلفور فى ما أشار اليه الاستاذ أنيس الصايغ اذ يقول " ولكن الواقع أن رئيس الحكومة البريطانية لم يكن يهتم باليهود كثيرا ولم يكن يحبهم يعترف مؤرخ فى حياته وصديق سكوت بأن لويد جورج لم يأمر بأصدار الوعد الا ليحصل على فلسطين البريطانية وقد أثبتت الاحداث العسكرية التى سبقت الوعد أن مركز بريطانية الحربى كان قد أخذ يتحسن فكانت فكانت القوات الحليفة قد أنقذت السويس ودخلت فلسطين وانضمت الولايات المتحدة الى الحلفاء وبدأت القوات الألمانية والتركية تتراجع فى بعض الجهات (١) " وكما جاء فى رسالة وايزمن الى صحفى يناصر الصهيونية " ان اقامة دولة يهودية قريبة الى جانب مصر يضع حاجزا ضد أى خطر يستهدف مصر من الشمال (٢) " .

وكانت الخطوة العملية لتحقيق وعد بلفور هى وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية وانتزاعها من الوطن الام سورية وقد وضعت فلسطين تحت الحكم العسكرى البريطانى خلال عامى ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكانت وزارة الحربية البريطانية تصدر تعليماتها الى قوادها العسكريين مؤكدة لهم أن الحكومة البريطانية متمسكة بتصريح بلفور ومن واجبهم تقديم المساعدة الفعالة للصهيونية وكثيرا ما كانت تستبدلهم بآخرين من ذوى الميول الاكثر تأييدا للحركة الصهيونية .

---

(١) الهاشميون وفلسطين أنيس الصايغ ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

يقـــول الاســــتاذ قسطنطين خمــــار :

" بعد كل هذا تأكد عرب فلسطين أن مخاوفهم من تصريح بلفور أصبحـــت حقيقة واقعة فهبوا يعقدون المؤتمرات الوطنية والاجتماعات السياسية ويؤلفـــون الجمعيات القومية للاعراب عن استنكارهم للحركة الصهيونية وعزمهم على مناهضتها (١)

" فقد ابتدأت المظاهرات العنيفة والاضرابات الشاملة ونشبت الاصطدامات الدامية في غزة والقدس وطبرية خلال ١٩١٩ وكانت الثورة اللاهبة صباح ٤ نيسان أبريـــل ١٩٢٠ في مدينة القدس حيث اصطدم فيها العرب مع اليهود والشرطة وقامت - لجنة بالن بالتحقيق وأدانت اليهود في تقريرها الذى لم ينشر واســـتبدال الحكم العسكرى لفلسطين بالحكم المدنى في تموز ١٩٢٠ تلبية لرغبة اليهود وعيـــن اليهود الصهيونى السير هربرت صموئيل مندوبا ساميا لفلسطين وحاكما مطلقا لجميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وكان وايزمن يدعوه دائما " صموئيلنا " فملأ الوظائف الكبرى باليهود حتى بلغ عدد الموظفين اليهود أربعة أمثال الموظفين العرب وقام بتسهيل الهجرة اليهودية حتى وصلت الى ٣٠ ألف يهودى في العــام ولهذا يمكن حسبانه بسهوله " البانى الحقيقى والمؤسس الفعلى للدولة اليهودية وتخوف العرب من النفوذ اليهودى وكانت ثورة عام ١٩٢١ في صبيحة أول مايـــــو حيث أخذ شبان اليهود وشاباتهم يسيرون في الشوارع وهم ينشدون الاناشـــــيد الطائفية فاصطدم فريق من الشبان العرب بهم وبالقوات البريطانية وراح فريق اخـــر يهجم على بلدة تل أبيب ثم هجمت المستعمرات اليهودية الواقعة بين يافا وطولكرم وامتدت الثورة الى سائر المدن الفلسطينية واستشهد فيها من العرب ٣٨ شهيـــدا وجريحا وبلغ قتلى اليهود ٤٧ وجرحاهم ١٤٦ وقد استخدمت السلطات البريطانيـــة الحاكمة أبشع وسائل الانتقام من فرض الغرامات واتلاف المؤن وحرق المزارع وانتصـــر وزير المستعمرات ونستون تشرشل للصهيونيين وسمى ثورة عرب فلسطين هذه الاضطرابات القذرة " ثم شكلت لجنة تحقيق برياسة قاضى القضاة " توماس هيكرافت " واكتشفت المجرم الحقيقى " الصهاينة " ولكنها بدلا من الحكم عليه طلبت منه أن يـــــكون معتدلا ورؤفا وجعلت توصى العرب واليهود أن يتفقوا .

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٥٧ .

وفى ٢٢ حزيران عام ١٩٢٢ أصدرت الحكومة البريطانية " الكتاب الأبيض " وقد أشتمل على دستور وسياسة عامة لفلسطين على أساس تصريح بلفور والانتداب موكدا أنهما لا يقبلان التغيير وقد رفضه العرب رفضا باتا مع أنه ينص على أن يكون لهم فى المجلس التشريعى ١٠ أعضاء من بين ٢٣ عضوا مع أنهم يوءلفون ٩١ ٪ من سكان فلسطين آنئذ . وقد رحبت الجمعية الصيهونية بالكتاب الابيض وتعهدت بتسيير أعمالها وفقا للسياسة المبسوطة فيه وقد أعترف وايزمن فى مذكراته أن الحكومة البريطانية عرضته على الجمعية الصهيونية قبل اصداره للاطلاع عليه وابداء وجهات النظر التى يراها اليهود بشأنه . وقد عقد العاملون فى حقل الحركة الوطنية بين عامى ١٩١٩ - ١٩٢٢ خمسة موءتمرات كانوا فى كل منها يوءكدون تمسكهم بالوحدة السورية ورفضهم لتصريح بلفور والمطالبة بحكومة وطنية فى فلسطين وهى :

المؤتمر الأول :

فى مدينة القدس - رفض تصريح بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطانى وطالب بالوحدة وتسمية فلسطين ( سورية الجنوبية ) .

المؤتمر الثانى :

دعت اليه " الجمعيات الاسلامية المسيحية " ولكنه منع بأمر السلطة البريطانية فلم يعقد .

المؤتمر الثالث :

فى حيفا أكد مطالب المؤتمر الأول مع المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة .

المؤتمر الرابع :

أكد فيه المطالب السابقة وأرسل وفدا الى لندن فأكد تشرشل وزير المستعمرات للوفد أن الحكومة البريطانية مصممة على الوفاء بعهودها للشعب اليهودى .

المؤتمر الخامس :

فى نابلس قرروا باجماع الاراء رفض الكتاب الابيض وعدم التعاون مع حكومة الانتداب على أساسه ثم دعت حكومة الانتداب فى فبراير سنه ١٩٢٣ لاجراء انتخابات للمجلس التشريعى فقاطعها الشعب الفلسطينى مقاطعة اجمالية . ووقعت اضطرابات فى يافا عام ١٩٢٤ لتهكم اليهود على الشعائر العربية أثناء احتفالهم

بعيد " المساخر " وفي عام ١٩٢٥ زار اللورد بلفور القدس لافتتاح الجامعة العبرية فأضربت البلاد أضرابا شاملا • ولما سافر بلفور الى دمشق تظاهرت في وجهه بشدة فخرج الى ميناء بيروت حيث ركب الباخرة رأسا الى انجلترا حتى جاء عام ١٩٢٩ وقامت دائرة الاوقاف الاسلامية باصلاحات حول حائط البراق في حزيران ١٩٢٩ فثارت ثائرة اليهود وأخذت صحفهم تنشر مقالات مهيجه تدعو فيها الى أعمال العنف والثورة وقاموا بحملة دعائية في الصحف العالمية على أوسع نطاق يتهمون فيها العرب بالاعتداء على مقدساتهم وفي ٤ آب أغسطس سارت مسيرة من سته آلاف يهودى في تل أبيب تصيح " الحائط حائطنا " وفي ١٥ آب أغسطس سارت حشود اليهود مخترقة الاحياء العربية نحو البراق وهناك قاموا برفع العلم اليهودى وانشاد نشيدهم الطائفي صاخبين هاتفين " الحائط حائطنا " وقد كانت هذه المسيرة هى السبب المباشر للاضطرابات كما أقرت ( لجنه شو ) فيما بعد

وقد واصل اليهود مسيراتهم الاستفزازية مقترفين الاعمال العدوانية مما أثار الشعور العربي الفلسطيني الى أقصى الحدود وكان اليوم التالى ١٦ آب ١٩٢٩ عيد المولد النبوى الشريف فخرج المصلون من الحرم الشريف في صلاة نحو البراق حيث قلبوا منضدة للشماس اليهودى • ودفعوا به جانبا واحرقوا بعض الكتب والاسترحامات(١) وفي الايام التالية هجموا على اليهود في القدس وضواحيها وقامت المسيرات في معظم المدن الفلسطينية ووزعت الحكومة السلاح والعصي على المدنيين اليهود ثم هجم عرب الخليل على الحى اليهودى فقتلوا ٦٠ شخصا وقام أهل نابلس بالهجوم على مخفر الشرطة بغية الاستيلاء على السلاح وهجم أهل بيسان على بعض المستعمرات اليهودية وهجم العرب على يهود صفد فقتل منهم ٤٥ شخصا وقام اليهود بقتل امام جامع في ضواحى يافة مع افراد عائلته السته ومثلوا بجثثهم تمثيلا فظيعا كما قاموا بتدنيس قبور الصحابة فأستقدمت بريطانية بعض قواتها من قناة السويس ومالطه وقبرص واستعملت أشد الاساليب وأعنفها للقضاء على الثوره • وفي أخر آب ( اغسطس ) كانت حصيلة الاضطرابات ١٣٣ قتيلا و ٣٣٩ جريحا من اليهود ومن العرب ١١٦ شهيدا و٢٣٢ جريحا وأخيرا صدرت الاحكام من قبل المحاكم البريطانية على الوجه الاتي :

---

(١) الاسترحامات هى أوراق دعوات • كان اليهود يلفونها ويدسونها في ثقوب جدران حائط المبكى •

١ – حكم على عشرين عربيا بالاعدام وتم تنفيذ الحكم فى ثلاثة منهم ، وحول الحكم على السبعة عشر الباقين الى السجن المؤبد .

٢ – حكم على ٨٠٠ عربى بالسجن لمدة سنوات .

٣ – حكم على يهودى واحد بالاعدام ( قاتل امام الجامع وعائلته وهو شرطى نظامى ثم خفض الحكم عليه الى عشر سنوات قضى بعضها فى السجن ثم اطلق سراحه .

٤ – فرضت الحكومة غرامات باهظة على بعض المدن العربية وقامت بتحصيلها بشتى الوسائل . وفى النهاية قرر العرب مقاطعة اليهود على أن السلطات الحكومية أخذت فى التشدد فى معاقبة كل من يشرف على تنفيذ هذه المقاطعة أو يحرض عليها . وألفت الحكومة المنتدبة لجنه ( شو ) كعادتها وكتبت توصيات لصالح العرب ولم تنفذ بريطانية منها أى شىء . كما قضت لجنه ثلاثية وافقت عليها عصبة الامم بملكية المسلمين لحائط البراق وملكية الرصيف الذى أمامه ثم ألفت الحكومه البريطانية ثلاثة لجان هى لجنه سمبسون – لجنة فرنش – لجنة كروسبين . فجاءت تقاريرها كلها مؤيدة للحق العربى .

فأصدرت الحكومة البريطانية بيانا عن خطتها السياسية عرف بـ " الكتاب الابيض " سنه ١٩٣٠ فثارت ثائرة اليهود لانه لم يتضمن تحيزا ظاهرا لهم فسخروا الصحافة العالمية خصوصا الانجليزية والامريكية للهجوم على الكتاب الابيض واستقال الدكتور حاييم وايزمن من رياسة الوكالة اليهودية فاضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع فأصدر رئيس وزرائها مكدونالد فى ١٧ شباط ١٩٣١ رسالة الى الدكتور وايزمن فيها تراجع بل نسخ للكتاب الابيض وقد أطلق عليه اسم " الكتاب الاسود " لانه وثيقة شؤم وخزى وعار فى تاريخ السياسة البريطانية .

والى هنا نتوقف عن السير مع الاحداث التزاما مع الزمن الذى عاشه الشيخ يوسف النبهانى حيث توفى عام ١٩٣٢ . وقد كان عام ١٩٣٣ – ١٩٣٦ سلسلة متتابعة من الاضطرابات والمظاهرات حتى كان اضراب عام ١٩٣٦ الذى استمر ١٨٣ يوما ابتداء من ١٩ نيسان ١٩٣٦ واخيرا انهى الاضراب بواسطة السياسة والحكام العرب .

---

(١) الموجز فى تاريخ القضية الفلسطينية ص ٤٠ – ٨٠ بالتصرف ولمزيد من التفصيل راجع كتاب قضية فلسطين العربية وضع الهيئة العربية العليا . وكتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن للشهيد صالح بوصير والمراجع

وأخيرا تم لليهود تحقيق أملهم فى انشاء وطنهم القومى فى فلسطين . وصدقت بريطانيا فى وعدها لهم ونفذت المادة الثانية من صك انتدابها على فلسطين التى نصها " تكون الدولة المنتدبة مسؤلة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى [1] وأخيرا استجابت الدول العربية لقرار مجلس الامن ووقعت الهدنة الدائمة بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا والاردن ولبنان وفى ١١ آيار قبلت اسرائيل عضوا فى الامم المتحده باعتراف معظم الدول ومعارضة الدول العربية الست وأفغانستان وباكستان والهند وايران وسورية والحبشة وارتيرية . وبذلك نجحت الصهيونية وعملائها فى اقامة دولة اسرائيل . وماكانت الصهيونية تنجح لولا اصرار وتصميم بريطانية الدولة المنتدبة الحاكمة على قيام هذه الدولة حتى اذا انتهت مدة انتدابها وأوشكت الجيوش العربية على تخليص فلسطين رأينا الدول الغربية مجتمعة تضغط على الساسة العرب لقبول الهدنة الاولى والثانية وأخيرا الهدنة الدائمة ورأينا دول المعسكر الاشتراكى تقدم الاسلحه والرجال لليهود كان هذا تآمرا مشتركا لدول المعسكرين الشرقى والغربى على قيام دولة اسرائيل وقد أفصح الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى فى محاضرة له فى مدنية مونتريال فى كندا عام ١٩٤٧ قال " ولم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتى والدينى بالنسبة اليهم ولا لان مياه البحر الميت تعطى بفعل التبخير ما قيمته ثلاثة آلاف مليارد ولا من المعادن وأشباه المعادن وليس أيضا لان مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الامريكتين مجتمعتين . بل لان فلسطين هى ملتقى طرق أوربا وآسية وافريقية ولان فلسطين تشكل فى الواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولانها المركز الاستراتيجى العسكرى للسيطرة على العالم [2]

---

فى هذا الموضوع كثيرة جدا . راجع أيضا حاضر فلسطين تأليف اليا هو جرانت ص ٣٠ - ٣٤

(١) راجع قضية فلسطين وضع الهيئة العربية العليا ص ٣٠ راجع أيضا حاضر فلسطين تأليف الياهوجراند ص ٣٠ - ٣٤

(٢) تاريخ فلسطين القديم ظفر الاسلام خان ص ٧ .

# " البـــاب الثانـــــى "

## (( نشـــأته وحيـاتـــــه ))

### الفصل الاول : مولده - أسرته - وفاتـــــه .

#### مولـــــده :

ولد الشيخ يوسف النبهانى سنه ١٢٦٦ هـ ١٨٤٩ م فى قرية أجزم الواقعـــة فى الجانب الشمالى من أرض فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثلاث مراحل وهـــى الان تابعه لحيفـــة [١].

وتبلغ مساحة اجزم ٩١ دونم وترتفع نحو ١٠٠ م عن سطح البحر ومساحتهـــا ٤٦٩٠٥ دونم ولا يملك اليهود فيها اى شبر [٢] يقول الدكتور فاضل زيدان [٣] - وهى أكبر قرى قضاء حيفة مساحة وسكانا فقد كان عدد سكانها عام ١٩٤٨ ما يقـــرب من خمسة آلاف نسمة وجميعهم مسلمون [٤] . وجاء فى كتاب جغرافيه فلسطين عـــن اجزم ... وهى غنيه بأملاكها وسكانها كلهم مسـلمون [٥].

وسكان اجزم مشهورون بحب العلم والتدين " وقد تعلم الكثير من ابنائها فـــى الازهر ومنهم الشيخ يوسف النبهانى ووالده الشيخ اسماعيل النبهانى والشيخ سـعيد

---

(١) هادى المريد الى طريق الاسانيد ص ٥٦ .
(٢) بلادنا فلسطين جـ١ ق٢ ص ٦٥٨ .
(٣) فى مقابلة أجريتها معه فى ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥ م .
(٤) الدكتور فاضل زيدان من أبناء أجزم ولد فى ١٨ /١٩١٨/٨ أنتهى تعليمـــه الثانوى فى الكلية العربية فى القدس ١٩٣٦ حصل على بكالوريوس فى العربـــى والجغرافيه من القدس عام ١٩٣٨ وحصل على بكالوريوس طب وجراحه من القصـر العينى ١٩٥٠ وحصل على ماجستير عيون ١٩٥٦ وحصل على ماجستير عـــلم واجتماع من الجامعه الامريكيه فى القاهره ١٩٥٧ وحصل على ماجستير أشـــعه ١٩٦١ وحصل على ماجستير طب الاطفال ١٩٦٧ وهو من المؤسسين لمنظمـــه التحرير الفلسطينيه وكان عضوا فى المؤتمر الفلسطينى الأول الذى عقد فى القـدس ١٩٦٣ ثم عضوا فى المجلس الوطنى الفلسطينى منذ ذلك التاريخ حتى اليوم وعضوا فى اللجنه المالية لمنظمه التحرير الفلسطينيـــه .

النبهانى والشيخ ابراهيم النبهانى والشيخ طه الصالح والشيخ صالح الخديش والشيخ محمد الخديش والشيخ طه الخديش والشيخ عبد السلام الحسن والشيخ رشيد الحسن ولم يعرف أحد سكان قرى حيفة طريق الأزهر فيما نعلم غير هوءلاء (١)

ولما بدأت الهدنة الثانيه بين الجيوش العربية واليهودية فى صباح ١٩ تموز ١٩٤٨ استغلها اليهود وهجموا على عدة قرى فى جبل الكرمل واحتلوا قرية عين غزال واجزم فى الثانى والعشرين من الشهر المذكور (٢) وخرج أهلها مشتتين فى الاردن - والعراق وسورية ولبنان يعيشون على أمل العودة وليس على الله ببعيد وفى الشهر الثانى فى عام ١٩٤٩ أقام اليهود فى بقعتها مستعمره كارم مهرال وكان بها فى نهاية ١٩٥٠ ٣٣٤ يهوديا (٣) .

## موقعها : -

يقول الدكتور فاضل زيدان " تقع اجزم على مسافة ٣٥ كم جنوب حيفة وعلى مسافة ٢٠ كم شرق البحر الابيض المتوسط وهى تقوم على مرتفع من الارض حوالى ٣٠٠ متر فوق سطح البحر يحيط بها من كل جانب سهل ضيق بمثابة واد يفصل جبلين ، أما حدودها الطبيعيه فهى من الشرق تلة " شنا " التى لا يزيد ارتفاعها عن ١٠٠ متر يفصل بينها وبين القرية سهل ضيق كان يستعمل للبيادر لسكان شرق القرية وتلة " شنا " وعرة مكسوة بالأشجار قليلة الارتفاع وفيها كثير من المقاطيع وهى آبار منحوته بالصخر هندسية الشكل يرجع عهدها الى أيام الرومان وبها عدة كهوف تطل على القرية لكل كهف باب يرتفع حوالى ستة امتار عن مستوى البيادر والى الشرق والجنوب من جبل شنا يقع سهل ضيق يعرف " بماقورة " حيث تكثر المياه الجوفية

---

(١) مقابله مع الدكتور فاضل زيدان فى ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥

(٢) بلادنا فلسطين جـ ٧ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩

(٣) بلادنا فلسطين جـ ١ ق ١ ص ١٩٧ .

نسبيا فيزرع الخضار والفاكهه ومن الشمال وادى النحل وهو ملتف الأشجار ضخمها وخاصه شجر السنديان ، وتكثر فيه الوحوش المفترسة وفى شقوق صخوره تكثر خلايا النحل وكانت الجبال فى الربيع روعة فى الجمال لكثرة الازهار الملونة ذوات الروائح العطرية ، والى الشمال من القرية يقع جبل المغارة وفى جانبه وادى ضيق هو وادى المغارة الذى يمتلىء بالماء فى أيام الشتاء وفى نهاية جبل المغارة يوجد الكهف المشهور الذى جرى فيه التنقيب عن الآثار القديمة فوجد فيه مدافن وآثار ترجع الى عهد الكنعانيين والى القرب منه يقع جبل البياضه الذى يرتفع ٥٠٠ متر عن سطح البحر وبين هذا الجبل والقرية يقع وادى الرميلة " الذى يقع فيه نبع " العين " والى الجنوب يقع " وادى أبى سعيد " ويحده من جهة القرية جبل " أبى سعيد " وهو مرتفع أقل من ٣٠٠ متر كثير الأشجار وعر السطح .

وادى

هذه ملامح الصورة الجغرافيه للقرية التى ولد فيها ونشأ بها الشيخ يوسف النبهانى .

أما أثريا فيقول الأستاذ الدباغ نقلا عن الوقائع الفلسطينية " أجزم " موقع أثرى محتوياته " تل من الأنقاض تحت القرية الحديثة (١) وقد جرى مسح أثرى للقرية للتنقيب عن الآثار قام بها اللفتانت كوندر واللفتانت كتشز ، وجاء فى تقريرهما وصف شامل لكهف فيه عدة قبور ، كما أشار الى مسح آخر أجراه الأباشى أرمسترنج لمواقع أثريه أخرى فى القريه (٢) وقد ورد وصف آخر لمواقع " أجزم " الاثريه ضمن وصف جغرافى أثرى لمنطقة الكرمل وعكة مزج الناحية الجغرافية والأثرية مع الحوادث التاريخية المتعاقبة باختصار (٣)

؟

؟

---

(١) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩ .

2) The survey of western palestine Vol. II P.53.

3) Tent work in palestine P.88.

ترجمه الدكتور فاضل زيدان

## نشـــــــأتــه :

ترجم الشيخ يوسف النبهاني نفسه فى كتابه " هادى المريد الى طرق الأسانيد " فقال " قد رأيت أن أذكر هنا باختصار ترجمتى اقتداءا ببعض الأثبات كالشيخ عبد الباقى الحنبلى فأقول : أنا الفقير يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهانى (١)

ثم استرسل فى ذكر طلبه للعلم وأسفاره ووظائفه ، وكتابه : هادى المريد الى طرق الاسانيد " عبارة عن ثبت جامع لكل ما حصل عليه من اجازات وممن يتصل سنده بسندهم مما سنوضحه فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد سلك فى ذلك مسلك الفلاسفة والعلماء والأدباء والمتصوفة فهو فى كتابه سعادة الدارين " ـ بشكل خاص وفى سائر كتبه بشكل عام ـ كثيرا ما يذكر بعض الفوائد التى حدثت له فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فترجمته لنفسه هى خليط من جميع مناهج الترجمة القديمة واذا كان النقاد المحدثون يعيبون على هذه المناهج أن اصحابها قد تحاشوا ذكر الطفولة التى تعين على فهم الشخصية المترجمة حيث يعدونها أى ـ الطفولة ـ الأصل الذى تتخذه الشخصية أساسها فى التكوين (٢) .

أما الطفولة فى نظر علماء السلف فهى ملآى باللهو وهم لا يرغبون أن يعرف عنهم الا ما يقربهم الى الله ولا يلتفتون الى ما قد ينشأ عنهم من بحوث لدراسة شخصياتهم وقد أوصى الشيخ يوسف النبهانى بأن لا يروى من شعره الا ما قاله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن حياته لم يتخللها فترات لهو ومجون لكنه كان يرغب فى طمس معالمها . وفى كتابه أسباب التأليف " يحدثنا عن ضياع رسائل كثيرة من العلماء يطلبون فيها الاجازة حيث يقول " ... وقد ورد لى أيضا فى هذا المعنى مكاتيب

---

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ٥٦
(٢) الترجمة الشخصيه الدكتور شوقى ضيف ص ٣٧ ـ ٤٤

كثيرة من العلماء الأشراف وغير الأشراف سوى من ذكرتهم ، وكثير منهم طلبوا الاجازه فكتبتها لهم فى آخر شيئى " هادى المريد " وأرسلتها اليهم مع البريد ، ولم أحفظ مكاتيبهم لأنى أجبتهم عنها ولم يكن فى نيتى اثبات هذه المكاتيب فى مؤلف كما فعلته الآن ولو خطر لى هذا أولا لحفظت جميع المكاتيب التى وردت لى فى هذا الشأن ولكن الخيرة فيما اختار الله [1] .

وهذا الامام الغزالى يقول " لقد قضينا عمرنا فى البطالات " فقيل له أو لم تكن بذلك حجة الاسلام ؟ " فقال " دعونا من هذه الترهات ، أما علمتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول " ان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر .

ومع أن الشيخ يوسف النبهانى يعد من المحدثين الا أنه كان بعلمه وتفكيره يرجع بنا الى القرنين الخامس والسادس الهجريين فهو نظرا لصوفيته وحرصه على عدم ابراز شخصيته ومآثره والتكلم عن أناه لذلك نرى أن ترجمته لنفسه ليست وافيه كما هى تراجم العلماء المحدثين من أمثال الدكتور طه حسين فى كتابه " الايام " والاستاذ محمد كرد على فى كتابه " خطط الشام " الجزء السادس والأستاذ أحمد أمين فى كتابه " حياتى " وما جاء فى كتاب " هادى المريد الى طرق الأسانيد " من ترجمة اتخذ أساسا بنى عليه كل من ترجم له دون جهد فى البحث عن أخبارها التى بثها متفرقة فى كتبه فقد وردت ترجمته فى كتاب الاعلام " للأستاذ الزركلى وفى كتاب علماؤنا للشيخ كامل الداعوق ( جـ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١ )

وفى كتاب " حليه البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر " للشيخ عبد الرازق البيطار ( جـ٢ ص ١١٤ ) وفى كتاب " اعلام الادب والفن " للأستاذ أدهم الجندى ( جـ ٢ ص ٣٤٢ ) وفى " تاريخ الشعر العربى الحديث : للأستاذ احمد قبش ص ٣٧ وفى " معجم الشيوخ " للشيخ عبد الحفيظ الفاسى ص ١٦٢ وفى " مجلة

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٧٧

الأديب " البيروتية فى مقال كتبه الأستاذ محمود عويدات ( البدوى الملثم ) عدد يناير ١٩٦٥م . وفى كتاب " بلادنا فلسطين " للأستاذ مصطفى مراد الدباغ ج ٧ ق ٢ ص٦٥٧ وفى كتاب " الشعر الحديث فى فلسطين والاردن " للدكتور ناصر الدين الأسد ص١٨ كما وردت ترجمته فى " معجم سركيس " " ومعجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحاله .

وقد ذكر الأستاذ عويدات فى مقالة مراجع لترجمة الشيخ يوسف النبهانى منها " الدرر " " وعقود الجوهر " فلم أعثر عليه وفى الموسوعة العربية الميسرة أيضا .

ويبدو لى أن من ترجم للشيخ يوسف النبهانى قد اعتمد على ما ذكره صاحب معجم الشيوخ حيث انهم وقعوا فى الخطأ نفسه الذى وقع فيه حيث ذكر أن النبهانى قد توفى ودفن فى بلده " أجزم " مع أن قبره يزار فى مقبره " الباشورة " فى بيروت وقد زرته أما الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب حلية البشر فلم يذكر وفاته لانه كان حيا يرزق ولما راجعت الاستاذ خير الدين الزركلى صاحب " الاعلام "(١) قال " أنا نقلت من صاحب معجم الشيوخ وكذلك قال الأستاذ مصطفى مراد الدباغ (٢) ووعدا بتصحيح هذا الخطأ فى الطبعة القادمة لكتابيهما :

قبيلته :

ينسب الشيخ يوسف النبهانى الى قبيلته " نبهان " ويقول الاستاذ مصطفى مراد الدباغ ـ وهو عالم بالانساب " والنبهانى نسبة الى عشيرة النباهين من قبيلة الحناجرة . وبنو نبهان بطن من " بنى سماك من لخم (٣) وقد أورد الاستاذ على نصوح الطاهر اربعة أنساب لبنى نبهان وهى :

---

(١) حيث زرته فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٤/١١/١٢م .
(٢) زرته فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٤/١٠/١٧م .
(٣) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٧

١ — نبهان — بنو سماك / لخم .

٢ — النبهان — آل الفضل / ربيعة طيء .

٣ — آل نبهان — كثير بطنان / بنولام / جديلة .

٤ — آل زميل / سنجاره / شمره (١) .

وقد ذكر بنو نبهان فى كتب الأنساب منها كتاب قلب جزيره العرب " ص ١٦١ — ١٦٢ وفى العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٩٩ وفى كتاب الاشتقاق ص ٣٨٠ وفى كتاب " عشائر العراق جـ ١ ص ١٨٧ وفى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٤٢٩ وفى جمهرة الأنساب ص ٤٤٦ وقد ذكر فى مراجع الأنساب المختلفه اسم " نبهان " جاء فيها " فى نسب طيء بطنان الأول يرجع الى كهلان وهو طيء بن اد د واسمه جلهمه بن اد د وطيء بطنان جديلة والغوث فمن بطون جديلة من طيء : الثعالب وبنو غيم . من بطون الغوث فن طيء ثهل ويحتر قبيلة الشاعر البحترى — وجرم ونبهان وبولان وغيرهم غير بولان عك ... ومن بطون ثغل من الغوث : الجواد حاتم بن عبد الله المعروف بحاتم طيء ومن بطون نبهان بن الغوث : زيد الخيل بن مهلهل وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم لما وفد عليه " يازيد كل ما وصف لى رأيته دون ما وصف لى الا أنت فانى وجدتك فوق ما وصفت لى وسماه زيد الخير بالراء المهملة ومن نبهان ايضا أبو تمام الشاعر (٢).

وعلى هذا تكون شاعرية الشيخ يوسف النبهانى أصيلة فهو من قبيلة أو من صليبة كان منها فحلان من فحول الشعراء العرب هما أبو تمام البحترى . وقد أورد الأستاذ عارف العارف فى كتابه " تاريخ بئر السبع وقبائلها " قصيدة قالها سويلم ابو عرقوب يصف حربا وقعت بين قبيلة التياها وقبيلة الترابين

قالها سويلم أبو عرقوب يصف

---

(١) جوامع النسب فى قبائل العرب الاستاذ على نصوح الطاهر جـ ٢ ص ٦٩٧ مخطوط والموءلف عمل وزير للزراعه فى الاردن سابقا .

(٢) طرف الاصحاب فى معرفه الانساب ص ٣٦ — ٣٧ .

ابن نبهان مع قبيلة التياها مع أن قومه الحناجرة وقفوا مع الترابين . يقول سويلم أبو عرقوب شاعر الترابين .

البارحه قلبى شكالى وخايف ...... فى حربه كفت نجوع صحابه

فى بالهـا تفرق عزيز الولايف ...... وشيى رايكو والشمور عارف مصابه

اشوف ابن نبهان حنجورى عالبوق ناوى ...... جمعوا عقاب الليل يمشى عقباوى

ديب عدا على المل ل واخطا مصابه ...... اولا ابن حماد فوق السلايل

حناجره فوق المراويح ان جو ...... بواريد هم مثل الرواعيد فى الجو(١)

الى آخر القصيدة التى يصرح فيها أن ابن نبهان حنجورى . كما أورد الاستاذ مصطفى مراد الدباغ . وقد وقعت فى يدى أوراق يحتفظ بها الاستاذ محمد خير النبهانى(٢) جاء فيها ذكر النباهنه الذين يعيشون فى غزة الآن وأن جدهم هو نبهان النباهين . وقد كان شيخ قبيلة الحناجرة التى تتألف من عدة قبائل أحداها قبيلة النباهين (٣) ثم ذكر أحد الفرسان المشهورين من النباهنه وهو سالم بن سالمان بن نبهان النبهانى (٤) حيث ناصر قبيلة التياها ضد الترابين سنه ١٨٧٤ فنفاه روءوف باشا التركى متصرف القدس ومكث فى سجن القدس سبع سنوات ثم يستمر كاتب الأوراق فى ذكر تاريخ النباهين واشتراكهم مع الفدائيين المصريين فى حرب فلسطين سنه ١٩٤٨ وأخيرا ذكر وجود صلة قديمة بين عائلة النبهانى فى أجزم وغزة حيث يقول " .. وقد كانت العلاقات متواصلة ومستمرة الى أيام الجد ابراهيم بن سالم بن سلمان بن نبهان النبهانى منذ حوالى خمسين سنه تقريبا يحدثنا

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها ١٨٦ — ١٨٧ .

(٢) هو ابن عم الشيخ يوسف النبهانى اجتمعت به فى دمشق فى ١٠/١٠/١٩٧٤م .

(٣) يتفق الى حد بعيد مع ما ذكره الاستاذ عارف العارف فى كتابه تاريخ بئر السبع وقبائلها ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(٤) لعله المعنى فى القصيده التى قالها الشاعر سويلم السابقه .

والدى ووالدتى أن الجد أبراهيم كان على علاقة وثيقه مع نباهنة أجزم بحكم القرابة فقد كان يركب حصانه قاطعا المسافات البعيدة فى سبيل زيارة أقاربه مصطحبا فى أغلب الأوقات معه محمود بن سلامة بن نبهان النبهانى كما أن بعض النباهنه من أجزم كانوا يبادلونه أيضا الزيارات (١)

لم أجد فى كتب الشيخ يوسف النبهانى أنه أشار الى أى صلة بين نبهانيى أجزم ونبهانيى بئر السبع كما أن جدوده الذين ذكرهم فى ترجمته لا يشتركون مع أى جد من جدود صاحب المخطوط مع أن هذه الأوراق يحتفظ ويعترف بها الاستاذ محمد خير النبهانى ابن عم الشيخ يوسف النبهانى وقد استشرت الاستاذ مصطفى مراد الدباغ وهو عالم بالأنساب — فى هذا الاشكال فقال " اذا كان أحد الطرفين يعترف بالآخر فهو صادق لأن الناس أمناء على أنسابهم وأما كون الشيخ يوسف النبهانى لم يذكر شيىء من هذا القبيل فذلك لأنه بحكم شخصيته الدينيه المتشدده لم يكن ممن تعنيه هذه المسائل .

أقول فعلا ومما يبرهن على صحه الملاحظة الاخيره ان الاستاذ أمين النبهانى (٢) وهو أخ الاستاذ محمد خير النبهانى قال : سألت الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله عن صحه ما يقال من أن آل النبهانى من الأشراف فانتهرنى وقال ما معناه " أياك ان أسمعها منك مرة ثانيه " وأما الذين ترجموا للشيخ يوسف النبهانى فقد ذكروا أنه من قبيلة " بنى نبهان " من عرب بالبادية استوطنوا قرية أجزم منذ اقدم الازمان " ولم يذكر أى واحد منهم كيف توصل الى هذا الربط .

---

(١) مخطوط بعنوان " النبهاهنه فى منطقة غزة " أعده على بن سالم بن ابراهيم بن سالم بن سلمان بن نبهان النبهانى غزه فى ١٩٦٢/٨/٤م .

(٢) كان ضابطا فى الشرطة الفلسطينيه وهو الان يسكن فى دمشق قابلته فى ١٩٧٤/٨/١١م .

## أسرته :

والده : والده الشيخ أسماعيل بن يوسف النبهاني ذكره الشيخ يوسف في ترجمته فقال " .... وقرأت القرآن على سيدى ووالدى الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ اسماعيل النبهاني وهو الآن فى عشر الثمانين كامل الحواس قوى البنية جيد الصحة فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن فى اكثر الأوقات بحيث أنه يختم فى كل أسبوع ثلاث ختمات ثم أرسلنى بعد ان حفظنى بعض المتون وسنى سبع عشرة سنه الى مصر لطلب العلم فى الجامع الازهر فدخلته فى غرة محرم سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين وأقمت به نحو سبع سنوات وبعد أن حصلت على ما قدره الله لى من العلوم النقلية والعقليه وجعت بأمر والدى الى الوطن فى شعبان سنة ١٢٨٩ هـ .(١)

ويبدو أن الشيخ اسماعيل النبهاني كان معروفا بالعلم الذى يجيده علماء الأزهر لورود اسمه بلفظ " الشيخ اسماعيل النبهاني " كما فى اجازة الشيخ ابراهيم السقا للشيخ يوسف النبهاني التى جاء فيها " فلما كان للاستاد مزيه عاليه وخصوصية لهذه الآمه غالية دون الامم الخالية اعتنى بطلبه الأئمه النبلاء أصحاب النظر اذ الدعى غير منسوب والقصى غير محسوب وسليم البصيرة غير أعشى الفكر ولما كان منهم الامام الفاضل والهمام الكامل الجهبذ الأبر اللوذعى الأريب والالمعى الاديب ولدنا الشيخ يوسف ابن الشيخ اسماعيل النبهاني أيده الله بالمعارف ..... الخ .(٢)

---

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد للشيخ يوسف النبهاني ص ٥٦

(٢) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ٣ .

ويبدو لى أن الشيخ اسماعيل النبهانى كان أزهريا بالاضافة الى ما قالـــه الدكتور فاضل زيدان ، ذلك أن الشيخ يوسف يصرح ان والده أقراه القـــرآن وحفظه بعض المتون ولم يكن يستطيع هذا لو لم يكن قد حفظ هذه المتون وفهمهـــا ولا يعقل أن يكون اطلاعا شخصياً لعدم شيوع العلم فى عصره ولقلة الكتب ولسهولـــة التعلـــيم فـــى الأزهـــر .

وقد قرأ والدى الحاج محمد على منصور القرآن على الشيخ اسماعيل النبهانى فـــى مسجد اجزم ويذكر والدى انه بينما يقرأ والشيخ اسماعيل يسمع له كان الشيخ صالـــح الخديش يتوضأ فصحح لوالدى قراءه آية فصاح به الشيخ اسماعيل وقال " ياشـــيخ صالح احفظ أدبك مش عارف مين يسمع له الولد ما غلطش أعد قرأتها ياولد فأعـــاد والدى القراءه الاولى نفسها فاعتذر الشيخ صالح الخديش وقال سامحنى ياشـــيخ اسماعيل والله ما كنت احفظها الا كما رددتـــه .

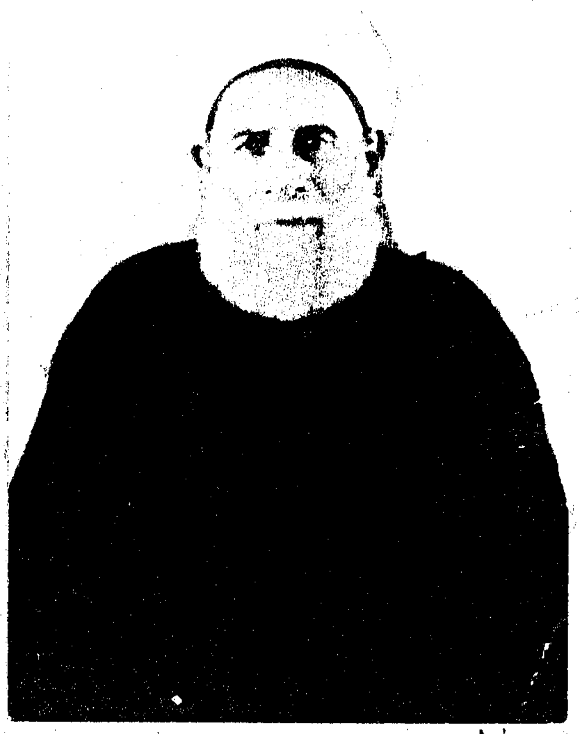
ويذكر الوالد ان الشيخ اسماعيل كانت عليه الهيبة والوقار وجميع أهل اجـــزم يجلونه ويوقرونه وكانت كلمته مسموعة حتى عند شيوخ البلد من آل ماضى حيث كانـــت مقاليد الامور الرسميه بايديهم وقتهـــا .

يقول الوالد ان أسرة النبهانى كانت معروفه بأنها أسرة علم ودين وكانوا قلـــة فى العدد بالنسبه للأســر الاخرى، ويؤيد قوله الوالد ما ذكره الدكتور فاضـــل زيدان من أن خمسة من أبنائها كانـوا ازهريين مع قلة عددهـــم .

وقد أشار الشيخ يوسف النبهانى الى ذكر والده فقال : " وبعد أن حصـــلت ما قدره الله لى من العلوم النقليه والعقليه رجعت بأمر والدى الى الوطـن[1] "

---

(1) هادى المريـــد الى طرق الاســـانيد ص٥٦ .



الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله
ولد في إجزم عام ١٨٤٩ وتوفي في بيروت عام ١٩٣٢



احمد خير الدين النبهاني رحمه الله
ولد في بيروت عام ١٩٢١ وتوفي فيها عام ١٩٧١



محمد نور الدين النبهاني
ولد في بيروت عام ١٩٢٥ وهو حي يرزق

ولعل والد الشيخ يوسف قد أخذ بنصيحة الامام الغزالى للمتعلمين لان العلم عنده وسيلة لغاية هى التمكن من فهم القرآن والحديث والتزود ليوم الآخرة بالعمل الصالح فهو يهيب بطلاب العلم ألا تلهيهم الوسيلة عن الغاية فكانت سبع سنين كافية لطلب العلم لتحقيق الغاية التى أرادها الامام الغزالى(١)

ومن هذا يتضح لنا أن الشيخ يوسف النبهانى قد رضع التدين والعمل للآخرة من محيطه الخاص الذى ولد فيه ونشأ ومن أسرته المفطورة على التدين ومن والده العالم التقى الذى أنشأه نشأة دينية ظهرت آثارها على ولده فى مسيرة حياته الطويلة .

## (( زوجته وأولاده ))

زوجته هى السيدة صفية بنت محمد بك السجمان من وجوه بيروت وذوى البيوت القديمة الكريمة وفيها يقول الشيخ يوسف " وهى من الصالحات الصادقات فانى ما عهدت عليها بكذبة قط "(٢) .

## (( أولاده ))

رزق الله الشيخ يوسف النبهانى ولدا واحدا وثلاث بنات أما ولده فهو محمد شمس الدين وكنيته ابو المكارم وأما بناته فهن تقية وعائشه وفاطمة وقد ذكر الشيخ يوسف ظروف ولادة ولده محمد فقال " ... بعد كتابتى ما كتبته من مناقب الاستاذ محمد البكرى المذكور رضى الله عنه رزقنى الله وله الحمد والمنة فى مدينة بيروت غلاما من زوجتى الصالحة التقية النقية صفية بنت الماجد المقدام المرحوم

---

(١) راجع ما كتبه الامام الغزالى تحت عنوان " بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة " أحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ ـ ٣٧ ونفس المصدر ج ١ ص ١٣ ـ ١٥ وما كتبه فى " المنقذ من الضلال " الذى ضمنه خلاصة تجاربه فى العلوم وفى رسالته " ايها الولد " يبدو اكثر وضوحا لاهدافه ومراميه .

(٢) افضل الصلوات على سيد السادات ص ٤٧ .

محمد بك السجمان من وجوه مدينة بيروت وذوى البيوت القديمة الكريمه فيهما فسميته " محمدا ولقبته شمس الدين وكنيته أبا المكارم تبركا باسم النبى صلى الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلى واسم سيدى محمد البكرى المذكور ولقبه وكنيته رضى الله عنه وكانت ولادة ولدى المذكور فى نصف الساعة الثالثة من ليلة السبت الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة من العام الثلاثمائة والف وحمل أمه اربعة عشر شهرا وسبعة عشر يوما فقد وقع الحمل يوم الثلاثاء من شهر شوال من العام الماضى وقد عرفنا بحمله علامات وقرائن قوية دلتنا على وقوع الحمل فى ذلك اليوم بيقين بحيث لم يبق عندنا فى ذلك شك وبعد الحمل بنحو أربعة أشهر وهو وقت دخول الروح فيه كما ثبت فى الحديث رأت أمه ــ وهى من الصالحات الصادقات فانى ما عهدت عليها كذبة قسط ــ رؤيا حق ان شاء الله وهى أنها رأت فى منامها أن شمسا طلعت من الشمس مشرقة وعلت فى السماء مقدار علوها وقت الضحى ثم نزلت وجاءت ودخلت فيها فتحققت فى المنام أنها حملت وأخبرتنى بهذه الرؤيا المباركة فى صباح تلك الليلة فسررت جدا وكنت عازما اذا ما رزقنى الله ولدا أن أسميه محمدا والقبه ناصر الدين لانه لقب أحد أجدادى فلما قصت على هذه الرؤيا صممت على تلقيبه شمس الدين وأخبرت بذلك كثيرا من أصدقائى قبل الولادة وبعد اكمال مدة التسعة الاشهر التى هى غالب مدة الحمل ظهرت علامات الولادة ثم ذهبت وصارت تذهب وتجىء حتى عجبنا من هذا الحال ولم يزل الامر كذلك الى أن ولد فى الوقت المذكور .

ومما يدل على أن هذا المولود سيكون من الصالحين الاخيار انى حينما قربت من والدته فى المدة التى حملت به فيها كنت أزهد ما كنت فى الدنيا وأرغب ما كنت فى الآخرة بسبب مرض شديد قصر أملى وضاعف عملى والحمد لله على زواله وقد نص القطب الكبير عبد الوهاب الشعرانى فى كتبه على أن المولود يكون على الحالة التى عليها والده حين نزول النطفة التى تخلق منها واذ قد وافق وفقه الله سيدى محمد البكرى بالاسم والكنية واللقب وشهر الولادة ذى الحجه أسأل الله الكريم الوهاب

أن يوفقه ايضا فى العلم والعمل والمعارف اللدنية والقبول التام عند الله وعند الرسول[١].

تزوج محمد شمس الدين فاطمه بنت الشيخ محمد صادق الجبالى التونسى الأصل وهو من أسرة الباهى الادغم رئيس وزراء تونس سابقا .

وتخرج من مدرسة الحقوق فى تركيا واشتغل مدعيا عاما فى بعلبك ثم قاضيا فى طرابلس ثم ترك العمل واشتغل محاميا فى بيروت[٢].

وتوفى محمد شمس الدين فى بيروت فى ١٦ آيار ١٩٣٦ وقبره خلف قبر الشيخ يوسف النبهانى من الجهة الشرقية وفى القبر نفسه دفن محمد صادق الجبالى زوج ابنة الشيخ يوسف النبهانى المسماة عائشة ، دفن مع شمس الدين فى القبر نفسه فى ٦ شباط ١٩٦٩ والقبر موجود فى مقبرة الباشورا فى بيروت .

وقد خلف محمد شمس الدين أربعة أولاد وبنتين أما الاولاد فهم :

١ – احمد خير الدين الذى ولد عام ١٩٢١ وقد حصل على الثانوية النهائية عام ١٩٤٤ من كلية التربية والتعليم فى طرابلس الشام ، واشتغل مدير المخازن فى شركة نفط العراق – مصفاة طرابلس – ثم تزوج وله بنت وولدان هما بلال وعمر وتوفى ١٩٧١م .

٢ – محمد نور الدين الذى ولد سنه ١٩٢٥ وحصل على الشهادة الثانوية النهائية عام ١٩٤٦ وعمل رئيس قسم فنى فى الاذاعه اللبنانية وتزوج وله ثلاث بنات وولد واحد وهو حى يرزق .

---

(١) افضل الصلوات على سيد السادات ص ١٤٧ – ١٤٨

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهانى – الحفيد – فى بيروت ١٩٧٤/١٢/١م .

٣ — محمد صلاح الدين الذى ولد سنه ١٩٢٨ وقد حصل على الشهادة الثانوية النهائية عام ١٩٤٨ وعمل رئيس قسم فى شركة نفط العراق ( مصفاة طرابلس) وهو متزوج وله ثلاثة اولاد هم فادى ونبيل وسامى وهو حى يرزق •

٤ — يوسف الذى ولد سنه ١٩٣٣ وقد حصل على ليسانس هندسه فى الطيران سنه ١٩٦٠ من ولاية تكساس فى أمريكة وعلى ليسانس هندسة فى الميكانيكة فى السنه نفسها من ولاية تكساس ايضا وهو يعمل رئيس قسم فنى فى المديرية العامة للطيران المدنى فى بيروت ، ومتزوج وله بنت واحدة وهو حى يرزق (١) •

أما بنات الشيخ يوسف البنهانى فهن تقية وعائشة وفاطمة :

أما تقية فقد تزوجت الشيخ ابراهيم النبهانى وأنجبت منه الشيخ تقى الدين النبهانى رئيس حزب التحرير الاسلامى وقد حدثنى الاستاذ امين النبهانى أبو نبهان بأن الشيخ يوسف أرسل تقى الدين الى مصر للدراسة فى الازهر وكان ينفق عليه من جيبه الخاص ولكن الشيخ تقى الدين لم تعجبه الدراسة فى الازهر وتحول الى دار العلوم فغضب الشيخ يوسف كثيرا وكان يسميه شقى الدين بدل من تقى الدين (٢) •

اما عائشه فقد تزوجها الشيخ محمد صادق الجبالى التونسي فى نصف شعبان ١٣٢٦ وقد وصفه الشيخ يوسف بقوله " ••• الذى صاهرته فحمدت مصاهرته من كل الوجوه ووجدته على جانب عظيم من الفضل والتقوى ومكارم الاخلاق (٣) •

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من الاستاذ يوسف اثناء مقابلتى له فى بيروت بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٧٤م •

(٢) فى مقابلة مع الاستاذ امين النبهانى فى دمشق فى ١١/١٠/١٩٧٤م •

(٣) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٥

وكثيرا ما كان الشيخ يوسف يذكر ابنته فاطمه ورؤاها للرسول صلى الله عليه وسلم (١)

أما فاطمه فقد تزوجها الشيخ عبد الواحد الخطيب نقيب أشراف حيفا ، وله منهما ، الشيخ يونس الخطيب والشيخ محمد بدر الدين الخطيب .

( وفاته )

وقد توفي رحمه الله في العاشره أو الحادي عشر من رمضان المبارك سنه ١٣٥٠ وبذلك يكون قد عاش أربعا وثمانين سنه حيث ولد عام ١٢٦٦ هـ ، وقد حدثني الاستاذ يوسف النبهاني — الحفيد — عن وفاته فقال " كانت صحته جيدة ثم مرض بالنزلة الصدرية وتوفي في خلال ٢٤ ساعة وفي أثناء مرضه بعث الى أبي بلال خير الدين وهو حفيده ، وطلب منه أن ينزع حذاءه — أي الشيخ يوسف — ويغسل يديه ثم لبس لباسه الابيض ونام ففاضت روحه الى خالقه وكان آخر ما قاله :

" اللهم لا تفتني ولا تفتن أحدا من ذريتي " (٢) وحدثني فضيلة الشيخ مختار العلايلي أمين الفتوى في لبنان قال " وقبل أن ينتقل الشيخ يوسف النبهاني الى الرفيق الاعلى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ما معناه : " أخبر الشيخ مصطفى نجا (٣) أني مشتاق اليكما ولما أخبر الشيخ يوسف الشيخ مصطفى نجا بذلك انهمر بالبكاء وهما متعانقان لمدة طويلة وفلا توفي الشيخ مصطفى نجا

وخلال

---

(١) جواهر البحار جـ ٤ ص ٣٥٥

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهاني — الحفيد — في ١٩٧٤/١٢/١م .

(٣) هو مصطفى بن محي الدين بن مصطفى بن محمد عبد القادر نجا مفتي بيروت سنه ١٣٢٧ الى ان توفي له عدة مؤلفات في التربيه والتصرف والتفسير وديوان شعر راجع ترجمته في الاعلام جـ٨ ص ١٤٧ — ١٤٨ . حدثني الاستاذ المؤرخ محمد جميل بيهم في بيته في ١٩٧٥/١/١٣ في بيروت قال " .. ان جمال باشا في مذكراته قد اراد ان يستميل بعض الطوائف اليه فارسل الى بعض البطاركة مال وللشيخ المفتي مصطفى نجا ولما وصلت اليه المفتي ردها وذكر منها ان مولانا السلطان اعلم بالفقراء منا قال جمال باشا وكنت اتوقع هذا من المفتي "

الى

فى السنة نفسها التى توفى فيها الشيخ يوسف النبهانى رحمهما الله [1] ، وقد وصف لى فضيلة الشيخ مختار العلايلى جنازة الشيخ يوسف النبهانى كما رآها فكتبت ملاحظات تساعدنى على تذكر ما قال ولما عدت الى القاهره وجدت الملاحظات غير كافيه فبعثت رسالة للشيخ محمد نمر الخطيب رئيس الرابطة الاسلاميه فى بيروت — حيث كان قد حضر زيارتى للشيخ العلايلى — أرجوه اعادة سؤال الشيخ مختار عما حدثنا به عن تجهيز جنازة الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فبعث لى رسالة مؤرخه فى ٢١ ربيع الثانى ١٢٩٥ الموافق ٢١/٤/١٩٧٥ هذا نصها :

" توفى الشيخ يوسف النبهانى فى ١٠ أو ١١ رمضان المبارك ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢م مات قبل الشيخ مصطفى نجا الذى توفى فى ٢٧ رمضان من العام المذكور وهو الذى هيأ القبر وأعد له ترتيب الجنازة بالاشتراك مع الشيخ توفيق الهبرى — وقد بدا كأنه شاب عند تجهيز الجنازة والاشراف عليها والشيخ صالح كفتارو امام مسجد قرية بابيلاء وهو عم الشيخ أحمد كفتارو [2] وقد كان خليفة للشيخ عيسى الكردى الذى كان شافعى زمانه وكان مرجع أهل بيروت وكان الشيخ صالح يأتى لبيروت يمطى الطريق ويبث العلم وكان صاحب همة عالية .

دخل المسجد العمرى مع الشيخ مختار امام مسجد النبى يحيى ، وبينما كانا جالسين اذ أتى رجل يسأل عن الشيخ يوسف النبهانى فأجيب بأنه توفى فقال سبحان الله لقد أتيت الى هنا لرؤيا رأيتها وخلاصتها أنى رأيت نفسى أدخلت الجنه ورأيت أنه وزعت علينا باقات زهور فسألت عن السبب فقيل أنه سيأتى الشيخ يوسف النبهانى .

---

(١) مقابلة مع الشيخ مختار العلايلى امين الفتوى فى بيروت زرته فى ٨ أو ١٠/١٢/١٩٧٤م .

(٢) مفتى سوريا سابقا .

وفى الجنازة حضر جميع مشايخ بيروت ومنهم الشيخ مصطفى نجا الذى صلى على الجنازة وتوفيق الهبرى وصباح شتيلو ومحمود محرم وهاشم الخليلى الشريف ومختار العلايلى ، وقد مشوا خلف الجنازة ومشى فى آخرها الشيخ الكردى والحاج حمدى الكوى .

وقد أخبر الشيخ الكردى أن الانوار كانت متصلة من السماء للأرض اكراما للشيخ النبهانى ، ولما وصلنا للحفرة وجدنا أحمد فليفل وهو رجل صالح محب للرسول عليه السلام ومحب للنبهانى لمحبته للرسول وكان يجمع المحبين يصلون على الرسول ، صلى الله عليه وسلم وهنا أخذت الحاج الكوى سنة من النوم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وعمر يستقبلون النبهانى ويضعونه فى القبر . أ . هـ .

وفى مقابلة لى مع فضيلة الشيخ عبد الله العلايلى – نابغة لبنان وحجته فى العلم وقد كان غائبا وقت تشييع الجنازة قال " .. وقد حضر تشييع الجنازة رهط من العلماء والصالحين منهم الشيخ صالح الكردى الذى كانت له همة عالية وقدم واضحة واحوال مع الله وقد أخبر بعض المشيعين أنه رأى الانوار متجهة من السماء الى الارض فى أثناء الجنازة .

وقد قام بتنظيم الجنازة خير تنظيم الشيخ توفيق الهبرى فوضع العلماء فى المقدمة والوجهاء من ورائهم ووضع بعد ذلك كل طبقة فى مكانها كما أتى بفرق الكشافة وغيرها وكان احتفالا عظيما لم ير الناس مثله وفى اثناء الدفن أخذ جماعته المحبين من أهل الصلاح والتقوى يتلون القرآن الكريم ويرفعون أصواتهم بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تأخر الدفن بسبب أعمال الحفر التى لم تتم بسرعه وفى هذه الاثناء كان رجل صالح من المشيعين قد أخذته سنة من النوم فشاهد فيما شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بعض الصحابة كأبى بكر وعمر يستقبلون الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله وهذا يدل أكبر دلالة على مكانة الرجل عند الله تعالى [1] .

---

(١) مقابلة مع فضيلة الشيخ عبدالله العلايلى فى بيته فى ٥ / ١ / ١٩٧٥م .

ودفن رحمه الله فى مقبرة الباشورا وقبره يزار وقد أخبرنى حارس المقبرة أنه يأتى أناس من مختلف الجنسيات لزيارته وقد وجد على نصبية القبر الابيات الاتيه :

هذا ضريح العالم الربانى ... حسان أحمد يوسف البنهانى

فى دينه والذب عنه ومدحه ... ستون تأليفا كعقد جمان

يازائرا فاقرأ له ما شئت من ... سبع مثان ثم من قرآن

وادعو الاله بما تشاء لعله ... لك يستجيب بوابل الاحسان

لما دعاه الله فى رضانه ... لباه يذكره بخير لسان

ولسان قدرته يقول مؤرخا ... للخلد أرفع يوسف النبهانى

سنه ١٣٥٠ ٦٩٤ ٣٥١ ١٥٦ ١٤٩

تم بناء هذا الضريح خادم الطريقة الرشيدية الدندراوية فى بيروت عبد الله اليمنى قيم جامع زقاق البلاط غفر الله له ولمن دعا له ١٣٧٤ هـ.(١)

اتضح لى خلال الوصف الحى لجنازة الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله الذى سمعته من الشيخ مختار العلايلى والشيخ عبد الله العلايلى أن وقع الوفاه كان شديدا ومؤلما فى قلوب المسلمين وعلى مختلف الاوساط ولم أسمع أحدا ممن يعرف الشيخ يوسف النبهانى الا أثنى عليه موضحا مكانته السياسية والروحية فى عصره ولكننى لم أجد قصائد شعرية كثيره فى رثائه وكأن محبيه لم يشهروه أرضاء له فيما ارتضاه لنفسه أثناء حياته من البعد عن الشهرة والظهور وممن رثاه الشيخ على داود رحمه الله قال فى مرثيه طويله :

---

(١) وقد ذهبت الى جامع زقاق البلاط فى بيروت وهو قريب من منطقة الصنائع وسألت عن الشيخ عبد الله اليمنى فاخبرنى امام المسجد انه توفى فى سنه ١٩٧٢ م. رحمه الله

هل قضى نحبه حليف المعانى ... صفوة الناس من أولى العرفان

قدوة العاملين فى وقته بل ... خير حبر وعالم رياضى

هل مضى خير عالم قد علمنا ... محبا للمصطفى العدنان

ناشر الحق ناصر الدين والسنّ ... ذو الفضل يوسف النبهانى

رضى الله عنه كان هماما ... بل اماما علا على الأقران

رضى الله عنه كان ذكيا ... المعيا وآية فى البيان

كان حرا بين الانام أبيا ... ليس ترضيه ذلة الانسان

كان فى ذلة المساكين لله ... وبين الورى كذى سلطان

والى كم أقول كان لشىء ... ليس يحصى بل ليس فى الامكان

الى ان قال :

أيها المسلمون سيروا وجدوا ... واطلبوا العلم عن أولى العرفان

حب طه أساس كل نجاح ... فأحبوه تظفروا بالامانى

لكن الحب فرع معرفة الحب ... اذن فاعرفوا تنالوا الامانى

واطلبوها بالصدق تسرع اليكم ... من ثنايا صحائف النبهانى

وثقوا أنها شواهد حق ... وهى نور من درة الأكوان

كل ما تحتويه لا ريب فيه ... انه الحق واضح البرهان

ثم فيها أمضى سلاح اذا ما ... شئتموا قمع زمرة الشيطان

فانصروها ينصركم الله حقا ... وانشروها فى العالم الانسانى

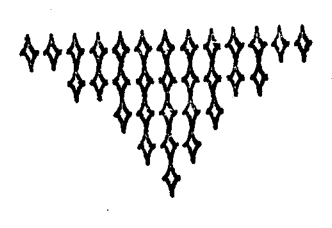
انشروها كى تربحوا كل خير ... وتفوزا على أولى البهتان (١)

ولا شك أن الضعف الفنى ظاهر عليها بعض الشىء ولكننى لم أجد غيرها فى رثاء الشيخ يوسف النبهانى .

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ يوسف النبهانى تحقيق وتعليق الشيخ محمد مصطفى ابو العلا الشهير بحامد ص ٤

وسألت الأستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - هل ترك الشيخ يوسف وصية فقال " لم يترك وراءه مالا حتى يوصى منه "(١) واخبرني الدكتور أحسان عباس " أن المساجد في فلسطين قد أذنت في غير وقت الصلاة للاخبار بوفاة الشيخ يوسف النبهاني (٢) رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .



---

(١) مقابلة للاستاذ يوسف النبهاني - الحفيد . ؟

(٢) الدكتور احسان عباس رئيس قسم الدائرة العربية في الجامعة الامريكية في بيروت وهو من قرية عين غزال تبعد مسافة ١٥ كم عن قرية اجزام " مولد الشيخ يوسف النبهاني

تاريخ المقابلة وأين

## الفصل الثاني

### (( ثقافته ))

مصادره الفكرية هي :

أ - قريته : ولد الشيخ يوسف النبهاني في أجزم وبها نشأ وترعرع في جو ديني عام حيث يعرف أهلها بحبهم للعلم والعلماء لكثرة من وفد منهم الى الازهر الشريف فهي الأولى بقوى قضاء حيفة من حيث عدد الازهريين من أبنائها كما أن اسرة النبهاني معروفة بتدينها وحبها للعلم بالاضافة الى أن الجو العام الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي - كما وضحناه في الباب الأول - كان مشجعا لكل من يسير في طريق العلوم الشرعية .

كما استفاد الشيخ النبهاني من جمال الطبيعة في قريته مما أدى الى نضوج الصور الفنية في شعره وقد أكثر منها اكثارا ييسر للفنان ان يرسم بريشته وراء قلمه خصوصا في نسيبه الذي يفتتح به مدائحه .

ب - والده : كان أول استاذ عرفه الشيخ يوسف النبهاني هو والده الشيخ اسماعيل النبهاني ، يقول الشيخ يوسف " ... وقرأت القرآن على والدي حفظه الله فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن في أكثر الأوقات بحيث انه يختم في كل اسبوع ثلاث ختمات ثم ارسلني بعد أن حفظني بعض المتون وسني سبع عشرة سنة الى مصر لطلب العلم في الجامع الأزهر فدخلته في غرة محرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين الف هـ واقمت فيه نحو سبع سنوات وبعد ان حصلت ما قدره الله لي في العلوم النقلية والعقليه رجعت بأمر والدي الى الوطن في شعبان ١٢٨٩ " (١)

---

(١) هادي المريد الى طريق الاسانيد ص٥٦

لقد كان والده المعلم الاول الذى تتلمذ عليه الشيخ النبهانى سواء بالوراثة أو الكسب فقد ورث من أسرته الذكاء وحب العلم والتدين كما هو معروف عنهم كما ورث الاصالة العربية والمقدرة الشعرية أما والده فقد كان له موجها تعهده منذ صغره بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون، مع التوجيه السليم حتى اذا التحق بالازهر الشريف ومكث به سبع سنوات رآها والده كافية لتحصيل العلوم الضرورية بالنسبة لولد فأمره بالرجوع وكأن والده كان يعده اعدادا أخرويا متأثرا بالامام الغزالى (١) خصوصا فى نصيحته لأحد تلاميذه فى رسالة معروفة عنوانها :

" ايها الولد " .

نجد هذا نفسه ظاهرا فى مؤلفات الشيخ النبهانى فيما سنلاحظه فى اخلاقه وأفكاره .

جـ — شيوخه فى الأزهر : يقول الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله : وأما مشايخى الذين أخذت عنهم العلم فى الجامع الازهر أيام مجاورتى فيه فهم سادتى الأئمه الاعلام مشايخ الاسلام محمد الدمنهورى المتوفى سنه ١٢٨٥ هـ وقد حضرت دروسه فى الاجروميه وشرح القطر لابن هشام وحدثنى بالحديث المسلسل بالاولوية وهو أول حديث سمعته منه " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء " والشيخ ابراهيم السقا لازمته ثلاث سنوات حضرت فيها دروسه فى التحرير والمنهج لشيخ الاسلام فى فقه الشافعى بحاشيتها للشرقاوى والبيجيرمى (٢) وشمائل الترمذى فى رمضان وهذان الشيخان هما من أقران الامام العلامة شيخ اكثر مشايخى الشيخ

---

(١) راجع احياء علوم الدين جـ ١ ص ٢٤ — ٣٧ تحت عنوان " بيان المقدار المحمود من العلوم المحمودة " .

(٢) هناك فرع من عائلة البجيرمى فى اجزم قدموا اليها اثر حملة ابراهيم باشا على فلسطين ومنهم الشيخ توفيق البجيرمى والشيخ يونس البجيرمى .
د . فاضل زيدان

ابراهيم الباجورى المتوفى سنه ١٢٧٧ هـ وأخذ لى جميعهم عن الشيخ حسن القويسنى والشيخ محمد الفضالى والشيخ محمد الامير الصغير وطبقتهم والشيخ راضى الشرقاوى والشيخ صالح الجياوى والشيخ محمد العشماوى حضرت دروس هؤلاء الثلاثة فى شرح ابن قاسم على متن أبى شجاع بحاشية البرماوى والشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الازهر حضرت دروسه فى شرح ابن قاسم المذكور مع حاشيته المذكورة وفى شرح الخطيب الشربينى على أبى شجاع وفى حاشيته الامير على البلوى على السمرقندية وفى حاشية شيخه الشيخ ابراهيم الباجورى على بردة الامام البوصيرى فى المديح النبوى والشيخ عبد الرحمن الشربينى حضرت دروسه فى شرح الخطيب على أبى شجاع والشيخ ابراهيم الزرو الخليلى حضرت دروسه فى حاشية شيخه الباجورى على جوهرة التوحيد وفى شرح ابن عقيل على الفيه ابن مالك بحاشيه الشجاعى والشيخ مصطفى الاشرفى حضرت دروسه فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى والشيخ أحمد الاجهورى الضرير حضرت دروسه فى تفسير الجلالين بحاشية الجمل وفى حاشية الامير على شرح الملوى على السمرقندية والشيخ عبد الهادى الابيارى حضرت دروسه فى صحيح البخارى ومقامات الحريرى وحاشية شيخنا الدمنهورى الصغرى على الكافى فى علمى العروض والقوافى والشيخ عبد اللطيف الخليلى حضرت دروسه فى حاشية الباجورى على الجوهرة والشيخ أحمد البابى — نسبة الى الباب من أعمال حلب حضرت دروسه فى شرح القطر بحاشية الشجاعى وشرح الشذور بحاشية الامير وهؤلاء كلهم شافعيون .

والشيخ عبد القادر الرافعى شيخ رواق الشوام حضرت دروسه فى الجزء الثانى من حاشية ابن عابدين على الدر المختار وشقيقه الشيخ عمر الرافعى حضرت دروسه فى حاشية الباجورى ، على السمرقندية ، والشيخ شريف الحلبى حضرت دروسه فى شرح الازهرية بحاشية العطار والشيخ مسعود النابلسى حضرت دروسه فى شرح الدر المختار والشيخ فخر الدين اليانيوى حضرت دروسه فى شرح الجامعى على الكافية وهؤلاء كلهم حنفيون .

والشيخ حسن العدوى حضرت دروسه فى صحيح البخارى والارمعين النوويـــة والشيخ حسن الطويل حضرت دروسه فى شرح الازهرية بحاشية العطار وشـــرح الشذور بحاشية الأمير وقلائد العقيان للفتح بن خاقان وكان قرأه فى بيته لبعـــض تلاميذه ، ثم لم يكمله والشيخ محمد البسيونى حضرت دروسه فى حاشية الصبان علـى الملوى على سلم المنطق والشيخ محمد الرومى حضرت دروسه فى شرح الاشمونـــى على الالفية بحاشية الصبان والشيخ محمد الحامدى حضرت دروسه فى مختصـــر البخارى ، لابن أبى حمـزه بحاشية الشنوانى وشرح الشيخ خالد على الاجروميـــة بحاشية ابى النجار وهوءلاء كلهم مالكيـــون .

والشيخ يوسف البرقاوى الحنبلى شيخ رواق الحنابله حضرت دروسه فى الاجروميـــة وهو أول شيخ انتفعت به نفعنى الله ببركاتهم أجمعين وحشرنى فى زمرتهم تحـــت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (١) .

يبدو أن الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله لم يحصل على شهادة فى دراســـته لأن التعليم فى الأزهر وقتها كان على شكل حلقات يختلف اليها الطلاب لســـماع الدروس التى يرغبونها ممن يرغبون من الأساتذة والى هذا أشار الشيخ محمـــود أبو العيون فى كتابه الجامع الازهر تحت عنوان " الدراسة فى الازهر قبل النظـــام " ومنذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة كان يسير على نظام سهل يكاد يكون فطريـــا أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله ... كان الطالب يدخل الازهـــر مختارا بلا قيـد ولا شـرط ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنـــه ويبقى فيه ما شاء الله أن يقيم فاذا آنس من نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها مـــن الافادة غيره استأذن أساتذته وجلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه عـــلى الطلبة فكانوا اذا لم يجدوا فيه الكفاية للافادة انفضوا من حوله واذا وجدوه عـــلى علم وثقوا به واستمروا على تلقى العلم عنه وحينئذ يجيزه شيخ الازهر اجازه .....

---

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ٥٨ ـ ٦٠

وكان عماد الدراسة اذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم ، وظلوا على ذلك مدة طويله الى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصه للأزهر وطلبته وعلمائه وادارته والدراسه فيه (١) .

لم يذكر النبهانى انه حصل على اجازه رسمية من شيخ الأزهر ويبدو أن الشيخ النبهانى كان يختلف الى حلقات الدرس كما وصف الشيخ أبو الميون وكما يظهر من حضوره دروس كل شيخ من الذين ذكرهم من أساتذته من المذاهب الاربعه والنبهانى يذكر فى كتابه " أسباب التأليف " أنه جلس لتدريس النحو لبعض الطلبه ولم يذكر غيرها حيث يقول " ... ذكرت فى كتابى " هادى المريد الى طرق الأسانيد " جميع الكتب التى اعتادوا قراءتها فى علم النحو فى نحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشمونى بالشروح والحواشى مع حفظ الاجرومية والالفيه ومطالعتى المؤلف والاظهار وكافيه ابن الحاجب بنفسى ولبعض الطلبه " (٢) والنبهانى لم يوضح فى هذه العبارة ان كانت مطالعته هذه العلوم للطلاب فى حلقة للتدريس فى الأزهر أو مجرد مذاكراته ويبدو وأنها كانت حلقه للتدريس .

على أى حال غادر النبهانى الأزهر فى رجب ١٢٨٩ بأمر والده دون أن يحصل على اجازه شيخ الازهر " وكان اول قانون وضع للازهر لنيل الشهادة العالميه سنه ١٢٨٩ فى عهد شيخه الشيخ محمد العباسى ولكن يبدو أن القانون لم يطبق من تاريخ صدوره لكن الجامدين من رجال الازهر كانوا يعادون كل اصلاح وتجديد وكان يتزعمهم الشيخ محمد عليش فكانوا يهجمون اصلاحات الشيخ المهدى العباسى وساعدهم على ذلك ان الخديوى اسماعيل كان مشغولا بالمحن السياسية والاقتصادية وان مصر شغلت كلها بالاحتلال الانجليزى (٣) ولم يوضع القانون موضع التنفيذ

---

(١) الجامع الازهر نبذه فى تاريخه ص ٣٩

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥

(٣) الازهر تاريخه وتطوره ص ٢٤٧

الا في ١٠٧ رجب ١٣١٢ في عهد الخديوي عباس الثاني " (١) وفي هذا يتضح لنا سبب استدعاء والده له — وهو شيخ عالم اذ أنه رأى ولده قد استوعب من العلوم الشرعيه القدر الكافي وليس هناك شهادة ينتظر الحصول عليها وربما تكون رغبة الشيخ يوسف مع والده أن يحصل على العلوم الشرعية التي تمكنه من العمل في القضاء الذي لا يحتاج الى تضلع في العلوم الشرعية وانما هي قوانين منصوص عليها وقد حصل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله على عدة اجازات من مشاهير علماء العصر ذكر هذه الاجازات في كتابه " هادي المريد الى طرق الاسانيد " بصورها وبالتفصيل . ويمكن الاطلاع عليها بتمامها نذكر منها بالقدر الذي يبين نوعية ثقافته العلميه اذ أن هذه الاجازات بمثابة شهادات علمية على أهلية المجاز فيما يجاز به . يقول رحمه الله : " .... ولما كان من أكبر نعم الله تعالى على ان وصل سندي بأسانيدهم — أي العلماء القائمين بخدمة الدين — كما يتصل بالسادة أحقر عبيدهم رأيت أن اثبت من سلسلة أسانيدي في هذا الثبت الوجيز ما هو أنفس من سلاسل الذهب الابريز لأجمع تلك الطرق الكثيرة في مكان واحد .... وقد سميته " هادي المريد الى طرق الأسانيد " واقتصرت فيه على ذكر أربعين سندا أو أربعين فائدة وخمس اجازات وخمسة اثباتات انا مجاز بها أحدها يتضمن اثنين واربعين بيتا وهي تشتمل على أكثر أسانيد العلماء الاول ثبت الشيخ الامام المحدث عبدالله بن سالم البوصيري والثاني ثبت الامام المحقق الشيخ محمد الأمير الكبير المصري ارويهما عن شيخنا الامام السقا والثالث ثبت العلامة الامام الشيخ عبد الرحمن الكزبري محدث الشام أرويه عن العلامتين محمود أفندي حمزه والشيخ محمد الخاني وغيرهما . والرابع ثبت الامام المحقق السيد محمد بن عابدين

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥١ .

أروية عن ابن أخيه العلامه ابى الخير أفندى وهو أجمعها وأكثرها فوائد ، وفيه اجازته باثنين واربعين بيتا بالسند الى مؤلفيها الا أن سندى فى الثلاثة قبله أعلى من سندى فيه من بعض الطرق لذلك نقلت الأسانيد منها وربما استعنت بثبت الشيخ محمد الكزبرى والد الشيخ عبد الرحمن وشيخه ، وأما الفوائد فقد نقلت أكثرها من ثبت ابن عابدين ونقلت بعضها من ثبت الشيخ محمد الكزبرى والبعض من ثبت الشيخ أحمد النخلى المكى الافادة الفاتحه فقد نقلتها من ثبت الشيخ محمد عابد السندى وهو الخامس الذى أرويه عن الامام المحدث الشيخ عبد الله بن ادريس السنوسى الفاسى المالكى الاثرى قدم بيروت فى العام الماضى فقرأت عليه أول صحيح البخارى وأجازنى به وسائر مروياته ومنها الثبت المذكور وهو عن الشيخ عبد الغنى المجددى المدنى عن مؤلفه " ثم أورد الشيخ النبهانى رحمه الله الاجازات الخمس التى حصل عليها وهى :

١ ــ اجازة الشيخ ابراهيم السقا ــ أستاذ الشيخ النبهانى فى الأزهر ــ جاء فى اجازته " أجزت ولدى المذكور بما تجوز لى روايته وتصح عنى درايته من حديث وأثر ومن فروع وأصول ومنقول ومعقول ~~وغير ذلك والحمد~~ كما أخذته عن الأفاضل الساده الاكابر ... ( يذكر هؤلاء السادة ) فمسانيدهم مسانيدى وقد سمع منى المجاز كتبا عديده معتبرة مفيدة كالتحرير والمنهج فما أكرمها من نسبة وأبرها وفقه الله لمحاسن مابه أمر أمين بجاه طه الامين فى ١٨ رجب سنة ١٢٨٩ (٢) .

(١)

٢ ــ اجازة السيد الشريف السيد محمد أفندى الحمزاوى الحنفى مفتى دمشق الذى جاء فى اجازته " فانه رأى النبهانى ــ ممن لحظته العناية وشملته الهداية وقد حسن ظنه بى كما هو شأن المؤمن الكامل وطلب منى أن أجيزه اجازة تامة بجميع مروياتى وما تطفلت بجمعه من مصنفاتى كالتفسير بحروف المهمل المسمى " بدر الاسرار " ونظم الجامع الصغير للامام محمد صاحب أبى حنيفه رحمهما الله تعالى ، ونظم مرقاة الاصول لملا خسرو واللآلى البهيه فى الفرائد الفقهيه وبغية الطالب فى شرح رسالة الصديق لعلى بن أبى طالب

---

(١) كلمه يستعملها شيخنا فى غير معناها .. لان اعتبر معناها : الفطر د عبد السلام سرحان

(٢) هادى المريد الى طرق أسانيد ص ١ ــ ٧

رضى الله عنهما وقواعد الاوقاف وكشف الستور فى المهاباه والأجور ومنظوم الغريب والفتاوى الحمزاوية وشرح بديعية الوالد المسمى كشف القناع ودليل الكمل الى المهمل فى اللغة والطريقة الواضحة الى البيئة الراجحة فاستخرت الله وأجزته بأن يروى عنى صحيح الامام محمد بن اسماعيل البخاري وسائر ما تجوز لى روايته وتصح لى نسبته ودرايته اجازة عامة شاملة لجميع ذلك لشرطه الصحيح المعتبر (١) عند أهل الحديث والاثر .. الخ " ثم أخذ يذكر أشياخه الذين روى عنهم ..

٣ — اجازه الشيخ محمد أمين البيطار الشامى وقد جاء فى اجازته بعد أن عدد المشايخ الذين درس عليهم وأجازوه : " ... وانى أجيز سيدى المذكور أى : يوسف النبهانى — بما يجوز لى روايته عنهم وأرجوه الا ينسانا من دعائه فى عامة اوقاته .. (٢) فى ١٩ شعبان ١٣١٥ .

٤ — اجازة الشيخ محمد أبى الخير أفندى عابدين : يقول الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله " ثم أجازنى مراسلة بجميع مروياته سيدى العلامة محمد أبو الخير عابدين أمين الفتوى بدمشق الآن ... أجازنى حفظه الله بجميع مروياته وجميع ما تضمنه ثبت عمه محمد الشهير بأبن عابدين صاحب الحاشية الكبرى على الدر المختار فى الفقه الحنفى ومن جملة ما تضمنه ثبته الاجازة له باثنين واربعين ثبتا بسنده المتصل الى مؤلفيها واخذ يذكر هذه الاثبات واحدا بعد الاخر الى ان قال " فهذه اثنان واربعون ثبتا يرويها السيد محمد عابدين بأسانيده الى مؤلفيها ولا يخفى انه يندر شىء تطلب فيه الاجازه من كتاب أو حزب او ورد أو دعاء او صيغه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو طريقه صوفية لا يوجد له ذكر فى هذه الانبات ثم ذكر اجازة الشيخ محمد ابى الخير عابدين جاء فيها " ... قد أجزت حضرة المومأ اليه — أى : ابن عابدين — وجميع مؤلفاته ومروياته وما تجوز روايته اجازة عامه مطلقة كما أجازنى بذلك مشايخى الكرام .. " فى شهر جمادى الثانية ١٣١٥ هـ بدمشق الشام .

أجازنى

---

(١) خطأ شائع كما سبق قريبا .

(٢) المصدر السابق ص ٨ — ١١

٥ ــ اجازة الشيخ محمد محمد الخانى الشافى الشافعى النقشبندى خليفة أبيه محمد الخانى الكبير خليفة مولانا الشيخ خالد النقشبندى . وبعد أن عدد الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله الكتب التى أجازه بها الشيخ الخانى أورد نص الاجازه التى جاء فيها " ..... قد أجزت له بأن، يروى الكتب التى فى الرسالة المذكورة ــ اى : الرسالة المجلونية وهى تحتوى على أربعين حديثا من أربعين كتابا من كتب الحديث ــ من كتب الحديث الشريف وغيرها وبقراءة الدلائل المذكورة ــ أى دلائل الخيرات فى الأوقات المناسبة خصوصا نهار الجمعة وليلتها وبقراءة الاوراد المنسوبه الى قطب العارفين وخاتم الأولياء المحمديين سيدنا الشيخ محيى الدين الاندلسى الطائى قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبره بالاوراد المنسوبه الى سيدنا ومولانا الولى العارف أبى الحسن الشاذلى نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من فيوضاته بالاوراد المنسوبة الى سيدنا ومولانا نور أبصارنا قطب الارشاد ورحلة الابدال والاوتاد الشيخ محمد بهاء الدين المشهور بشاه نقشبند قدس سره وبجميع ما تجوز لى وعلى روايته ودرايته خصوصا كتاب المواهب اللدنية المنسوب لسيدنا الشيخ أحمد القسطلانى شارح صحيح البخارى رحمهما الله تعالى ، كما أجازنى بذلك مشايخى العظام عليهم رحمة الملك العلام من دمشقيين ومصريين ومكيين وعراقيين ومن أجلهم عندى بل عند الكل سيدنا وشيخنا المرحوم مسند ومحدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن ابن المرحوم العالم التقى الشيخ محمد الكزبرى ... فانه أجاز لى مرارا ــ بكل ما حواه ثبته المشهور وبكل ما تجوز له وعنه روايته .... وقد وتى وعمدتى مربى المريدين مرشد السالكين والواصل الى الله والمنقطع لله والدى المكرم نفعنى الله والمسلمين بأنواره وفيوضاته فانى حضرت عليه أكثر دروسه بل كلها فجزاه الله عنى ما أحبه وأرضاه وسيدنا الشيخ المحقق المدقق الشيخ ابراهيم السقا شيخ مشايخ الجامع الأزهر الأنور وصوفى زمانه الشيخ مصطفى المبلط رحمه الله والعابد الزاهد الشيخ عثمان شطا الدمياطى المجاور فى مكه المكرمة والشيخ اسماعيل البرزنجى النقشبندى قدس سره وكذلك أجزت له بأن يروى جميع ما فى ثبت شيخنا الكزبرى المذكور وجميع ما فى ثبت محقق زمانه الشيخ محمد الامير الكبير الشهير رحمه الله بشرطه المعتبر عند أهل الاثر وأوصيه ونفسى بتقوى الله فى السر والاعلان والاخلاص لله فى الاحوال والازمان، الا ينسانا من دعواته المستجابات فى كل الاوقات وصلى الله على سيدنا ومولانا

وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين فى ١٩ شوال سنه ١٣١٢ (١)

أما الرساله العجلونية المشتملة على أربعين حديثا من أربعين كتابا من كتب الحديث الشريف فانى أوردها كما أوردها الشيخ النبهانى لبيان منزلته فى علم الحديث يقول الشيخ النبهانى " .... وها أنا ذا أذكر الأسانيد مقتصرا على طريق واحدة آخذا عللها من الاثبات الثلاثة ثبت عبد الله بن سالم وثبت الأمير وثبت الشيخ عبد الرحمن الكزبرى وسندى المتصل اليهم مذكور فى الاجازات فلا حاجة الى تكراره فى كل كتاب " . ثم يبدأ الشيخ النبهانى فى ذكر الكتب ابتداءً من راويها الاول الذى أخذ عنه الاجازه وانتهاء بصاحب الكتاب الى المؤلف ولكن أكتفى بذكر الكتب فقط وهى صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود ـ وجامع الترمذى وسنن النسائى وسنن ابن ماجة وموطأ مالك ومسند الامام أبى حنيفة ومسند الامام الشافعى ومسند الامام أحمد ومشكاة المصابيح لولى الدين التبريزى والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى وبقية مؤلفاته والشمائل للامام أبى عيسى الترمزى والشفا للقاضى عياض وسيرة الشيخ على الحلبى وباقى مؤلفاته والجامع الكبير والجامع الصغير ودلائل الخيرات وتفسير القاضى البيضاوى وتفسير الجلالين وتفسير الدر المنثور وتفسير أبى السعود وفقه الشافعية وفقه الحنفية وفقه المالكية وعلم الكلام وتصانيف أبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى امامى أهل السنة والجماعه وتفسير الفخر الرازى وسائر تصانيفه وتصانيف امام الحرمين الجوينى وتصانيف أبى منصور الماتريدى محمد بن محمد وهى كتاب التوحيد وكتاب المقالات ـ وكتاب تأويلات القرآن العظيم وكتابان فى الرد على أهل الاعتزال والرسالة القشيرية وقوت القلوب لأبى طالب المكى والاحياء للامام الغزالى وسائر تصانيفه وعوارف المعارف للشهاب السهروردى والفتوحات المكية للشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى الاندلسى مع سائر تصانيفه والغنية للعارف الكبير الشيخ محيى الدين عبد القادر ـ أبى صالح الكيلانى وسائر كتبه والاذكار ورياض الصالحين والاربعين حديثا ـ وسائر تصانيف الامام ولى الله ومحرر مذهب الشافعى شيخ الاسلام محيى الدين أبى ذكريا يحيى بن شرف الدين النووى ومؤلفات الحافظ ابن حجر التى من جملتها فتح البارى بشرح أحاديث البخارى ومؤلفات شيخ الاسلام زكريا الانصارى ومؤلفات العارف بالله عبد الوهاب الشعرانى وتأليف شيخ الاسلام خاتمه المحققين

---

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد للشيخ يوسف النبهانى ص ١٢ ـ ١٤

الشهاب أحمد بن حجر الهيثمى المكى وتأليف شيخ الاسلام الشمس محمد الخطيب الشربينى ومنها تفسيره وشرحاه على المنهاج ومتن أبى شجاع وتأليف شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن أحمد الرملى ومؤلفات الشهاب أحمد بن محمد القسطلانى ومنها المواهب اللدنية وشرحه على البخارى ومؤلفات الشيخ أبراهيم الباجورى فانى أرويها عن جمع من تلاميذه الأئمة الاعلام كالشمس الانبابى والشيخ عبد الهادى الابيارى والشيخ ابراهيم الزرو وغيرهم وقد أجازنى كثير منهم باجازات خطية ولكنى صرفت النظر عنها لكون سندى من طريق شيخنا الشيخ ابراهيم السقا أعلى بدرجة لانى شاركتهم فيه وفى شيخنا محمد الدمنهورى (١) .

هذه هى الاجازات التى حصل عليها الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله كما ذكرها فى كتابه " هادى المريد الى طرق الأسانيد " الذى انتهى من تأليفه عام ١٣١٨ هـ .

وقد ذكر فى كتابه جامع كرامات الأولياء الذى انتهى من تأليفه عام ١٣٢٤ وفى كتابه " جواهر البحار فى فضائل النبى المختار " (٢) الذى انتهى من تأليفه عام ١٣٢٧ وفى كتابه " أسباب التأليف " (٣) الملحق بكتابه جامع كرامات الاولياء **ذكر** اجازته من الشيخ أحمد حسن العطاس العلوى وقد كانت اجازه الشيخ العطاس للشيخ النبهانى مرتين وفى رسالتين ولكن سبقهما مراسلة بينهما ابتدأها الشيخ العطاس فأجابه الشيخ النبهانى عليها بطلب الاجازة منه فأجابه الشيخ العطاس بالاعتذار أولا ثم أعقبها باجازتين منفصلتين وقد وصف الشيخ يوسف النبهانى شعوره لمراسلة الشيخ العطاس له فقال " فلما قرأت مكتوبه حصل لى والله من السرور والانس وانشراح الصدر ما لم يحصل لى بقراءة مكتوب قط ورد لى فى سابق الأزمان من أى شخص كان وبأى سبب كان فعلمت أن صاحب هذا المكتوب لا شك أنه من أولياء الله ...... فصرت من جملة تلاميذ هذا السيد الجليل ومريديه وهو أفضل مشايخى فيما أعلم لانه من السلالة الطاهرة ومن أكابر الأولياء الذين يجتمعون يقظة بالنبى صلى الله عليه وسلم على ما علمته ممن لهم الوقوف على أحواله من ثقات سادتنا آل باعلوى " (٤)

---

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ٢٩ — ٣٨ .
(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٢٩ — ٣٤٣
(٣) اسباب التأليف ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .
(٤) المصدر السابق .

ونظرا لانفراد الشيخ النبهانى لأستاذه الشيخ العطاس بمزية الافضلية فسوف أذكر الرسائل التى بعثها الشيخ العطاس للشيخ النبهانى لمزيد الاطلاع ولأنها تعكس الصورة الكاملة لشخصية الشيخ العطاس التى أعجب بها الشيخ النبهانى والتى تدل بالتالى على شخصية النبهانى ونوعية ثقافته .

أما الرساله الاولى فهذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل فى هذه الامه من يكشف عنها الغمة ويخرجها من الظلمة ويعرفها بمسالك الطريق ويحقق لهم غاية التحقيق وصلى الله على هادى كل هاد من كل حاضر وباد وعلى سيدنا محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى من تابعه ووالاه . فيما فعله ونواه ، وعلى الشيخ الفاضل الذى أبرزه الله نورا فى هذا الزمان يوسف بن اسماعيل النبيه النبهان وسلام الله يغشاه وعين الله ترعاه ومن والاه فى الله . وجعلنا له هذا المحرر من اليمن من حضرموت من بلدنا حريضة حوطة السيد الشريف عمر بن عبد الرحمن العطاس الى بلده بيروت والموجب لتحريره وتسطيره السؤال عن الحال واعلامكم بأنا لكم راعون ولكم ذاكرون ولكم شاكرون ومن لدينا من اخواننا السادة العلويين وجميع المحبين الساكنين فى تلك الديار من تريم وسيون وشبام . يشكرون جنابكم الكريم وقد وصلت الينا كتبكم الكرام وتأليفكم العظام التى فيها شفاء السقام . منها الانوار المحمديه وقد مررنا عليها " وأفضل الصلوات " وقد مررنا عليها " ووسائل الوصول الى شمائل الرسول " وقد مررنا عليها " والهمزيه " وكذلك قصيدتكم الموازنه لبانت سعاد وما أضيف اليها وصورة النعل الشريف " " وحال التاريخ " . والقراءة فى كتابكم حجة الله على العالمين بلغنا فيه الى اخلاقه صلى الله عليه وسلم .....

ولما بلغ الينا ذلك الكتاب ورأينا ما احتوى عليه من العجب العجاب قلنا لمن لدينا من الأحباب . هذا الكتاب جدير بأن يسمى " هدية الله الى العالمين " . -

وجعلنا كتابكم هذا شكرا لجنابكم الفخيم ولطلب الدعاء منكم وحررناه على لسان العوام وقصدنا المعنى لا الصورة وان سمحتم وتفضلتم بجواب لنا أو ارسال شىء من مؤلفاتكم يكون ذلك من طريق جدة الى عند محبنا أحمد بن أبى بكر بن عمر باعشر أو أخيه سالم لأن المذكورين لهما اتصال ببعض أهل السبب من أهالى بيروت وهذا المسطور من طريقهم وعفوكم أوسع ودمتم فوق ما رمتم والسلام عليكم وعلى أولادكم ومن حواه مقامكم ومن شئتم كيف شئتم منا ومن أولادنا ومن اخواننا العلويين ومن جميع المحبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وان عثرنا على شىء من ديوان الشيخ العارف بالله الشامل من محبته عمر بامخرمه فيه تنويه بكم ويذكركم

نعرفكم بذلك ان شاء الله لأن الشيخ المذكور يتكلم على كثير مما يأتى بعده قال فى بعض قصائده .

أهل وقتى ومن بعدى — وذى من زمن عاد
أعرف أنسابهم والقابهم — يا ابن حماد
ساعة اجمع وساعة جيك — بأسمائهم أفراد

وكثيرا ما كان يقول فى قصائده " ياابن نبهان " ولما وصل كتابكم حجة الله على العالمين وقراءتنا فى الدر المنثور مستمرة بلغنا فيه الى سورة الاحزاب الى قوله : " يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا الآيه " ووقفنا القراءة على تلك الايه لمناسبات لا تخفى عليكم وبعد ما نكمل قراءة كتابكم نرجع الى تكمله الدر المنثور وقراءتنا للجميع قراءة تحصيل لا تفصيل .. المستمد للدعاء منكم وباذلة لكم السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن على بن عبد الله العطاس العلوى الحسينى عفا الله عنه حرر فى ٢٣ من شهر رجب الاصب عام ١٣١٩ .(1)

يقول الشيخ يوسف النبهانى " فكتبت له مكتوبين شكرته فيهما على ما تفضل على به فى مكتوبه هذا وطلبت منه أن يديم على أنظاره الشريفه ودعواته المنيفة ويتفضل على باجازه يجعلنى فيها من جملة تلاميذه ومريديه فان ذلك من أعظم النعم على وأكبر الفوائد التى أنتفع بها فى الدنيا والآخره فأجابنى رضى الله عنه بالمكتوب الاتى وهو هذا بحروفه :

قال رضى الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم وأسأله الفتح المبين واليقين والتمكين وصلاح الدنيا والدين وأن يصلى ويسلم على أشرف المرسلين سيدنا محمد والتابعين له باحسان الى يوم العرض على رب العالمين وأن يحفظ بما حفظ به الأولين والآخرين من العباد الصالحين الشيخ الفاضل العالم العامل يوسف بن اسماعيل النبهانى شكر الله مسعاه وبلغه ما يتمناه فى دنياه وأخراه وسلام الله يغشاه ، وعين الله ترعاه ، فى صورته ومعناه ومن والاه فى الله والمسطور

---

(1) جواهر البحار ج ٤ ٣٤٣ - ٣٤٤

من حوطة الحبيب عمر العطاس حريضة بعد وصول كتبكم الكرام المؤرخة في ٢٢ جمادى الأولى وكان وصول الجميع في يوم واحد الاثنين ٢٤ شعبان وحمدنا الله على عافيتكم وعرفنا وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنيئا لكم هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه صورة ومعنى من أهل الاسلام وشكواكم ما تحملتم من الديوان في طبع الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أويتم الى ركن شديد ، وفي حسن الرجاء في ذلك الجناب ما يغنيكم ويكفيكم ، وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقولوا ما معطياك تبط ، وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب من طريق جدة وصندوق الكتب الذى من طريق عدن وصل ونعتمد ما عرفتم من تفرقتها في مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الغنى باشا بيضون البسيروني ( وهو الذى دفع ثمن تلك الكتب بان الله يبلغكم ويبلغه جميع الامال في جميع الاحوال في لطف وعافيه وايانا آمين ، وقد وصل الينا من طريق السيد أحمد شطا نسخه من تآليفكم سعادة الدارين وقد معونا على جميع ذلك وابتدأنا في قراءة القصائد التى في آخرها والدعاء لم يزل لكم في الاوقات الشريفه ونسالكم الا تنسونا من صالح دعائكم وعرفتم أن قصدكم اجازة وحملكم على ذلك حسن الظن ونعم المطية وأما الفقير فما عنده شيء مما تظنون والله لا يخيب الجميع مما لديه وأن يجعلنا في حماه وحمى أنبيائه وأوليائه ومن في رضاه وان قدر الله نسعفكم بما طلبتم لاجل الارتباط . (١)

ودمتم فوق مارمتم وصلى الله على سيدنا محمد وكل عبد مصطفى . قال ذلك الفقير الى عفو الله أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس باعلوى حرر في ٢٤ شعبان ١٣٢٠ هـ (٢)

ثم أرسل فضيلة الشيخ أحمد حسن العطاس المكتوب الثالث وفيه الاجازة وهذا نصه :

---

(١) في هذا ما يدل على ان الاجازات لم تكن تعطى جزافا بل بعد روية وأناه لمعرفة حال طالب الاجازة .

(٢) جواهر البحار في فضائل النبي المختار ص ٣٤٥ — ٣٤٦

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى فتح لأرباب المودات أبواب المواصلات فأرواحهم فى وريف ظله قائلات ، وان كانت أشباحهم متنائيات والصلاة والسلام على نقطة بيكار الموجودات ، الشمل من شراب المشاهدات هادى النفوس المائلات ، ومغنى الايدى السائلات ، بالعطايا السنيات ، وعلى آله وأصحابه وتابعيه فى جميع الحالات الى حضرة الشيخ الفاضل المتحلى بالفواضل محب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأهل بيته يوسف بن اسماعيل النبهانى أجزل الله عطاءه وكشف عن قلبه غطاءه وبلغه ما يتمناه فى دنياه وأخراه السلام عليكم ورحمة الله وعلى من والاكم فى الله صدور المحرر من حوطة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس حريضة وباعثه طلب الدعاء والسؤال عنكم أرجوكم ومن لديكم فى عافيكما أنا ومن لدينا من الاخوان والمعارف كذلك وقد أرسلنا لكم قبله كتابا جوابا لكتبكم السابقة من طريق عدن وأخبرناكم فيه أن الصندوق الذى أرسلتموه الينا فى أثناء الطريق وفى باطن شهر رمضان وصل الى طرفنا رياض الجنة ووجدناه كما ذكرتم . ان شاء الله والله يشكر سعيكم ويتقبل منكم وفرقناه على أهل الجهة كلها حسب الامكان على السادة وطلبة العلم ومن له رغبة فى الخير أرسلنا الى تريم نحو ستين والى سيون نحو خمسين الى البلدان الاخرى ما تيسر من ذلك واجتمعنا من غالب السادة العلويين وغيرهم من أهل الديار والجميع يشكرونكم ويمدونكم بصالح الدعاء وكل مؤلفاتكم موجودة والقراءة مستمرة فيها وعرفتم قصدكم الاجازه فتشرح لكم بعض الحال لا يخفى على جنابكم أننا فقراء ضعفاء وما لدينا شىء مما ظننتم الا انا نحبكم فى الله اللهم الا أن يكون شى من الارتباط بيننا وبين السلف فى الصورة أو فى المعنى عسى أن يكون ما ظنناه حقا ونقول اغتناما لصالح دعائكم وامتثالا لامركم : أجزت الشيخ الفاضل العالم العامل يوسف بن اسماعيل النبهانى فى جميع العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وتصوف وآلات ذلك وفى جميع الاذكار والاحزاب والاوراد المنسوبة الى السلف الصالح وفى جميع علوم الرواية والدراية أجزته اجازة مطلقة وأجزته أيضا فى الطرائق المنسوبة الى أهلها كالعلوية والشاذلية والقادرية وغيرها من الطرائق كما هى مبسوطة ومذكورة فى مؤلفاته لاسيما كتاب السيد محمد مرتضى " أبواب السعادة وسلاسل السيادة " وهو كتاب عظيم مشتمل على غالب الطرق بأسانيدها وأنا أرويه بالاجازه العامة والخاصة عن السيد الشريف عيدروس بن عمر الحبشى وغيره من المشايخ والسادة ومن أجلهم وأفضلهم وأعلمهم الشريف صالح بن عبد الله العطاس والسيد الشريف أبو بكر بن عبد الله العطاس بحق أخذهما عن السيد الشريف العالم الكامل عبد الرحمن بن سليمان الاهدل بحق اتصاله بالسيد

فتشرح

محمد مرتضى بحق أخذه لذلك عن السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس كما شرح ذلك وبينه في " النفس اليماني في اجازة بني الشوكاني " له وهو كتاب جليل حفيل ذكر فيه مشايخه ومشايخ والده ومشايخ جده يحيى والكتاب المذكور عندي واجزتكم به وبما احتوى وقد اتصلت به من طرق كثيره واجزتكم ايضا بثبت السيد الشريف عيدروس بن عمر الحبشي وما احتوى عليه من الطرائف المصريه وغيرها كما اجازني بذلك واذن لي بما هناك نطقا وكتابة وهو موجود عندي ، وطبع في مصر وهو كتاب عام وسمعنا الكثير منه على مؤلفه ، وأجزتكم أيضا بثبت الشيخ الكبير كما أرويه بالاجازه عن سيدنا وشيخنا السيد أحمد زيني دحلان وهو يرويه عن الشيخ عثمان بن محمد الدمياطي عن الشيخ الامير الكبير ..... وأجزتكم ايضا بجميع ما صحت به الاجازه من جمع الطرق الخاصة والعامة كما أخذت بذلك عن مشايخ كثيرين يقظة ومناما بالحرمين واليمن ومصر وحضرموت واتصلت بكثير من المشايخ الاجله واخذت عنهم بلا واسطة كالشيخ عبد القادر الجيلي والفقيه المقدم محمد بن علي الحسيني والشيخ الغزالي والشيخ أحمد بن حجر والشيخ ابن العربي وكثير ممن يطول ذكرهم وتعداد هم وان قدر الله وسمح الزمان بينا لكم بعضا من ذلك ولا تنسونا من صالح دعواتكم وما اعتذرتم به من بذة الحال والبال كل معه ما يكفيه وحال املاء الكتاب والمكان ملآن والله يجعل العاقبة للجميع خيرا وقد رفعنا حاجتكم الى كثير من أهل التوجيهات وطلبنا منهم الدعاء لكم ولحضرة المحب عبد الغني باشا بيضون البيروتي والسلام عليكم وعلى أولادكم ومن شئتم كيف شئتم منا ومن أولادنا ومن لدينا ويقرؤكم السلام كاتبه محبنا محمد بن عوض ابن محمد بافضل وادعو له وللجميع من المستمد للدعاء عنكم والداعي لكم الفقير الى عفو مولاه أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاسي علوي حرر منتصف رجب سنه ١٣٢١ (١) .

يقول الشيخ يوسف النبهاني " وهو كسائر مكاتيبه املاء لانه رضي الله عنه ضرير البصر " وقد صرح بأنه أخذ عن الشيخ عبد القادر وعن جده الفقيه المقدم والغزالي وابن حجر وابن العربي رضي الله عنهم بلا واسطة والظاهر

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٦ ، جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٦ — ١٩٨ .

أنه اجتمع بأرواحهم يقظة كما هو المأمول منه فأنه يجتمع كما بلغني ذلك من الثقات بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وترتيبه اياهم على هذا الوجه الظاهر بحسب ، — اجتماعه بهم حسب فضلهم لا بحسب زمانهم رضى الله عنه ونفعنا ببركتهم أجمعين .

وقد أجمعت ساداتنا آل باعلوى وغيرهم من اجتمعت بهم من أهل تلك البلاد على اعتقاد جلالة قدرة في العلم الظاهر والباطن وعلو منزلته في الولاية وانهم لا يعتقدون أعلى منه درجة من علماء الاشراف فضلا عن غيرهم من أهل بلادهم ، كيف لا وهو يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة فهذه أعلى درجات الولاية الخاصة التي لا يصل اليها الا القليل من أفراد الرجال والحمد لله الذى وصل حبلي بحبله وأسأل الله أن يزيدني منه امدادا وارشادا في الحال والاستقبال بجاه حبيبه الاعظم سيد الانام عليه الصلاة والسلام .

ثم ان سيدى العارف بالله السيد أحمد المطاسي المذكور أرسل الى أجازة ثانية مطولة كثيرة الفوائد وهي :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى لا تزال أعلام دينه منشورة ودرر مواهبه منثورة وقلوب أهل محبته بمشاهدته معمورة حمدا يجتلى القلب نوره وينبسط مدده على المعنى والصورة ويكون سلما للوصول الى حيث المساعى مشكورة والالباب مسرورة والعيون مقرورة حيث يرفع الحبيب ستوره في حضراته المحضورة الفاتح أقفالها والقاسم أنفالها حبيبه المحمود في كل سوره الذى مناقبه مشهورة وتعيد بركاته علينا وعلى حبيبنا وصفينا وولينا في الله الصادق في المصافاة والموالاة المرفوع ذكره والمشروح بنور الايمان والعرفان صدره الروض المزهو بالمعارف والبحر المتدفق باللطائف محبوب الحضرة المحمدية والمهدى الى الاسطع من أوصافها الزكية وأسرارها السنية الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني جعل الله اتصالنا به واتصاله بنا محكم الاساس والبناء موصولا بنعيم الاتصال الابدى في دار الهنا في خير لطف آمين .

والى ذلك الجناب الكريم نهدى شريف التحية والتسليم وقد سر قلبي وصول كتابكم وتلذذ بسماع لذيذ خطابكم المنبىء عن خلوص الوداد وقوة روابط الاعتقاد .

ألى ان يقول .. " وقد قبلت اجازتكم لي بالصلاة الفيضية وأفدت بها كثيرا منهم فجزاكم الله عني وعنهم وعن المسلمين خيرا وطلبتم مني ذكر تفصيل المرائى بالاجازات التي اجازني بها أهل البرزخ من الاكابر ومثلي لا يحسن الخوض منه في هذه الاشياء لما اعرفه من نفسي في سائر أحوالي وكذلك لا يحسن

ابداء ما هنالك الا ما دعت الحاجة الى اظهاره وامتثال أمركم لدى من أهم الحاجات وأكبرها ، وأستغفر الله من كل ما لا يرضاه وسيرة السلف الصالح مبنية على الذبول والخمول ، وستر ما هنالك ان وجد شيء ، وبالجملة فلم أجبكم الى ما طلبتم الا اغتناما لدعائكم ولما أرجو من حصول الارتباط بكم ولاسيما وقد قويت روابطكم بسيد البرية وبالعصابة المرضية ممن اتبع وانتفع واهتدى وهدى وأقول مستعينا بالله تعالى :

لى اجازات كثيرة من علماء الباطن والظاهر وأهل البرزخ وذلك أمر يفوت الحصر وقد ذهب من حفظى الاكثر وأما ما حضرنى الان فسأذكره لكن

أنى رأيت الحق سبحانه وتعالى وأمرنى بذكر الهوية ( هو ) سبعا ولم يتبين لى هل أراد سبعا من المرات أو من المئين أو من الآلاف وأنا أفعل ذلك تارة بالأقل وتارة بالأكمل .

وأما سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام فلى منه المدد التام والنظر الخاص والعام ورأيته صلى الله عليه وسلم مرات لا تحصى ، منها أنى رأيته وهو يصلى العشاء وصليت وراءه وسمعت قراءته ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وقرأت عليه قوله تعالى " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم " الى أخر الثلاث الآيات [1] قراءة مرتلة وقلت : أهكذا القراءة يارسول الله قال نعم ورأيته صلى الله عليه وسلم وقرأت عليه شيئا من القرآن مرتلا فلما فرغت قرأ بعدى بالحدر والادراج على ما اعتاده أنا من الحدر والسرعة فى التلاوة وصافحنى صلى الله عليه وسلم مناما مرات متعددة وعانقنى وسألته عن المصافحة وفهمت من كلامه أن المشابكة أكد وشابكنى مرة أخرى وأمرنى بقراءة سورة الواقعة بعد العصر .

ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وامرنى بقراءة ما تيسر من سوره الاخلاص بعد صلاة الصبح ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى لما كنت بالأبطح راجعا من الحج متوجها الى حضرموت فقال لى تريد الخروج الى حضرموت قلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم استودعك الله الذى لا تضيع ودائعه فقلت له قبلت الوداعة التى لا تضيع ورأيته مرة مع نبى الله عيسى عليهما الصلاة والسلام فى بعض

---

(١) فى الأصل : الثلاث آيات ،وهو خطأ واضح شاع بين الناس
والصواب : ثلاث الآيات أو الثلاث الآيات . د . عبد السلام سرحان

الصاجد وتلوت عليهما " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك " وخاطبت بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم " وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم والتفت الى سيدنا عيسى عليه السلام " وما كنت لديهم اذ يختصمون " ووقفت فقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم " اذ قالت الملائكه " مشيرا الى ان الآية متصلة المعنى بما بعدها ولم أقف عليها من بعد .

وفترت ليلة عن قيام الليل فرأيته صلى الله عليه وسلم جاءني بمصلى خوص وناولنيه لاقوم للصلاة . ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بعد أن طالعنا في كتاب الأغاني فقال لي طالعوا في علم التصوف ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى سقاني عسلا في أناء .

ورأيت وانا في المدينه المنورة كأن الخضر أتى الي وأخذ بيدي ومشى بي الى المواجهة تلقاء القبر الشريف ونادى يارسول الله أهذا ولدك قال نعم هذا ولدي محسن ورأيته صلى الله عليه وسلم أخرى وسألته عن الشيخ محيي الدين بن العربي فقال هو من الجواهر المفردة ورأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وعرضت عليه الصلاة التي فتح الله بها علي فاستحسنها وهي هذه اللهم صلى صلاة كاملة ..... الخ .

وفي ذكر هذا القدر من المرائي النبوية كفاية ورأيت سيدي عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وطلبت الاجازة فقال ليس في وقتنا اجازة وانما أعلمك صلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولقنني هذه الصلاة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد زين الوجود وعلى آله خير كل موجود ورأيت سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال : أتريد أن أعلمك هيئة وضع الرداء على كتفيك قلت نعم فوضع طرفا منه على كتفي الايمن موصلا الى ما يلي الصدر وأدار الباقي وراء ظهري، والى ما تحت الابط من الجانب حتى وضع الطرف الاخر على الكتف الايسر مشرفا على الظهر ورأيت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فأمرتني بتكرير قوله تعالى " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " ورأيت سيدي القطب عبد الرحمن بن محمد السقاف باعلوى التريمي فأمرني بقراءة هذا الورد وأجازني به وهو للشيخ الغوث أبي بكر بن سالم باعلوى المتوفي بعينات وهو هذا : " اللهم ياعظيم السلطان ياقديم الاحسان يادائم النعم .... الخ .

ورأيت سيدى القطب الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوى فاجازنى بأوراده كلها وسألته هل يثاب قارئ القرآن بقلبه قال نعم ووضع لسانه فى فمى حتى أحسست بوصوله الى حلقى .

ثم أخذ يورد من رآهم من الأولياء والاقطاب الى أن يقول " وقرأت يوما فى كتاب المهذب للشيخ أبى اسحق الشيرازى فرأيت مؤلفه أبا اسحق داخلا على فأجازنى بمؤلفاته وغيرها وقلت له شكرالله سعيكم فى تأليف المهذب ونعم ما أودعتموه من البسط وذكر الدليل والتعليل ولكنكم تحكمون القولين أو الوجهين وتسكتون عن الترجيح غالبا وان طلبة العلم الآن ما تطمئن قلوبهم الا بحكاية ذلك فقال هذه صنعة لأهل التحكم فى الدين ونحن نقلنا لكم كما نقلنا ورأيت الشيخ أبا حامد الغزالى وأجازنى بجميع مصنفاته وسألته هل يكفى من يريد الصلاة بداره الاذان العام بالبلد قال نعم قلت له ان طلبة العلم اذا اخبروا بمسألة قالوا : من نص عليها ؟ قال اذا سألوك فقل لهم نص عليها الغزالى فى الوسيط فلما انتبهت أخذت الوسيط وراجعت المسأله فاذا قوله فيه " وأولى بأن لا يؤذن اكتفاء بالنداء العام " ، ورأيت الامام النووى وطلبت منه الاجازة فأجازنى بعلم الفقه وبجميع كتبه ومؤلفاته ورأيته مرة ثانية وسألته الاجازة فقال أجزتك بشرطها المعتبر (1) عند أهلها فقلت له ان سلفنا ما يعتبرون الا الارتباط بين المجيز والمجاز فقال وهو كذلك أجزتك .

ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيثمى المكى فأجازنى بمؤلفاته ومروياته وأمرنى بقراءة المعوذتين فى أورادى فجعلت وردى منهما كل يوم مائة مرة . وفى رؤيا أخرى قلت له : قد انتفعت كثيرا بكتاب المهذب ولم تشرحه فقال فيه مسائل مشكلة فاستفهمت عن ذلك فقال بسط النية على تكبيرة الاحرام فقلت له سبحان الله اذا رأى الانسان نفسه قائما ذاكرا وصامتا وقال الله أكبر فهل كبر نفسه أو كبر ربه فسكت فقلت بل كبر نفسه فقال صدقت ورأيته ندم وود لو انه شرحه .

وايضا قولنا بل كبر نفسه هو أن الانسان اذا قام الى الصلاه مستحضرا ، النية من أول التكبير الى آخره متصورا أفعال الصلاة مالئا قلبه بهذه التصورات

---

(1) أشرنا مرات الى أن هذا التعبير من الاخطاء الشائعه .. لانه نص " اعتبر " معناه : اتعظ .. والصواب : المذكور عند أهلها . او الملاحظ . أو المقيد لها مثلا . د . عبد السلام سرحان

والحركات والسكنات كما أوجبه الفقهاء المتأخرون فمن أين حينئذ وجود التعظيم والتكبير لله فى قلبه لأنه انما عظم أفعال نفسه وملأ قلبه بتعظيمها لما رآها بهذه المثابة وأما حقيقة التكبير لله فان من ينفى عنه هذه التصورات يمتلك قلبه باستحضار عظمه الله وكبريائه ووجود هذا تنتفى الوساوس وأما النية فانها شرعت لتمييز الاعمال لا غير ..... وأما الذين أخذت عنهم بالاجازة العامة فى عالم البرزخ من ذكروا فلا يمكن استقصاؤهم لتقادم الزمان ولما هو غالب على الذهن من النسيان ولم يزالوا بحمد الله يترددون على الى الان واجتمع بهم فى برازخ الفهوانية والمنام والحمد لله على الاجازة وتلقين الذكر والالباس والمصافحة والاذن بذلك ممن ذكروا جميعا ومن سيدى ابى العباس الخضر عليه السلام مرات متعددة ومن سيدى الامام على زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهما وعلى سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن على العريضى بن جعفر الصادق أول من خرج من العلويين الى حضرموت وسيدى الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى وسيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى مرات متعددة ...... وسيدى الشيخ محيى الدين بن عربى وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وابن حجر العسقلانى وجار الله محمود الزمخشرى والشيخ عبد العزيز الدباغ والشيخ على عبد الله باراسى صاحب الخريبة ....

أجزت الشيخ يوسف النبهانى بجميع لما أجازونى وأمرونى وأذنوا الى به اجازة عامة شاملة وأذنت له أن يجيز ويروى عنى اذنا مطلقا وأجزته ايضا بما أجازنى به مشايخى الذين أدركتهم وانتفعت بهم وأخذت عنهم .... " ثم عدد مشايخه الذين أخذ عنهم العلم تلقيا أو اجازة ثم يقول " وبالجملة فقد أجزتكم أجازة عامة بكل ما تجوز لى روايته ودرايته من تفسير وحديث وأصول فقه وتصوف والآت ذلك ، وكل مباح يرجع الى ذلك وفيما لدى ولديكم من الاوراد والاحزاب والاقراء والنفع والانتفاع والافادة والاستفادة وأذنت لكم ان تزاولوا ذلك وتجيزوا عنى من شئتم كيف شئتم والقصد أن يصح الارتباط لنا بيننا وبين من قد ثبتت أقدامهم وعلت هممهم وصلحت نياتهم مع السلف الصالح الذى صلحت أحوالهم مع الله ومع خلقه .

ثم ذكر الشيخ أحمد حسن العطاسى ترجمته اجابة لطلب الشيخ النبهانى فذكر تعلمه والعلوم التى درسها وما رافق ذلك من أحوال ومكاشفات الى أن يقول " ... وفيما ذكر كفاية وكان اتصالنا بهؤلاء تاما عاما وسمعنا مذاكرتهم فى

العلوم الباطنة والظاهرة وما لا ينبغى افشاؤه كما لا يخفاكم والله يحقق لنـــا ولكم الارتبــاط بهم فى الداريــن آميــن .

هذا ولم تزل الآوقات معمورة بالذكر والتذكير والتردد الى الصلحاء والتماس بركتهم واصلاح ذات البين فى هذه الجهات الحضرمية والقيام باكرام الوافديــن وايناس الزائرين ورأيناهم على عادة سلفنا فى مطالعة العلوم النافعة من كل فن مأذون فيه من العلوم الشرعية وآلاتها وقد قرئ علينا وسمعنا منها ما يتعذر حصــره فنذكر لكم بعض ذلك فمن التفاسير التى تأملناها قراءة تفسير الفخر الرازى وتفسـير ابن جريــر الطبرى والدر المنثور للسيوطى وفى الحديث الامهات الست البخــارى ومسلم والنسائى والترمذى وابو داود والموطأ وشرح مسلم ومسند الامام احمد ومسند الشافعى ونيل الاوطار للشوكانى والمنتقى لابن الجارود والاسماء والصفات للبيهقــى وكنز العمال للمتقى ومنتخبه والخصائص الكبرى والاتقــان للسيوطــى واليواقيــت والجواهر للشعرانى وتيسير الوصول للديبعى وزاد المعاد لابن القيم والاحيــاء والرسالة والعوارف وقوت القلوب والاذكار والايضاح والمنهاج والمهذب والتنبيــه والوجيز ونور الابصار مختصر الانوار من الروضة والمحرر الى البيـوع والام ومختصــر المزنى والبلغة فى اللغة والمزهر ومقدمة ابن خلدون وتأليفكم حجة الله علــى العالمين ، وسعادة الدارين ووسائل الوصول وشواهد الحق والأساليب البديعــة والمجموعة النبهانية ومختصر المواهب وأفضل الصلوات وباقى الرسائل وغيرها ممــا لا يحضرنى ذكره والقراءة مستمرة فى الكتب المتداولة فى فن الفقه والنحو وكذا المراجعـة أما كتب المناقب والتراجم للسلف فشئ كثير .

وكل هذه الكتب موجودة عندى بحمد الله تعالى مع كتب جمة غيرها مــن التفاســير وكتب الحديث والتصوف والفقه واللغة والادب ونأمر من يمتثل أمرنــا أن يقتصــر من علم الادب علي النظر فى المجموعة النبهانية وشرح ديوان ابن الفــارض ومقامات الحريرى والعقد الفريد ونحوها مما لا محذور فيه وأما غيرها فالســلف الصالـح يعرضون عنه ولا يأخذون من علم الاله الا ما يقوم اللسان ويرفع سماجــة الطبع من الانسان فهذا ما يسر الله ذكره مع تبلبل البال والاشتغال باصــلاح الحــال والمحـــال .

وفى شريف علمكم ما يغنيكم عن الاعتذار من الزمان وأهل الزمان ونســأل الله حفظ الاسلام والايمان وحسن الختام وان يجمعنا بسيد الانام فى اليقظــه والمنــام وفى دار الســلام فى خيــر وعافيــة آميــن .

واستروا ما رأيتم من خلل وزلل ، وما رأيتم اصلاحه أو عدم ذكره فأذنت لكم فى ذلك والدعاء لكم مبذول ومنكم مسئول ، ونسأل الله القبول ، وصدر اليكم جبة اللباس وهى التى كانت ملبوسى بمكة المشرفة فى العام الماضى وقت ورودى اليها للحج وجعلنا مع هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باذيب الشبامى وهو مسافر الى عدن ، ألزمناه يرسلها اليكم وليكن الجواب بوصولها فى طريقة ونحن لكم داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضرى حضرتكم ومن شملته دائرة ودكم منا وممن لدينا من الأولاد وذوى الوداد .

حرر فى ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ .

قال ذلك وأملاه الفقير الى عفو الله السيد أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس المقيم ببلدة حريضة انتهى مكتوبه المشتمل على اجازته الفريدة رضى الله عنه وتحت اسمه الشريف ختمه الكبير وهذه عبارته " الواثق برب الناس المتصب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس ١٣٢٥ هـ . (١)

هذه اجازة للشيخ أحمد حسن العطاس العلوى التى يعتز بها وهى جامعة لكثير من العلوم التى حصلها الشيخ العطاس وفيها كثير من الأحوال والكشوفات التى حصلت له أما رؤيته الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة فقد أيدها الشيخ النبهانى بما توصل له من بحث . (٢)

وفى جواهر البحار أيضا ذكر الشيخ النبهانى حصوله على اجازة بالصلاة الفيضية للشيخ محيى الدين بن عربى يقول الشيخ النبهانى " وانى كما أرويها أى الصلاة الفيضية — كسائر مؤلفاته — أى الشيخ محيى الدين بن العربى بأسانيدى اليه أرويها أيضا بواسطه رجل صالح من أهل دمشق الشام رواها عنه فى المنام وهو سيدى السيد الشريف احد فروع السلالة الطاهرة النبوية عبد الرحمن بن السيد شاكر بن السيد أحمد الشويكى الدمشقى فقد اخبرنى

---

(١) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار ج ٤ ص ٣٢٩ — ٣٤٣

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهانى فى الباب التاسع فى الكلام عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما " كتاب سعادة الدارين ص ٤٠٩ — ٤٦٥ كذلك راجع ما كتبه العلامة ابن خلدون فى مقدمته بخصوص ما يطلع عليه بعض الناس من مدارك الغيب ص ٩٥ — ١١٩ ، ١٠٩ — ١١١ خصوصا بالكلام على مكاشفات الصوفية .

ونحن فى بيروت فى منزل الحاج خضر بك السجعان شقيق زوجتى صفية الواقع على ساحل البحر فى جوار رأس بيروت بأنه قبل ثلاثين سنة وكان اذ ذاك فى أول بلوغه وعمره خمس عشرة سنة رأى وهو فى بلده دمشق الشام فى منامه الشيخ الاكبر سيدنا محيى الدين بن العربى رضى الله عنه يصلى الفجر فى المحراب الموجود فى الحجرة التى فيها ضريحه المبارك فى سفح جبل الصالحية من دمشق وهو بقيافة رجل مغربى قال السيد عبد الرحمن فاقتديت به وهو بهذه الصفة مع جماعة وبعد تمام الصلاة وانصراف الناس بقيت عنده وحدى بنية أن اسأله عن كيفية تسبيح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبعد أن بين الامام الاكبر كيفية ذلك له — ثم قال الامام الأكبر اتريد أن اعلمك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثوابها بمائة الف صلاة فقال الامام الأكبر اسمع : اللهم افض صلواتك ...... الخ ثم سمّعها له الامام الأكبر مرتين حتى حفظها "

يقول الشيخ النبهانى " وقد أجازنى صاحب هذه الرؤيا السيد عبد الرحمن المذكور بالصلاة الفيضية المذكورة وقرأها على مرتين فى مجلسين مختلفين أولهما فى احدى ليالى التشريق وثانيهما فى بيتى ببيروت فى الثالث والعشرين من ذى الحجة المذكور أى بعد ذلك المجلس بنحو عشرة أيام وأجاز بها أيضا ولدى محمد شمس الدين ووالدته صفيه وبناتى تقية وفاطمة وعائشة أنبتهم الله نباتا حسنا فى يوم الخميس ٢٠ صفر ١٣٢٧ هـ وقد اشتملت من كمالات سيد المخلوقات على ما لم يشاركها فيه غيرها من الصلوات ولا يعلمه الا مثل سيدى محيى الدين من أكابر العارفين الذين أطلعهم الله على ما لم يطلع عليه غيرهم من علو قدر سيد المرسلين (١) .

وحصل الشيخ النبهانى على أجازة من الشيخ عبد الله بن السيد درويش الركابى الشهير بالسكرى من ذرية العارف الشهيد أحمد الرفاعى جاء فيها " ...... حضر عندى الشيخ يوسف أفندى النبهانى فحدثته بحديث الرحمة المسلسل بالاولية الحقيقية وأسمعته اياه وهو أول حديث سمعه منى " ثم يذكر الرواة حتى يصل الى راوى الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء "

---

(١) جواهر البحار جـ ٤ ص ٣٥٠ — ٣٥٢

الى أن يقول " ثم أذنت للمجاز أن يجيز به من هو اهل لذلك " وكذلك صافحته يكفى هذه التى صافحت بها شيخنا فقيه النفس من يكنى بأبى حنيفة الصغير سيدى الشيخ سعيد الحلبى ".

ويستمر الشيخ السكرى فى ذكر من صافحهم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الشيخ النبهانى " فحينئذ تكون يد العبد الفقير عبد الله الركابى الشهير بالسكرى حادى عشر يدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرويه بسند اخر متصل بالمعمر أبى العباس الملثم " (١)

وقد أورد الشيخ النبهانى فى " جواهر البحار " أنه تتلمذ على العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر الكتانى " قال " وقد حضر الى بيروت فى شهر رمضان سنة ١٢٢٦ سيدى الامام العلامة الكبير السيد الشريف الشيخ محمد بن الامام العلامة الشهير سيدى الشيخ جعفر الكتانى التاسى قادما من المدينة المنورة بعد حجه من العام السابق واقامته فى جوار جده الاعظم صلى الله عليه وسلم عدة شهور يقرأ العلم وينفع الجمهور وكان حضر الى بيروت قبل ذلك بثلاث سنوات مع جملة أولاده وتلاميذه وشرفنى بزيارته لى فى منزلى مع جماعته وحصلت لى بركته وبركتهم فلما بلغنى قدومه الى بيروت فى هذه المرة زرته فى محل اقامته وفزت بتقبيل يده ودعوته الى منزلى فأجاب دعوتى واستفدت من علمه وبركته فوائد جمة أجلها أنه عانقنى وقال " أعانقك عانقنى سيدى أحمد بن حسن العطاس باعلوى فى المسجد الحرام فى العام الماضى وقال لى أعانقك كما عانقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم شابكنى بأصابع يده اليمنى سيدى محمد جعفر الكتانى وقال لى أشابكك كما شابكنى السيد احمد حسن العطاس وقال لى اشابكك كما شابكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ناولنى سيدى السيد محمد بن جعفر الكتانى سبحته وقال لى اناولك السبحه كما ناولنيها سيدى السيد احمد بن حسن العطاس وقال لى أنا ولك السبحة كما ناولنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٣ ـ ١٩٥ .

ثم ان سيدى محمد بن جعفر الكتانى أجازني اجازة تامة بمؤلفاته ومروياته وكان قد سبق اجازته لي في الاجتماع السابق ومؤلفاته رضى الله عنه كثيرة نافعة جدا وهو ممن سمعت منهم أن شيخنا المذكور السيد احمد بن حسن العطاس يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة رضى الله عن الجميع " (١)

كما حصل الشيخ النبهاني على اجازة من الشيخ محمد الطيب جاء فيها بعد مقدمة طويلة " ...... كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر كلا من أصحابه بما يناسبه من شرعه الشريف وقد توهم من توهم من علماء الظاهر أن هذه الأوامر المختلفة هى خلاقيات فاحتاجوا الى تكلف الجمع بينهما مع أنه صلى الله عليه وسلم أمر كل واحد بما يناسبه كما تقدم ليس الا ، فخذوا أعانكم الله ببذل النصيحه للامة والدعوة الى الله تعالى بما اراكم الحق سبحانه على حسب الوقت والحال فان ما لا يدرك كله لا يترك جله والله ينفع ويجزى كل واحد بقصد نيته ، هذا واني قد أجزتكم ببذل النصيحه ودوام الدعوة الى الله سبحانه بحسب الوقت وما يقتضيه الحال كما أجازني به مشايخي قدس الله أسرارهم اجازة عامة مطلقة اعانكم الله وقواكم واني أرى ان رفع شبهة من قلب معتقدها وتبديل بدعة بسنة مأثورة وهدى نبوى خير من الدنيا وما فيها كما أشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف " فاذا حققنا الله بحقائق أهل القرب وسلك بنا مسالك أهل الجذب أنفقنا مما افاض الله علينا على عائلة المريدين لينفق • ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فينفق مما اتاه الله والسلام عليكم مكررا ومعادا ورحمه الله وبركاته حرر في التاسع من جمادى الثانية سنة ثلاث وثلاث مائة والف كتب على املاء خادم الفقراء محمد الطيب بن محمد المبارك المغربي الحسيني غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين " (٢)

---

(١) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٢ _ ٣٥٣

(٢) جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٣ •

وحصل الشيخ النبهاني على اجازة من الشيخ محمد المبارك الحسيني الجزائري جاء فيها " قد اجازني سيدي الفاضل العالم العامل السيد الشريف محمد بن المبارك الحسن الجزائري بكتاب روح القدس في محاسبة النفس بحق اجازة أخيه العارف بالله سيدي الشيخ محمد الطيب له بحق قراءته هذا الكتاب من أوله الى اخره في المنام على مؤلفه امام العارفين سيدي محي الدين بن العربي وهو يذاكره فيه مذاكرة تأخذ بالالباب " (١) بالالباب

وهؤلاء هم اساتذة الشيخ يوسف النبهاني سواء أكان تلقيه علمهم عن طريق التعليم كما في الازهر أو عن طريق الاجازات بالمشاهدة أو المراسلة ومن هذا يتضح لنا أنه قد تلقى العلم عن أكابر علماء عصره وأن منهجه الديني كان صوفيا مشاركا في أعمال الحياة سواء بوظائفه الحكومية أو عن طريق معالجة مشاكل العصر سواء المشاكل الاجتماعية كما في مؤلفاته ورسائله أو بالتصدي للمؤثرات الاجنبية التي كان يخاف منها على عقيدة المسلمين وأما التلقي عن طريق الاجازات فقد كان شائعا في عصره والاجازة لا ترسل الا لمن يعرف في التقوى والاصلاح مع الاهلية العلمية لتحمل ما يجاز به ولو أني ذكرت الاجازات بتمامها لطال البحث ولكني أثرت ان اشير الى نص الاجازة بالذات مكتفيا عما يسبقه من مقدمات او يتلوه من ختام مع أن الاجازة بكل ما فيها تدلنا على منزلة المجيز وعلومه وعلى منزلة المجاز ومكانته من شيخه صاحب الاجازة . وهي صالحة لو جمعت . لتكون كتابا في أساليب الانشاء (٢) .

أما اجازة الشيخ احمد حسن العطاس فقد ذكرتها بتمامها ما عدا بعض الادعية والصلوات خوف الاطالة ومن يرغب الاطلاع عليها فليراجع المصدر وأؤكد ما ذكرته سابقا من اني ما ذكرتها بتمامها الا لان الشيخ يوسف النبهاني قد

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٥٣

(٢) وهي شبيهة في شكلها وموضوعها بكتاب الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية لمؤلفه الشيخ عبد الهادي ابن السيد رضوان نجا الابياري مع الشيخ ابراهيم الاحدب حيث كانا يتبادلان الرسائل نظما ونثرا ولكن الاجازات تعتبر من باب الرسائل البعيدة التكلف حيث لا يقصد منها الا ما تتضمنه من فوائد علمية وذكر مكانة المرسل والمرسل اليه .

أفرد لها مديحا خاصا يفوق غيرها وقد فرح بها ومعرفة صاحبها فرحا شديـدا بالاضافة الى أنى وجدت أن هذه الاجازة جامعة لمختلف العلوم العقليـة والنقلية والاتهما كما أن فيها من الروحانيات والمكاشفات التى تعطى صورة واضحة لافكار ومعتقدات الشيخ يوسف النبهانى ولعل هذا هو ما حببها اليه من بتناب حكايـة المثـل " .

تلاميـــذه :

لم يشتغل الشيخ يوسف النبهانى بالتدريس حتى يكون له تلاميذ أمـا تدريسه فى عكه واجزم فلم يتعد دروسا فى الوعظ والارشاد ولكن الذين طلبوا الاجازات منه فى مؤلفاته ومروياته هم فى الحقيقه تلاميذه فقد ذكر الشيخ يوسف رحمه الله فى كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " ( الفصل الثانى ) حاله مع تلاميذه فقال : " فى ذكر بعض مكاتيب وردت لى مـن بعض العلماء والاولياء من سادتنا أهل البيت رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ولم أذكر مكاتيب سواهم من العلماء سوى ما ورد لى بطلب الاجازه ولـم أجبهم الى الان أما من أجبتهم فلم أر حاجة لذكرهم هنا مع كثرتهم وقـد أحببت ان اذكر بعض ما ورد لى من مكاتيب من أولئك السادة الكرام الذيـن لم أجتمع بأحد منهم الى الان سـوى سيدى السيد محمد عبد الحـى الكتانى فقد حضر الى بيروت راجعا من الحج فى أثناء تأليف هذا الكتـاب ولو اجتمعت بهم لخف عليهم الامر كثيرا واراونى كما قيل " سماعك بالمعيدى خير من أن تراه " ولكنهم انما مدحوا الكتب واثنوا عليها لما اشـتملت عليه من العلم النافع وأكثرها فى الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم وقـد تفضلوا بمكاتيبهم هذه بدون أستدعاء ولا طلب منى لشيئ سوى اجـازة سيدى العارف بالله السيد أحمد بن حسن العطاس فانى طلبتها منـه مع أنه هو رضى الله عنه الذى تفضل اولا بمكاتبتى من قبل أن أكاتبه فله الفضـل اولا واخيرا وقد ذكرت مكاتيبهم رضى الله عنهم لاعلى سبيل الافتخار وان كـان يحق لى أن افتخر بها لاظهار نعمة الله على فى ذلك ولاحقق ما قلته من أن السبب الحقيقى هو خدمته صلى الله عليه وسلم وهى التى اقتضت محبـه هؤلاء السادة الاكابر رضى الله عنهم ولكون ذلك من أقوى المرغبات فـى هذه الكتب التى يهمنى جدا اقبال المسلمين عليها وكثرة انتفاعهم بها ولا شك انهم تزداد رغبتهم فيها باطلاعهم على هذه المكاتبات مع هؤلاء السادات .

**تنبيه :**

اعلم قبل الشروع في ذكر مكاتيبهم أن منها ما يشتمل على الثناء الجميل في حق هذا الفقير بدون استحقاق مني لذلك حقيقة وانما هو من حسن ظن أولئك السادات واثبات ذلك مني في كتابي وان كان قبيحا هو من قبيل قولهم مادح نفسه يقرئك السلام الا انى اقتديت ببعض الذين اثبتوا ذلك في مؤلفهم لحسن نياتهم مع انى حذفت منها ألفاظا كثيرة من الاطراء والثناء الزائد الظاهر كذبه وعدم موافقته للواقع وحقيقة الامر دائما حملهم عليه حسن الظن وقد أبقيت بعض الالفاظ التى تحتمل التأويل وأسأل الله العفو والعافية وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد جعلت لما ورد من كل سيد من المكاتيب فصلا خاصا (1) لقد اثرت في ذكر تلاميذه ألا أذكر الرسائل التى وردته لطلب الاجازة بتمامها خوفا من الاطالة واكتفيت بذكر غرضها وتاريخها واسم وعنوان مرسلها مع ما تحمله فى مقدمتها وخاتمتها من التبجيل والاحترام والتقدير للشيخ يوسف النبهانى منوهة بفضله وقبول مؤلفاته في بلاد هم التى عن طريقها عرفوا الشيخ النبهانى . والكثير منهم يشرح حالة وطلبه للعلم وما حصله من العلوم النقلية والعقلية والانتها وذكر مشايخة وكأنه يوضح أهليته لتلقى الاجازة .

وقد جعل الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله لكل رسالة فصلا خاصا بها وانا أبقى هذا الترتيب على حاله كما أراده الشيخ النبهانى .

فصل — ورد مكتوب من السيد عمر بن محمد بافقيه باعلوى وهو مقيم في الهند يطلب فيه الاجازة من الشيخ النبهانى ويعلمه عن وصول كتبه وقرائتها من جميع اطراف تلك الجهات والرسالة محررة يوم الخميس ٢٤ شوال ١٣١٨ في بندر كليمو سيلان وأشار الشيخ النبهانى الى ورود عدة مكاتيب منه والمكتوب الاتى منها يذكر فيه وصول الكتب التى ارسلت

---

(1) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٣

له ثم يطلب قائمة بمؤلفات الشيخ النبهاني لشرائها وذكر عنوانه في سنغافوره هاى ستريت نورة ٢٩ حرر في الجمعه ٢٩ رجب ١٣٢٠ .

وأورد الشيخ النبهاني مقتطفات من كتب مخطوطة أرسلها له السيد عمر بن محمد بافقيه باعلوى وهي :

الكتاب الاول :

( ايضاح اسرار علوم المقربين ) والكتاب في حجم مائه ورقة

الكتاب الثاني :

( رشفات شرب اهل الكمال ونسمات قرب أهل الوصال ) نظم السيد الشريف الفاضل العلامة عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بافقيه با علوى .

الكتاب الثالث :

( النفحة المدنية في الاذكار القلبية والروحية والسرية في الطريقة العيدروسية )

للعارف عبد الرحمن ابن مصطفى العيدروسى باعلوى .

الكتاب الرابع :

( غاية القرب في شرح نهاية الطلب ) :

للسيد الشريف محيى الدين عبد القادر بن الشيخ العيدروسى

الكتاب الخامس :

( شرح صلاة سيدى أحمد البدوى ) :

للسيد عبد الرحمن ابن مصطفى العيدروسى .

الكتاب السادس :

( الجزء اللطيف في بيان التحكيم الشريف ) :

للشيخ ابن العيدروس المدني .

الكتاب السابع :

( القول الجميل في بيان سواء السبيل ) :

للشيخ أحمد شاه ولى الله المحدث .

الكتـــاب الثامـــــن :

يسمى ياسمين الاول ( سلسلة الذهب ) والثانى ( اسباب التوفيق فى أوراد الطريـــق ) للشيخ محمد البهنســـــى ٠

الكتـــاب التاســـع :

( كتـــاب السير والسلوك الى مـلك المـلوك ) :
للشـــيخ قاســـم الخانى الحلـــبى ٠

الكتـــاب العاشـــر :

يقول الشيخ النبهانى " ولم نعلم اسمه لكون أولـه فيه تقطيـــــع من الدور للشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن يونس المقلب أحمـــــد بن على الشـــــناوى ٠

الكتاب الحادى عشـــر :

عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبيـــة يذكر طريـــــق السادات العلوية للشيخ عيد روســـى ابن عمر بن روســـــــى الحبشـــــيى العـــلوى ٠

(فصـــل ) " ورد عدة مكاتيب من السيد ( عبد الله بن عبد الله العطاسى ) المقيم فى بندر بتياوى من البلاد الجاوية بطلب الاجازة ٠ المكتوب محرر فى ١٤ شعبان ١٣٢٢ ٠

( فصـــل ) ورد مكتوبان من السيد على بن عبد الرحمن الحبشى الحسينى يطلب الاجازة لبعض الاوراد والصلوات حرر فى ٦ شوال ١٣١٩ هـ ٠

( فصـــل ) ورد مكتوب ( السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل ) المقـــيم فى بلاد الجاوة حرر فى بتاوى ٢ رجب ١٣٢٣ هـ ٠ ذكر فى رسالته قراءتـــه لكتب الشيخ النبهانى التى وردته وكتب الشيخ حسين الجسر والشـــيخ رحمة الله الهنـــــدى ٠

( فصـــل ) وردت مكاتيب كثيرة من السيد عقيل بن عثمان بن عبد اللــه بن عقيل مقيم فى بلدة جاوة مدينة تيمور كوفع يطلب الاجازة فى مؤلفـــات النبهانى حررت فى ١ شوال ١٣٢٢ ومما جاء فى رسالته " ســـيدى أنى سمعت غير مرة والدى المذكور يقول ان هذا الشيخ يوسف النبهانـــى له منة على الامة المحمدية عظيمة بقيامة بما يبهط ويدحض حجج أعدائهـــا

ونحن معشر أهل البيت أحق بقبول مؤلفاته والاقبال عليها وعليه وكان يقول كثيرا من هذا وكان مغتبطا بكتابكم حجة الله على العالمين وكثيرا ما يسبق على لسانه فيقول هاتوا كتاب رحمة الله على العالمين .

( فصل ) ورد كتاب من ( السيد حسن بن علوى بن عبد الله بن شهاب الدين العلوى الحسينى ) يطلب فيه الاجازة تحريرا فى بندر سنغافورة فى ١٧ ذى القعدة ١٣٢٢ .

( فصل ) ووردت رسالة من ( السيد أحمد أدريس الاهدلى يطلب فيها اجازة عامة حرر فى ٢٨ محرم ١٣٢٣ هـ يقول الشيخ النبهانى رحمه الله واما ما ورد من علماء الاشراف فى المغرب فمنهم ( السيد الشريف محمد المكى بن عزوز التونسى فى غرة جمادى الثانية ١٣١٢ هـ وأرسل له رسالة ثانية من تونس فى ١٥ ذى الحجة ١٣١٣ جاء فيها ردا على أبيات ذكرها النبهانى فى سعادة الدارين بالابيات التى وردت فى الرسالة هى :-

| | |
|---|---|
| اله الورى جاز المؤلف خيرا ما | تجازى به أهل الافادة يابارى |
| وبارك له فى العمر واجعل جواره | لاحمد كى يرتاح بالدار والجار |
| امام تحرى الهدى فى قرب مسلك | فأبرز للاخوان مشكاة أنوار |
| شغفنا به حتى اتخذناه وردنا | صبوحا غبوقا فى عشيى وابكار |
| به ابتهج الاسلام والعلم والحجا | فذكراه فى الافاق افخر معطار |
| وكم من يد بيضا ليوسف ابرزت | تصانيف فى الاسلام ينبوعها جارى |

ثم طلب الاجازة من الشيخ النبهانى . يقول الشيخ النبهانى " ..... وفوق ذلك هو شريف من السلالة الطاهرة وانا لست بشريف ولذلك ما طلته فى الاجازة فراجعنى مرارا حتى أجبته وانا فى غاية الحياء .

( فصل ) وورد مكتوب من السيد محمد العروسى بن يوسف السهيل الشريف يطلب الاجازة المطلقة فى الحديث لان النبهانى الف فى الحديث حرر فى ١٠ شوال ١٣٢٢ هـ .

( فصل ) وورد مكتوب منه السيد محمد عبد الحى ابن السيد عبد الكبير الكتانى يطلب فيها الاجازة لنفسه وللسيد محمد بن أحمد بن الشريف العلوى الاسماعيلى واخرى لولده محمد عبد الحى وبقية اخوته واولادهم واحفادهم .

ثم يقول السيد محمد عبد الحى الكتانى ( وقد كنت عولت على ان ـ أستجيز لكم ما هنا من خالى مولاى جعفر شيخ الديار المغربية ووالـــدى الامام مسند العصر وبركته الشيخ عبد الكبير فأحجمت ريثما يرد على اذنكم المجاب الملبى فان تفضلتم باستدعاء الاجازة لنا من الشيخ البيطار وابـــن عابدين فياحبذا أو نعمت الفائدة ٠٠٠٠٠٠ الخ ) حرر فى يـــوم الجمعة ٤ ربيع الثانى ١٣٢٣ وقد اجابه الشيخ النبهانى وطلب الاجـــازة منــــه ٠

كما ذكر الشيخ النبهانى أيضا انه وردته رسالة من الشيخ محمد عبـــد الكبير الكتانى منذ عشر سنوات يمدح فيها مؤلفات النبهانى وخصوصـــا طيبة الغراء وقد فقدت الرسالة منــه ٠

( فصـــل ) وردت رسالة من السيد الشريف محمد يحيى الصقلى الحسينى الفاسى فى مدينة فاس وفيها اثنى على الشيخ النبهانى واثنى عليه ثنـــاء جميلا حرر فى مدينة فاس الجمعة ٢ ذو الحجة ١٣٢١ هـ ٠

( فصـــل ) ورد مكتوب من ( السيد رشيد الحسينى الملقب عراقـــد فى ١٤ رمضان ١٣٢٣ ومما جاء فى رسالته "وبعد فأنا اثنى علـــى الشيخ النبهانى وعلمه مقدارا تآليفه ٠٠٠٠٠ ولا شك أن والدكـــم له بركات قال الله تعالى وهو أصدق القائلين " والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (١) وهو يراســـل النبهانى لما سمعه عنه من أخبار صالحـــة ٠

( فصـــل ) ورد مكتوب من السيد محمد البخارى بن الصادق بن المبارك الشريف العقبى الجزائرى يطلب الاجازة قسنطينة دائرة بسكرة الجزائـــر فى ٢١ شعبان ١٣٢٣ (٢)

---

(١)

(٢) لباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٦ ـ ٣٧٧ ـ بالتصـــرف ٠

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ...... وقد ورد لي أيضا في هذا المعنى مكاتيب كثيرة من العلماء الاشراف وغير الاشراف سوى من ذكرتهم وكثير منهم طلبوا الاجازة فكتبتها لهم في أخر ثبتي " هادى المريد " وأرسلتها اليهم مع البريد ولم احفظ مكاتيبهم لاني اجبتهم عنها ولم اكن في نية اثبات هذه المكاتيب في مؤلف كما فعلته الآن ولو خطر لي هذا اولا لحفظت جميع المكاتيب التي وردت لي في هذا الشأن ولكن الخيرة فيما اختاره الله وهكذا الامر كان ولما كان بعض هؤلاء المذكورين هنا قد طلبوا الاجازة ولعلي كسلت عن جواب بعضهم ويلزمني أن اجيزهم الآن اجابة لطلبهم وتحقيقا لاجازاتهم فأقول قد أجزت بلساني وقلمي ساداتي المذكوريين الطالبين للاجازة ومن يقبلها من أصحاب المكاتيب المذكوره وان كان جلهم او كلهم بمنزلة مشايخي بأن يرووا عني جميع مؤلفاتي وما أجازني به مشايخي وكل ما اشتمل عليه ثبتي هادى المريد الى طرق الاسانيد " وما الفته اورويته بعد طبعه ونشره اجازة عامة شاملة لجميع مؤلفاتي ومروياتي التي اشتمل عليها الثبت المذكور وغيرها وساداتي الاتي ذكر مكاتيبهم مع الذين طلبوا لهم ذلك معهم في المكاتيب ولهم ولم اجبهم عليها الان نفعني الله بهم اجمعين وحشرني اياهم في زمرة المحبين بسيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين واوصيهم ونفسي وكل مسلم بتقوى الله تعالى وأقوى أسبابها بعد الايمان وهو حب أهل بيت النبوة واكرامهم بالمال والحال والاقوال والافعال لله ورسوله لا بقصد ان يكافئوه على فعله الجميل ، ومن دقق في قوله تعالى " قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى " علم ان مودتهم لا يفضلها بل لا يساويها شيء بعد الايمان من الاعمال الصالحة على الاطلاق، لجعلها اجرا على تبليغ الرسالة " (١) .

وأما مكاتيب غير العلماء الاشراف :

فيقول الشيخ النبهاني رحمه الله عنها واما مكاتيب غير العلماء الاشراف التي وردت لي في هذا الشأن واجبتهم عنها فلم اذكر منها

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

منها شيئا هنا لأنى لم أر لذلك ضرورة وقد مضت وانقضت هى وأجوبتها

" غير أنه رحمه الله يذكر رسالة الشيخ رضى الدين بن فخر الدين عضو الجمعية الاسلامية ببلدة اوفا فى البلاد الروسية فى ٢٨ ذى القعدة ١٣١٩ يذكر فيها وصول كتب الشيخ النبهانى اليها ومطالعتهم فيها ويطلب الاجازة منه . كما يذكر رسالة وردت من الشيخ عبد الله بن غازى المكى مولدا الهندى أصلا يطلب الاجازة ويذكر العلوم التى حصل عليها والمشايخ الذين درس عليهم ويطلب الاجازة ايضا للشيخ محمد عبد الرحمن المعروف بخادم حسين .

ويذكر رسالة وردت من الشيخ أحمد أبى الخير بن الشيخ عثمان جمال المكي الحنفى يطلب الاجازة ويذكر شيوخه والعلوم التى حصل عليها فى غرة ربيع الثانى ١٣٢٠ هـ .

( فصل ) ورود مكتوب من السيد محمد بن اسماعيل الكبسارى ومحمود بن أحمد حسن فضيل من علماء اليمن يطلبان فيها الاجازة فى رسالة واحدة فى ٢٧ رجب ١٣٢٠ هـ وطلبا الاجازة ايضا لكل من عبد الله بن حسين الغشيمى ومحمد بن حسن البطاح والشيخ احمد غشيمى وكلهم من مدينة زبيد .

( فصل ) ورود مكتوب من الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمد الطاهر الفهدى الفاسى يطلب فيها الاجازة له ولابناء أبيه واحفاده فى يوم الجمعه ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٣ هـ (١) . ومن الذين تتلمذوا على الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فضيلة الشيخ عبد المقصود محمد سالم فقد قابلته فى جامعه تلاوة القرآن الكريم - قرب مقام السيدة زينب وقد اجتمع بالشيخ النبهانى وحادثه وقد اثنى على الشيخ النبهانى لاخلاقه النبوية وقال من ينظر اليه لا يشك فى أنه من المقربين وقد ذكر الشيخ عبد المقصود أنه تتلمذ على الشيخ النبهانى فى كتابه ( فى ملكوت الله ) جاء فيه " وقد تلقيتها - الاسماء الادريسية - من العارف بالله الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى صاحب التآليف المشهورة وكان

---

(١) أسباب التأليف من العاجز والضعيف ص ٣٨١ - ٣٨٢ - بالتصرف .

ذلك عام ١٩٢٠ عند ما قابلته فى مطبعة الحلبى بجوار الازهر الشريف فقد عرفني به صاحب المطبعة وقتذاك حيث كان فى ذلك الحين يزور القاهرة وكنت شغوفا بمطالعة كتبه الكثيرة فاذن لى بقراءة كتبه ومنها هذه ( الاسماء الادريسية ) واهدى لي الكثير من مؤلفاته ودامت صداقتنا من ذلك الحين فظل يكاتبني واكاتبه حتى انتقل الى رحمه الله تعالى فى عام ١٣٥٠ قدس الله روحه وانار ضريحه . واشهد الله انه اول موجه لى من الشيوخ الذين قابلتهم فى مقتبل حياتى وكان لقائى له سببا فى تحول مجرى حياتى الى ما هى عليه الآن ....... اسكنه الله فراديس الجنة . (١)

وأجاز الشيخ يوسف النبهاني الشيخ احمد بن حسن العطاس السالف الذكر (( بالصلاة الفيضية )) فأجابه الشيخ العطاس بالقبول جاء فى رسالته " ....... وقد اجتمعنا ببلدة سيون بأخينا العارف بالله تعالى الامام الهمام السيد على بن حبيب محمد بن حسن الحبشى وكثير من فضلاء المصريين وجرى ذكرك لديهم وتلونا مكتوبكم عليهم فطربت أرواحهم وتضاعفت افراحهم والقى الله محبتكم فى قلوبهم الطاهرة العامرة ومنحوكم صالح الدعاء وجميل الذكر والثناء فهنيئا لكم بذلك وقد قبلت اجازتكم لى بالصلاة الفيضية وافدت بها كثيرا منهم فجزاكم الله عنى وعنهم وعن المسلمين خيرا " (٢) .

وممن اجازه الشيخ النبهاني رحمه الله الشيخ امين البيطار الشامى اذ يقول " وانى طلبت من المذكور — النبهاني — حفظه الله تعالى اجازة بقراءة كتابه الانوار المحمدية فاني قرأته فى الجامع بعد صلاة الظهر فاجازنى حفظه الله تعالى به والجميع مروياته جزاه الله عنى خيرا فى شعبان ١٣١٥ هـ . (٣)

وممن اجازه الشيخ النبهاني ايضا الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعى حيث يقول " اجازنى — أى الشيخ يوسف النبهاني — فى الحرم

---

(١) فى ملكوت الله مع أسماء الله الحسنى للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص ١٣٩ — ١٤٠
(٢) جواهر البحار جـ ٤ ص ٣٣٠
(٣) هادى المريد الى طريق الاسانيد ص ١٤

المدنى باجازة عامة بما يشتمل عليه ثبته المسمى هادى المريد الى طريق الاسانيد " (١) .

هؤلاء تلاميذ الشيخ النبهانى الذين ذكرهم فى كتبه مع انه اهمل الكثير من الرسائل التى كانت ترده من غير علماء الى البيت ولم يثبتها للاحتفاظ بها لتجمع لنا الكثير من هذا التراث ولكن زهده منعه من اظهار كل ما يظهر فضله وعلمه وكان الدافع الاساسى لاهماله هذه الرسائل . هذا الزهد الذى كان مسيطرا على الشيخ النبهانى أدى الى ضياع الكثير من تراثه الذى لو اهتدينا اليه لاستطعنا ان نرسم صورة فكرية اكثر عمقا ووضوحا وسوف يظهر هذا لنا واضحا عند الكلام على شعر النبهانى حيث ان ما قاله لاغراض غير دينية قد أمر باتلافه ولم أعثر الا على ثلاث قصائد فقط بعد جهد وبحث فى بيروت ودمشق وبغداد وعمان ولكن بنظرة عامة على تلاميذه نجدهم قد امتدوا الى مراكش غربا وبلاد جاوة وسومطرة شرقا والى حضرموت واليمن جنوبا ووسط روسية شمالا وهذا يدل على انتشار أفكاره حتى فى هذه الجهات النائية واذا أدركنا ضعف وسائل الاعلان والنقل وقتها أدركنا قوة هذه الافكار التى استطاعت ان تصل الى تلك الارجاء النائية فى مدة وجيزة أدركها الشيخ النبهانى نفسه مما دعاه الى وضع مؤلفه الذى سماه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف الذى يظهر من أسمه وكأنه يعتذر عن هذه المؤلفات المشهورة انطلاقا من مبعث الزهد كما ذكرناه آنفا والذى يستعرض أساتذه الشيخ النبهانى والعلوم التى درسها واجازاته من مشايخه وما أجيز به يظهر لموضوح أنه كان مستغرقا فى ورعه وتصوفه استغراقا سخر له كل ما يتصل بحياته من قريب أو بعيد ويظهر لى ان الشيخ النبهانى اقرب الى الامام الغزالى بتصوره وأفكاره نحو الدنيا والآخره فالذى يقرأ الامام الغزالى فى كتبه بعد أن جعل التصوف منهجه وسلوكه يجد أن كلا منهما صورة للآخر . وهذا ما سأوضحه ان شاء الله تعالى عند الكلام على " شخصيته ومبادئه فى الفصل الرابع من هذا الباب وما تجدر الاشارة اليه أن الشيخ النبهانى رحمه الله قد استوعب كل ما أسهم فى ثقافته وعكسه على انتاجه ومؤلفاته وهذا ما سنلاحظه عند

---

(١) الدر الفريد للشيخ عبد الواسع الواسعى ص ١٣ ـ ١٤

الكلام على مؤلفاته في الفصل الثالث من الباب الثالث ان شاء الله .

## الفصل الثالث

## (( مكانته في المجتمع الاسلامي ))

### مكانته العلمية :

بعد الاطلاع على تفاصيل حياة النبهاني السابقة يتبين لنا أنه نشأ في بيئة علمية فوالده الشيخ اسماعيل النبهاني كان عالما ، ولذلك حفّظ ولده القرآن وبعض المتون أي أن الشيخ يوسف قد تلقى مقدمات العلوم الشرعية والعربية في بيته وكان أستاذه الاول والده . مما أدى الى رسوخ هذه العلوم في فكره واندماجها في شخصه ولذلك كانت دراسته في الازهر الشريف دراسة توسع واطلاع وليست دراسة مبتدئة حتى اذا مكث في الازهر الشريف سبع سنوات كانت بالنسبة له كافية مما دعا والده الذي هو أكثر الناس معرفة بولده - لاستدعائه . ومن يطلع على الموضوعات التي كتب فيها الشيخ يوسف النبهاني يجد أنه قد استوعب معظم موضوعات الشريعة فقد كتب في التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتصوف والأدب وعالج مشكلات عصره معالجة ايجابية متفاعلا معها بالاضافة لاتقانه للقوانين المعمول بها في وقته اذ كان رئيسا لمحكمة الحقوق في بيروت التي هي أعلى سلطة قضائية في الولايات العثمانية ومن يقرأ ما كتبه النبهاني في المسائل الخلافية كانتصاره لمذهب المتصوفه في التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه " شواهد الحق في الاستغاثه بسيد الخلق " يجد أن النبهاني رحمه الله لا يكتب في شيء الا بعد الاطلاع الواسع على جوانب الموضوع المختلفة كما يظهر من الكتب التي استشهد بها في نقوله ثم نلاحظ انه أمين في ايراد النصوص التي تؤيد رأي الخصم فهو يذكرها بوضوح لتؤدي المعنى الذي وضعت له وبعد أن ينتصر للفكرة التي يؤيدها تراه - بتواضع المنتصر - يذكر الجوانب الحسنة في الخصم ويقرر أن خطأه في هذه المسألة لا ينقص منزلته العلمية . فهو يقول عن ابن تيمية في كتاب شواهد الحق الذي الفه خصيصا للرد على ابن تيمية حيث يقول - النبهاني - " وابن تيمية

هذا هو امام كبير وعلم شهير من أفراد ائمة الامة المحمدية الذين تفتخر بهم على سائر الامم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان التوسل وزيارة قبر الرسول — خطأ فاحشا خالف فيه جمهور الامة من السلف والخلف كما بين ذلك كثير من المحققين ، ومن أجلهم الامام السبكي المذكور في كتاب " شفا السقام في زيارة قبر النبي عليه السلام " وابن تيمية وان اخطأ في هذه المسائل المعدودة فقد أصاب في مسائل لا تعد ولا تحد نصر بها الدين المبين وخدم بها شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . على أن بعض ما نسب اليه من تلك المسائل أنكر صحة نسبتها اليه بعض العلماء الاثبات وعلى كل حال ان الحسنات يذهبن السيئات . وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرني مع هذين الامامين الجليلين في جملة المحبين المتحابين الذين قال الله في حقهم ( ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . ) (1)

والنبهاني رحمه الله لا يدع فرصة لتسويغ موقف خصومه الا ذكرها وهو لا ينتقص شخوصهم وقوة علمهم وانما رده عليهم فيما خالفهم به فقط وفي مكان آخر يقول ( ... لا يتوهم متوهم من القاصرين أن الامام ابن تيمية أو واحدا من جماعته ، ولا سيما ابن القيم والحافظ عبد الهادي يقصدون بعباراتهم التي منعوا فيها السفر لزيارة القبور وتعظيمها حتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم أو التعرض لعلى رتبته التي تجاوزت رتب المخلوقين على الاطلاق حاشاهم من ذلك فانهم هم من أكابر علماء المسلمين وحماة هذا الدين المبين ولكن لهم مذهب بحسب ما ظهر لهم من الادلة التي قامت عندهم وفهموه من الكتاب والسنة بقدر ما أعطاهم الله في ذلك من الفهم أما علو مقام النبي صلى الله عليه وسلم فهم قد شرحوه وبينوه في كتبهم . أما ابن عبد الهادي فلم أطلع له على كتاب غير ( العارم المبكي ) وياليته لم يؤلفه أما ابن القيم فمن أحسن كتبه كتاب ( جلاء الأفهام في فضل الصلاة على سيد الانام صلى الله عليه وسلم )

الصارم

(1) شواهد الحق في الاستغاثه بسيد الخلق ص ٥٢ — ٥٣

وقد نقلت منه فى كتابى ( سعادة الدارين ) فوائد مهمات يعظم له بها ان شاء الله تعالى المثوبات وكتابه ( زاد المعاد ) وهو من أجل وأنفع الكتب الدينية وأما الامام ابن تيمية فمن أحسن كتبه ( الجواب الصحيح فى الرد على من بدل دين المسيح ) وقد نقلت منه فى كتابى ( حجة الله على العالمين ) وغيره ما تنشرح به الصدور وتكثر له به ان شاء الله تعالى الاجور .

وقد رأيت أن أنقل عبارة له هنا فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ذكرها فى كتابه المسمى بـ ( بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول ) ثم أورد الشيخ النبهانى رحمه الله العبارة التى يعظم ابن تيمية فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقول تعقيبا عليها " أليس من العجيب ان من يقول هذا الكلام فى حق سيد الانام عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى عدم السفر لزيارة قبره الشريف ويجعل ذلك معصية من معاصى الله تعالى ويمنعهم من الاستغاثة الى الله به عليه الصلاة والسلام ويجعل ذلك من الاشراك بالله سبحانه وتعالى ، فوالله لولا ان الله تعالى يفعل فى خلقه ما يشاء لما كنا نصدق بأن ذلك يصدر من أحد من ضعاف علماء الاسلام فضلا عمن هو كابن تيمية امام وأى امام ، وأغرب من ذلك أن يتبعه عليه مثل ابن القيم وهو أيضا من أئمة العلماء الاعلام وابن عبد الهادى أيضا من أكابر حفاظ الاسلام وسيأتى نقل بعض عباراتهم الشنيعة فى هذا الشأن فيتحقق بذلك كل من عافاه الله تعالى منها أنها ليست من علمهم وانما هى من عمل الشيطان ولكنهم مع ذلك لحسن نياتهم وكثرة حسناتهم أهل ومحل للعفو والرحمة والغفران (١) .

ويقول الشيخ عبد الله العلايلى فى بيان المكانة العلمية للشيخ النبهانى " كان فقيها كبيرا ومرجعا فى الاحوال الشخصية ومجلة الاحكام العدلية التى عصرنت فيها الاحكام الشرعية وللشيخ النبهانى شروح على هذه المجلة ويعد من المراجع بخصوص مجلة الأحكام وكان متضلعا فى الاصول يعرف طرائق الاستدلال واستخراج الاحكام التفصيلية من أدلتها الاجمالية

---

(١) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٦٩ — ٧٠

وقد عرفت ذلك عنه من النوازل الحادثةفى كثير من القضايا التى دارت بينى وبينه نعم انه كان يميل الى كثير من التزمت مثل قضية التأمين كنت أذهب فيها الى الحلية ما عدا التأمين على الحياه أما النبهانى فيحرم التأمين مطلقا فهو عنده غرر فكان يتمتع بملكة استحصال الى جانب ملكة استحضار وقد انقطع فى آخر أيامه للنبويات .

ويقول الشيخ عبد الله أيضا " كان عنده شمولية فى الاعلام وقلما يخطىء فى علم وعندى من بعض كتب وتعليقات بخط يده . وكان يملك بعض النوادر فى الكتب مثل كتاب " لب اللباب " للامام السيوطى وهو كثيرا ما يأخذ على الامام السيوطى فى بعض تعليقاته وهذا يدل على سعة اطلاعه .

ومما يدل على تبحره أنى قرأت له كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوى وقد وضع خطا تحت المهم واشتريت من كتبه ايضا كتاب خلاصة الاثر للمحبى وكتاب المرادى الذى هو تتمة لكتاب المحبى وتاريخ الخميس للديار بكرى أربع اجزاء طبع الاستانه وعنده غزارة ووفرة فى الاطلاع .

ويقول الشيخ عبد الله العلايلى ايضا فى مجال اظهار مكانة الشيخ النبهانى الادبية " وقد انقطع فى آخر أيامه للنبويات وعظمته من الناحية الادبية تجلت لانه قمة من قمم الادب الرفيع الذى عرفه القرن التاسع عشر لأن الصياغة الاسلوبية لم يأخذها من عصر التخلف وانما من المنابع الاصلية وشأنه فى الادب العربى بمنزلة البارودى بل لعله فى مولده من أروع ما قيل يعد أرفع من البارودى لانه أصبح قمة فتح بها باب التجديد شأنه فى الإحياء شأن البارودى ، وشأنه فى التجديد شأن اسماعيل صبرى وهو دون شوقى ويساوى النبهانى شوقى فى دور الاسلاميات الدور الاخير - وقد كان النبهانى أطوع وأعمق من البوصيرى فى الاغراض التى طرقها وفى الاغراض التى لم يطرقها وفى الموازنه بين الهمزيات الثلاث همزية شوقى وهمزية البوصيرى وهمزية النبهانى نجد البوصيرى يكون قمة بمطلعها ويقترب النبهانى منه وشوقى كان على البركة ، النبهانى جارى البوصيرى مع العمق الفكرى المولد وقد أهملت شخصية النبهانى على رغم مالها من التراث الضخم وقد قفز الشيخ يوسف النبهانى بالشعر العربى قفزة محسوسة الشيخ النبهانى يجىء طبقة بين البارودى واسماعيل صبرى وهو يأتى مرحلة انتقالية بين البارودى واسماعيل صبرى . ولا يوجد فى تاريخ الادب العربى من وقف

شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الشيخ يوسف النبهانى .. نعم المرزوقى فى المغرب وقف شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يكن بغزارة الشيخ يوسف النبهانى . كان النبهانى رائدا فى المدائح النبوية فى عصر النهضة وفى بعض الجوانب ".(١)

ومما يظهر مكانته العلمية كثرة الاجازات التى تلقاها او اعطاها وللاجازات اهميه كبرى عند العلماء حيث بها يتصل سند المريد بمؤلف الكتاب واتصال الاسانيد عن طريق الاجازات ميزه عالية فى حفظ علوم الأمة الاسلامية التى امتازت بها عن سائر الامم . وهذه الميزة جعلها الشيخ النبهانى رحمه الله الاساس فى اثبات صحة ما وصلنا من أحكام الشريعة الاسلامية دون الشرائع السابقة اذ أن العلوم الشرعية وصلتنا عن طريق أجيال الرواة المتصلى الاسناد مما أدى الى حفظ هذه العلوم صحيحة الى أن وصلتنا كما صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الصحابة . (٢)

يقول الشيخ عبد الله العلايلى " ..... ولا بدع فالرواية تقيم الصلة الفكرية مع الاجيال عبر التاريخ فى نوع من الدقة والتحقيق والثقة وفى نوع آخر من الشعور بالتبعة العلمية يختلف عن مثله فى النقل عن الكتاب والاخذ من هنا وهناك كيفما اتفق "

ويقول أيضا " وهذه القيمة للرواية تظهر أكثر فأكثر لمن دفع فى مضايق البحث والمقابلة وشهد ما تضج به المخالفات التعليمية من تصحيفات وأوهام تجعلك لا تطمئن اليها الا بالأخذ عن الثقة وانا لا أشك فى أن شيوع الاخطاء ان فى اللغة أو فى الحديث أو فى التاريخ يرجع الى اليوم الذى انقطعت الرواية فيه وقام مقامها الاخذ عن الكتاب دون السماع وان سادتنا القدامى بلغ من سوء ظنهم فيمن لا يحفل بالرواية أنهم اشتقوا كلمه التصحيف " (٣) أى ، احالة الشيء عن صوابه - بملاحظة الاخذ عن صفحات الكتاب ، فقالوا " صحف الرجل " أى تلقى من صحيفة دون رواية مشير بذلك الى توهينه والشك

---

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله العلايلى فى منزلة فى بيروت فى ٦ / ١ / ١٩٧٥

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهانى فى كتابه " خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام ص ٥٢٢ - ٥٢٣

(٣) جاء فى القاموس المحيط ( الصحفى ) حركة من يخطيء فى قراءة الصحيفة والتصحيف الخطأ فى الصحيفة .

في كفاءة اعتمادة لتدل اخيرا على الخروج بالشيء عن وجه الصواب وعلى الخطأ (١)

ويقول الشيخ محمد جميل الشطي " قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : انما الناس بشيوخهم وقال الامام عبد الله بن المبارك الاسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء " (٢) وجاء في كتاب التصحيف والتحريف عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال " كان يقال لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي (٣) .

وفي هذا تظهر مكانة الشيخ النبهاني العلمية رحمه الله حيث ان معظم علومه قد أخذها بالتلقي المباشر من أساتذته في الازهر وعن طريق الاجازات المختلفه التي اتصل سنده بمؤلفي مختلف العلوم الاسلاميه العقلية والنقلية

وقد أطلق الشيخ صفاء الدين آل الشيخ لقب المجتهد على الشيخ يوسف النبهاني في موضوع كتبه في مجلة التربية الاسلامية " بعنوان " صلاة الاربع قبل الجمعة والاربع بعدها " (٤)

وفي مقابلتي للاستاذ محمد عزة روزة قال " ان تفسير الشيخ النبهاني " قرة العين من البيضاوي والجلالين " هو أحسن ما كتب في مثله فهو كثيرا ما يضع ألفاظا قليلة لبعض المعاني القرآنية الواسعة مما يدل على فهمه الكامل للقرآن " (٥) قال هذا تعليقا على قول النبهاني في مقدمة تفسيره وأجبته — أي مصطفى الحلبي . الى ما سأل من تفسير الالفاظ الغريبات ولم أقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات ، وتوضيح ما أشكل من الآيات الكريمات فجاء والحمد لله مع اختصاره يغني اللبيب عن مراجعة المطولات " (٦)

---

(١) اتحاف ذوي العناية ثبت محمد العزوزي الادريسي ص هـ — و

(٢) المرجع السابق ص ل

(٣) كتاب التصحيف والتحريف للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ج ١ ص ٨

(٤) مجلة التربية الاسلامية : بغداد العدد السابع ١٤ أذار ١٩٧٢

(٥) قابلته في النصف الثاني من شهر اغسطس ١٩٧٤ في فندق الزعفران في مصيف الزبداني في سورية

(٦) قرة العين من البيضاوي والجلالين ص ٢

ويقول صاحب معجم الشيوخ في ترجمة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله

" عالم مشارك في كثير من العلوم العربية والفنون الادبية مداوم على المطالعة والجمع من غير ملل ولا سأمة محسن ترتيب المسائل وتنسيق النقول وزاده ملكة واقتدارا على الكتابة والانشاء بعبارة فصيحة عالية خالية من الركاكة اشتغاله مدة بتحرير جريدة الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها من الكتب وذلك كله مما أعانه على مؤلفاته العديدة ولاسيما أشعاره النبوية العجيبة الجامعة بين الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية مع اشتمالها على الأوصاف المحمدية الجليلة والاخلاق الكريمة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الادبية مع تبحره فيها وتمكنه منها نظما ونثرا بل اقتصر على الامداح النبوية والموضوعات الدينية التي اختصرها وهذب كثيرا من مؤلفات من قبله وجمع فيها ماكان متفرقا " (1)

وقابلت الاستاذ عماد بك الصلح (2) فقال " ان الشيخ محمد صديق بهادر الهندي كان زوج أميرة هندية . وقد كتب في موضوعات اسلامية وعربية مختلفة لا تجتمع لشخص واحد وكان الشيخ النبهاني رحمه الله من الذين اتهموا بالكتابة له في بعض الموضوعات لتنشر باسم الشيخ محمد صديق بهادر مقابل مبلغ من المال .

وقد ناقشت الاستاذ عماد بك الصلح في هذا الموضوع وكان مما قلته له " ان الوازع الديني عند الشيخ النبهاني رحمه الله يمنعه أن يبيع مؤلفه لينشر باسم شخص آخر مقابل مبلغ من المال وهو الذي كان يطبع كتبه دون أن يأخذ شيئا من الربح وجعل حق الطبع لكل المسلمين شرط اجادة الطبع والنبهاني رحمه الله كثيرا ما كان يصرح في كتبه أنه يتحمل الديون الكثيره في طبع كتبه بالاضافة الى ان الاتجاه الديني والفكري للشيخ محمد صديق بهادر مخالف للشيخ يوسف النبهاني فالشيخ محمد صديق بهادر يشنع على من يتوسلون بالانبياء والاولياء وهو ضد التصوف كما يظهر من كتابه " الدين الخالص " لذلك لا يعقل أن يكون هناك أي تقارب بين الشيخ

---

(1) معجم الشيوخ للفاسي ج ٢ ص ١١٦

(2) هو أخ الاستاذ تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان السابق وهو يحضر رسالة دكتوراه في جامعة السربون عن " احمد فارس الشدياق " قابلته في بيت اخيه منح الصلح الكائن في رأس بيروت مقابل السفارة السعودية ١٩٧٥/١/١

**النبهانى والشيخ بهادر .**

ومما يجدر ذكره أنى قد تصفحت جميع أعداد "مجلة ثمرات الفنـــون" التى كانت يصدرها الشيخ عبد القادر القبانى فى بيروت وهى مزامنه للشـــيخ يوسف النبهانى وهى مصورة على شريط ميكروفلم وكذلك صحيفة الجوائـــــب وهى أيضا مصورة على شريط مايكوفلم وكلاهما فى الجامعة الامريكية فلم أجـــد للشيخ النبهانى أى قصيدة فى المناسبات الدينية العامه مثل عيد المولـــد النبوى الشريف أو عيد الجلوس السلطانى أو غيرها من المناسبات التى كـــان الشعراء والكتاب يتبارون فيها مظهرين اخلاصهم للسطان عبد الحميـــــد الذى يعد الشيخ يوسف النبهانى على رأس محبيه حيث يذكره كثيـــرا فى كتبه داعيا له . وقلت لابد أن يكون هناك مانع .

وسألت الاستاذ خير الدين الزركلى رحمه الله – صاحب "الاعـــلام" عما لاحظته فقال لى " لم يكن هناك حائط عامر بين الاستاذ عبد القـــادر القبانى صاحب ثمرات الفنون وبين الشيخ يوسف النبهانى "(1) ولكنى لـــم أقتنع بهذا التعليل اذ كان بأمكانه أن يكتب فى صحيفة أخرى يكون على وفـــاق مع صاحبها مثل صحيفة الجوائب " التى اشتغل مدة فى تحريرها وله فيـــها قصائد فى مدح صاحبها أحمد فارس الشدياق وولده سليم . علما بأنه قـــد نشبت معركة حامية بين الاستاذ أحمد فارس الشدياق وبين الاستاذ رزق الله حسون على صفحات " الجوائب " وكان لكل منهما أنصار يؤيدونه ، ويدافعون عنه فاين كان الشيخ يوسف النبهانى ؟ ولماذا لم يدافع عن الاستاذ الشدياق وهو من المحبين له المعترفين بأفضاله عليه وقد قال فى مدحه اكثر من قصيـــدة والشدياق هو الذى يسر وسيلة العيش الكريم للنبهانى بتوظيفه مصححا ومحررا فى صحيفة " الجوائب " فى الاستانه حيث قدمها لاول مرة وهو لا يعــــرف فيها أحدا والى هذا أشار النبهانى فى احدى قصائده التى مدح بهـــا الشدياق حيث يقـــول :

| | |
|---|---|
| وأغفر حماك الله ما أنا واصـــل | علاك ولو صفت النجوم قوافيـــا |
| وحسبك أنى فى اغترابى لم أجـــد | سواك امرءا مما جنى الدهر واقيـــا (2) |

والنبهانى كان يعلق على الاستاذ الشدياق كل آماله وطموحه كما يظـــهر

---

(1) قابلته فى بيته فى بيروت فى ٥ / ١١ / ١٩٧٤

(2) القصيدة موجودة فى الفصل الثانى من الباب الثالث راجع كنز الرغائب فـــى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٣٧ – ١٤٠

في أحدى قصائده حيث يقول مخاطبا الاستاذ الشدياق :

وأعذر فتى درست معالم أنسه ... ومشى عليه الدهر وهو مقيد

جمع الأسى جملا لديه وشمله ... عقد بأيدى الحادثات مبدد

أوطانه بعدت عليه وانما ... أوطاره وهي المعالي أبعد

يبغى أجتماعهما ويعلم أنه ... شيء بحكم زمانه لا يوجد

ولعل هذا الحكم ينقضه فتى ... أنت المراد به كريم أمجد

فاسلم ودم سندا لمثلي والعلا ... عن فضلك العالي حديث مسند (1)

الى أن عثرت على ما يزيل تعجبي ويبدد حيرتي في مناقشة بين السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ حسين الجسر في الاستانة ذكرها الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه ( جمال الدين الافغاني ) ذلك أنه كانت تصدر جريدة اخبارية في طرابلس الشام اسمها " طرابلس " وقد خصصت صفحتها الاولى للشيخ الجسر حيث كان يكتب الافتتاحيات المسهبة في الدين والاخلاق والاجتماع بتوقيع منتحل فقال السيد الافغاني للشيخ الجسر ( ما هذا يا أستاذ ان جريدتكم " طرابلس " جمعت بين الكفر والايمان أقرأ في صفحتها الاولى الحض على الفضيلة والخير ومكارم الاخلاق وفي باقي الصفحات ضروبا من التملق والنفاق : قال الشيخ الجسر : فاعتذرت عن مدير الجريدة بطبيعة الوقت وأن الجريدة لا تعيش في بلاد مثل بلادنا ما لم تتمشى ادارتها على هذه الطريقة من اللين والرفق ومجاملة الحكام فلم يقبل الافغاني هذا العذر .

قال الشيخ الجسر : ورجوت الافغاني أن يخفض صوته في حديثه معي كيلا يشعر رجال المابين بأنني صحافي أكتب في صحف الاخبار فامتعض الافغاني وقال : ولماذا يا أستاذ تحاذر هذا وتأبى الانتساب الى الصحافه الصحافة عمل شريف وانا صحافي وكان لي في باريس جريدة أكتب فيها " (2)

قال الشيخ عبد القادر المغربي " فجعل شيخنا الجسر يحتج عليه باختلاف البيئات وتباين أطوار البلاد وأن مثله " أى مثل شيخنا الجسر

---

(1) القصيدة موجودة في الفصل الثاني الباب الثالث راجع المرجع السابق ج ٤ ص ١٢١ — ١٢٢

(2) هي العروة الوثقى " التي يقال انها من فكر الافغاني واسلوب الشيخ محمد عبده

" فى انتسابه الى علم الدين يزرى به فى نظر الناس الاشتغال بالصحافة فلم يقبل الافغانى عذره هذا بالطبع .

ثم يقول الشيخ المغربى : " وقد أيد رأى شيخنا الجسر فى الصحافة ومنزلتها يومئذ ماكان بعد ذلك من الشيخ ( أبى خطوة ) القاضى الشرعى المصرى الكبير الذى فصل فى ( مسألة الزوجية ) وحكم بأن الصحافى ليس كفوءًا للشريفات فقامت قيامة رجال الصحافة المصرية يومئذ واوسعوا القاضى لوما وحكمه استنكارا . وصهما يكن فقد كان صنيعه مؤيدا للجسر على الافغانى تأييدا لا يقوله الكثيرون من الافاضل (١) .

وعبارة الشيخ المغربى الاخيرة تدل بوضوح على أن رأى الشيخ الجسر هو الشائع بين العلماء فى عصره . ومن يتصفح كتاب تاريخ الصحافة العربية للكونت فيليب طرازى يجد أن غالبية أو معظم رؤساء تحرير الصحف كانوا مسيحيين خصوصا فى المدة التى عاشها الشيخ النبهانى كما أن غالبية الصحف كانت تدعو الى التحرر والتجديد وهذا مخالف لافكار الشيخ النبهانى التى تدعو للتقليد والاتباع كما أن رجال الصحافة وقتها هم تلاميذ الافغانى ومحمد عبده وهما العدوان اللدودان للشيخ النبهانى .

كل هذا أبعد النبهانى عن الصحافة ومن هذا يتضح لنا أن الشيخ يوسف النبهانى كان لا يكتب فى صحافة عصره لانه يحط من منزلته العلميه من حيث هو رجل دين ورئيس لمحكمة الحقوق العليا فى بيروت وفى هذا دلالة على مكانته العلمية فى عصره .

وليس أدل على مكانة الشيخ النبهانى العلمية من آثاره التى تركها والتى بلغت ما ينيف عن ستين مؤلفا وقد شرح حالة العلمية فى كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " . وهو كعادته يذكر أنه اقتدى بالامام الشعرانى فى جمع تقاريظ العلماء فى أواخر كتبهم استجلا بالاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها " (٢)

ومما ذكره الشيخ النبلهانى رحمه الله فى بيان حاله العلميه قوله :
" اعلم ان صدور هذه المؤلفات عن رجل مثلى قليل العلم والعمل كثير

---

(١) جمال الدين الافغانى للشيخ عبد القادر المغربى ص ٤٤ ـ ٤٥ .
(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٢١ .

الجهل والزلل لمن أعجب الأمور الدينية في هذا الزمان وأقسم بالله العظيم انى لو كنت أنا أو بعض المؤلفين الآن في الزمان الأول لأدبونا على دعوى العلم فضلا عن التأليف نعم هذا الزمان أبو العجائب وأكرر القسم بالله العظيم أنى أعلم نفسي علما صحيحا يقينا لا أشك فيه بلا تواضع منى ولا اظهار خلاف ما هو الواقع الذى أتيقنه من نفسي أنى غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية أو العقلية فلا أعد فقيها في الفقهاء ولا مفسرا فى المفسرين ولا محدثا في المحدثين ، ولا متكلما في المتكلمين ، وهكذا غيرها من سائر العلوم لست ماهرا في علم منها مع قلة محفوظاتى في جميعها . اللهم الا أن ، تكون مهارتى فى جودة الشعر وذلك احسان من الله تعالى في الجبلة مع علم بعض الأدوات اللازمة من العربية والفنون الأدبية والحمد لله على ذلك (١)

ثم يقول الشيخ النبهانى رحمه الله " واذا كان الامر كذلك وهو كذلك فقد لزمنى أن أبين الاسباب التى نتجت عنها هذه المؤلفات لاكون قد أزلت من نفوس الناس ولاسيما الذين لم يعرفونى من أهل البلاد البعيدة ما يتوهمونه في بسببها من كثرة العلم والعمل وأكون قد أزلت بعض أسباب التعجب ممن عرفونى فتعجبوا من صدورها عن مثلى وهى قلما صدر مثلها عن كثير من أكابر العلماء في هذه الازمنه الاخيرة فضلا عن الطلبة الضعاف أمثالى " (٢)

ثم ذكر طلبه للعلم في الازهر ورجوعه منه والقاءه الدروس في عكة واجتماعه بعلماء دمشق وبيروت الى أن يقول " ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين واشتغلت فيها عدة سنوات بتحرير جريدة الجوائب التى ألفيت بعد ذلك وتصحيح ما يطبع في مطبعتها من الكتب العربية والأدبية وتدربت على الكتابة حتى صار يتيسر لى بفضل الله تعالى ابراز المعانى المقصودة بعبارة فصيحة خالية من الركاكة والغرابة ، ومع هذه الحالة لم أتصور أيضا في نفسي الاهلية للتأليف في العلوم النافعة .

ولم أزل كذلك الى أن ورد على " يوما أحد السادات الكرام من أشراف مكة المشرفة واسمه الشريف على وهو موجود فى القسطنطينية الى الآن نفعنا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢

(٢) المصدر السابق .

الله به وبأسلافه الطاهرين وأعقابهم أجمعين وذكر لي حفظه الله تعالى أن بعض المحرومين من محبة السلالة الطاهرة النبوية طبعوا كتاب " نوادر الأصول " للحكيم الترمذي في تلك الايام وأن الحامل لهم على طبعه وجود عبارات فيه تصرف بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل أهل البيت الى غيرهم كقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " فقد حصر معناه في الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين وشنع على من يفسر أهل البيت فيها بالحسن والحسين وذريتهما الطاهرة رضى الله عنهم ٠ أجمعين وكقوله صلى الله عليه وسلم " أهل بيتي أمان لاهل الارض كما أن النجوم أمان لأهل السماء " فسره بأن المراد من أهل بيته فيه صلى الله عليه وسلم الأولياء ولو لم يكونوا من السلالة الطاهرة

قال لي الشريف على المذكوران نشر هذا الكتاب ربما يؤدي الى استخفاف بعض الجهال بحقوق أهل بيت النبوة وألح علي في تأليف كتاب ارد فيه على ذلك وأبين فيه حقيقة ما هنالك فأعتذرت له بعدم أهليتي وليس ذلك من قبيل التواضع بل لم أكن اتصور في نفسي الأهليه لشيء من التأليف ولاسيما في الرد على مثل هذا الامام الشهير والولي الكبير الذي ذكره الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن العربي في فتوحاته وأثنى عليه كثيرا وشهد له بأنه من أكابر الأولياء وأئمة الاصفياء (١) فلم يقبل عذري وكرر الالحاح علي في ذلك حتى أجبته واستعنت بالله على ذلك فصرت أكتب في أوقات فراغي ما تيسر وأذهب الى خزائن الكتب الموقوفه وأنقل منها حتى تم كتاب " الشرف المؤبد لال محمد " على وجه حسن تكفل برد ما قاله صاحب " نوادر الأصول " مع المحافظة على مقامة الشريف والأدب معه كما ينبغي ويليق ٠ ثم خفت مع ذلك من ألا يكون عملي هذا مبرورا ومقبولا عند الله تعالى بسبب ردي على هذا الامام فأخرت طبع الكتاب ونشره مدة أعوام وكان تأليفه سنة ١٢٩٨ في القسطنطينية وبقي في مسودته الى أن استخرت الله تعالى (٢) وأقدمت على طبعه في بيروت سنه ١٣٠٩ هـ ٠

---

(١) العبارة الاخيرة تدل على المصادر الفكرية للشيخ النبهاني ٠

(٢) وفي هذه العبارة دلالة على مصادرة الفكرية ٠ أيضاً

ثم مرضت في بيروت مرضا شديدا يئست به من الحياة فحزنت لكثرة ذنوبي وقلة أعمالي الصالحة فصرت أتفكر في تأليف شيء من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذي لا ينقطع بالموت كما ورد في الحديث الشريف(1) فخطر لي أن التجيء الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجعل ما أؤلفه من ذلك في شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت في آن واحد على جمع كتاب في شمائله وكتاب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فأشتغلت بجمع كتاب " أفضل الصلوات " وكتاب " وسائل الوصول الى شمائل الرسول " صلى الله عليه وسلم وقبل اكمالها خطر لي لزوم اختصار المواهب اللدنية فأعان الله من فضله على طبع هذه الكتب الثلاثة ونشرها مع الشرف المؤبد فوقع لها كلها قبول تام في سائر البلاد التي وصلتها من بلاد الاسلام وقبل أن أكملها خطر لي الشروع في غيرها ولم يزل الامر كذلك الى الان كلما تم كتاب أشرع في غيره والغالب أن يكون في يدي عدة كتب أؤلف فيها في أن واحد(2) "

ثم يعتذر الشيخ النبهاني رحمه الله عن تأليف كتابه " هادي المريد الى طرق الأسانيد " فيقول : " فأن قال قائل اذا كان الامر كما تقول من عدم اتقانك للعلوم المذكورة فما بالك ألفت هذا الثبت الذي سميته " هادي المريد الى طرق الأسانيد " فانك بتأليفه جعلت نفسك مثل العلماء الكبار أصحاب الاثبات " أقول عذري في ذلك أني لما أظهر الله على يدي من فضله واحسانه هذه المؤلفات وانتشرت في الافاق طلب مني كثير من الفضلاء اجازات ، لحسن ظنهم بي وحرصهم على العلم فلم أجبهم اذ ذاك لعلمي من نفسي خلاف ما ظنوه بي ثم تفكرت في أني اذا لم أجبهم تبقى هذه المؤلفات منقطعة الاسباب وليس لي تلاميذ يروونها عني ويرويها عنهم غيرهم وهكذا ككتب العلماء ومعلوم أن روابط الاسانيد التي توصل روايات الكتب الى مؤلفيها هي من أقوى الروابط الدينية ومن أحسن مزايا الأمة المحمدية التي أمتازت بها على سائر البرية فأن أسانيد الكتب أنسابها ، ورواياتها بالاجازات أحسابها وما خلا منها عن ذلك يعد من المجاهيل فلايعول عليه كل التعويل وهكذا نسبة

---

(1) نص الحديث الشريف " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم عن أبي هريرة كتاب منتخب الصحيحين من كلام سيد المرسلين للنبهاني ص ٥٠ .

(2) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٢٣ .

العلماء من المؤلفين وغيرهم الى مشايخهم فانهم فى حكم الاباء والاجداد ومن يأخذ عنهم وعن تلاميذهم هم فى حكم الابناء والأحفاد ، والرابط لأنساب العلم بينهم هو الاسناد .

هذا هو الباعث لى على تأليف هذا الثبت وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بجاه نبيه الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يتفضل على وعلى كل من اتصلت به أو اتصل بى بنسب أو قراءة أو اجازة بالعفو والغفران ويمن علينا جميعا باتصالنا بسندنا الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى فراديس الجنان ويحسن الينا بحسن الخاتمه أنه ولى الاحسان " (١)

العوامل المساعدة للنبهانى على تآليفه الكثيرة :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله : " فان قلت كيف يتيسر لك التأليف مع عدم اتقانك للعلوم العقلية والنقلية كما ذكرت ؟ قلت : ان الصفات التى تفضل الله بها من فضله وكرمه وجعلها آلة للتأليف هى ما أذكره لك هنا تحدثا بنعمة الله تعالى وبيانا للحقيقة ودفعا للتناقض ولا أكذب والله فى شيء مما أذكره على ما أعلمه من نفسى فكما أنى صادق فى ذلك أنا أيضا صادق فى هذا والا لم يمكن صدور هذه التآليف مع عدم اتقان العلوم قطعا فأقول :

أعلم أن الاصل الأصيل فى الاعانة على هذه المؤلفات هو :

١ ) توفيق الله تعالى : (١)

وخلقه فى هذا العبد العاجز القدرة على ذلك وتسهيله له سبيل هذا الخير العظيم ببركة حبيبه الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم وله الحمد والمنة مع قلة بضاعتى فى العلم والمعرفة الكافية لتأليف ما ألفته فى الشؤون

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣ ـ ٣٤٣ .

(٢) وهو نفس السبب الذى وضعه النبهانى فى تعليل عدم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من مشاهير الشعراء ومثل المتنبى وابى تمام والبحترى راجع المجموعة النبهانية النبهانى ج ١ ص ١٧ ـ ١٨

الحديثة وغيرها وجلها مجاميع جمعتها من كتب الأدب وتحريت ما قدرت عليه من الاصابة فى جمعها وحسن ترتيبها ووضعها ، وليس ذلك من دقائق العلوم التى تحتاج الى التبحر وزيادة فى التحقيق والتدقيق واتقان جميع العلوم على وجه الكمال فأن مؤلفاتى لا تخلو ان تكون نثرا أو نظما فى مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تفضل الله على بالسليقة الشعرية على الوجه المطلوب وليس هذا من المناقب الكبيرة فان كثيرا من جهال العرب الجاهلية قد كانوا متصفين بذلك فغاية الأمر أن أكون شاركت الجاهلية (١) بوصف سبقونى به .

نعم قد زدت عليهم بمعرفتي من الاوصاف النبوية والمعانى الاسلامية والمحاسن البديعية ما لم يعرفوه فكان مدحي له صلى الله عليه وسلم جامعا للفصاحة والبلاغة مع محسنات البيان والبديع مشتملا على الاوصاف الجميلة الجليلة التى اختص بها الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم ولا يخفاك (٢) ان هذا غير محتاج لاتقان تلك العلوم والتبحر فيها وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة ملكة قوية فى العربية بعد قراءتى فى الجامع الازهر على مشايخى الذين ذكرتهم فى ثبتي " هادى المريد الى طريق الاسانيد " جميع الكتب التى اعتادوا قراءتها فى علم النحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشمونى بالشروح والحواشى مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعتى العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسى ولبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الانى أكثر قواعد النحو لتركى قراءتها واقراءها أكثر من ثلاثين سنة فلا أعد متقنا لعلم النحو لكن ملكتى التى تعصم قلمى من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الآدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة فى كتب اللغة وغريب الحديث . (٣)

الآن

---

(١) جعل النبهانى عيار الدين هو الاساسى فى التقييم حتى فى الملكة الشعرية

(٢) الصواب : لا يخفى عليك .

(٣) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ _ ٣٣٥ .

٢ ) الفهم الصحيح والذوق السليم :

يقول الشيخ يوسف النبهانى : " وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم فى كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون فى إذكياء العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم فى الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم " (١)

٣ ) حسن التعبير والترتيب :

يقول الشيخ يوسف النبهانى : " وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة حسن التعبيرعما أريد أن أعبرعنه بعبارتى وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتى المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الأمة وغير المقبولين لكثرة ما طالعته فى كتبهم ولاسيما كتب الامام الشعرانى رضى الله عنه وعنهم مع حسن اعتقادى فيهم أجمعين (٢) وهذا من أكبر نعم الله على فانهم أحباب الله تعالى وخاصته من خلقه فلم يعتقد فيهم أحد الا ربح الدنيا والآخرة ولم ينتقد عليهم أحد الا خسر الدنيا والآخرة " (٣)

٤ ) التأليف فى مواضع مهمة جدا فى شؤون الدين واحوال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :

مع عجزى وضعفى وقلة بضاعتى العلمية ولم يلهم ذلك الكثير من أكابر العلماء (٤) الذين لا أصلح تلميذا لأحدهم فضيعوا أعمارهم بتأليف

---

(١) المصدر السابق .

(٢) من منابعه الفكرية .

(٣) المصدر السابق .

(٤) لقد وقف الشيخ النبهانى . قلمه للكتابه حول شخصية الرسول نظما ونثرا ولم يصل علمى للان الى احد مثله حتى ان النبهانى كان يوصى بأتلاف جميع شعره فى غير مدح الرسول مع جودته الفنية العالية .

الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التى فى عشر معشارها كفاية ومع ذلك فهم مأجورون على حسن نياتهم " (١)

٥ ) توفر الكتب النافعة المطبوعة والمخطوطة :

يقول الشيخ يوسف النبهانى : وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة كثيرا من الكتب النافعة المعتبرة المقبولة المتفق على جلالة مؤلفيها من الطبع والخط كما يسر لى من فضله سبحانه وتعالى استعارة كثير من كتب الخط النفيسة التى يندر وجودها فى المواضيع التى ألفت فيها ومن اطلع على كثرة النقول التى نقلتها فيها يعلم حقيقة ذلك فقد كان يبلغنى أن عند فلان كتاب كذا فأطلبه منه ولو كان فى بلدة أخرى فيرسله لى فآخذ حاجتى منه وأرجعه اليه (٢)

٦ ) النشاط والمداومة على المطالعة والجمع :

" ....... ومع كثرة الكتب التى يسرها الله لى رزقنى النشاط والمداومة على المطالعة والجمع من غير ملل ولا سآمة مع معرفة مظان المسائل (٣) التى أريد أن أؤلف فيه الى درجة ربما لا تتيسر لكثير من أكابر العلماء من استيعاب كلام المؤلفين وجمع عباراتهم كما وقع لى ذلك فى " حجة الله على العالمين " وسعادة الدارين " " ومجموعة المدائح النبوية " وشواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم " وجامع كرامات الأولياء " وبعض الكتب الصغيرة التى جمعت فيها أنواعا مخصوصة من الدعوات وغيرها كمفرج الكروب ومفرح القلوب واسماء النبى " صلى الله عليه وسلم " وحزب الاستغاثات " الذى جمعت فيه استغاثات أربعين وليا بالنبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك مع كمال الصدق والأمانة التامة فى النقل ونسبت كل شىء الى أصحابه وحسن الاختصار فيما اختصرته كالأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية فأنها

---

(١) المصدر السابق .
(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٢٣٤ .
(٣) الصواب : البحوث ، والأولى خطأ مشهور . د . عبد السلام سرحان

بحمد الله من المختصرات التى فاقت أصلها ولم أقدم على تأليف كتاب منها لمجرد تكبير حجم الكتاب اذا لم أعتقد نفعها ولزوم اثباتها .. لا والله لم يخطر لي شيء من ذلك قط فيما أعلم الآن ولم أشرع في تأليف شيء منها الا بعد أن أتيقن الحاجة الى التأليف في ذلك الامر ولا سيما في شؤون نبينا محمد سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم التى نرى كثيرا من العلماء فضلا عن العوام مشغولين عنها بقراءة كتب العلوم العقلية وغيرها عدة سنين من دون أن يعرفوا شؤونه الشريفة وسيرته المنيفة صلى الله عليه وسلم المعرفة اللائقة بأمثالهم فهذا ليس من الصواب ، واللازم على المرء أن يتعلم الأهم فالأهم . مما تلزمه معرفته في دنياه .

١٧) الحرص على رد مفتريات الكفار أو كشف تقولات أهل البدع :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " ...... أو يكون الحامل على التأليف الرد على بعض الكفار (١) وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف تقولات بعض أهل البدع (٢) الذين انتشرت بدعهم في هذه الايام ولاسيما ما يتعلق منها بسيد الانام الذين يغيرون عقائدهم الدينية وينقلونها من النور الى الظلام كما هو واقع في كثير من بلاد الاسلام فالتأليف في هذه الأبواب لا يخطر في بالي حين الاقدام عليه طلب الثواب بل أجد من نفسي داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين واولاد المسلمين ولو رأيت غيري من العلماء ألف في ذلك كتبا تغني عن كتبي لما أقدمت على تأليفها وكنت أقول قد حصل المقصود على يد من شاء الله من خلقه لاسيما أن التأليف في ذلك يتسبب في كثرة الاعداء من الكفار والفجار كما وقع لي وقد قصدوا أذيتي فوقاني الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) يقصد الاتهامات المتبادلة بين المسلمين والنصارى خصوصا في بيروت التى كانت ميدانا للتبشير المسيحي .

(٢) يقصد مدرسة الافغاني والدعوة الوهابية .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف . ص ٢٣٦ .

" ولم يخطر لي التأليف في علم الأدب مع امكان ذلك نظما ونثرا لكون النفع الاخروي فيه قليل الآن (١) وان كان من وسائل معرفة العلوم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هي أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ، ولذلك لا ينبغي لعلماء المسلمين الآن تضييع الاوقات في التأليف في ذلك وما أشبهه من العلوم الآليه والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية ، لاسيما التي تناسب هذا الزمان وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والأباطيل فيجب على علماء المسلمين السالمه عقائدهم من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولاسيما مشايخنا واخواننا علماء الازهر والمحفل الانور فان هذه البلايا التي طرأت على الدين هي الآن في بلدهم مصر أكثر منها في سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع الى العباد ، كثر فيها في هذه الايام في الدين الفساد ، وصار ينتشر منها الى سائر البلاد ، فبادروا أيها العلماء الأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيوف الاقلام ، أهل الضلال والظلام ، فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدي الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة في تحليل الحرام وتحريم الحلال فكثرت المفاسد في الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين فأتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشي والتقارير وأنتبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلي القدير (٢) .

٨) طلب الأجر والثواب :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ...... والسبب القوي الذي حملني على الهجوم على التأليف مع عدم أهليتي هو طمعي بكرم الله تعالى في بقاء الآجر بعد موتي لما أولفه من العلوم النافعة الدينية

---

(١) من منابعة الفكرية

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ ، يظهر أسلوب النبهاني التربوي لاصلاح المجتمع .

وكثرة الآجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال " ثم أورد ما ذكر الامام النووى فى رياض الصالحين فى هذا الخصوص(١).

٩ ) وجود كتاب ينقلون المعلومات :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله : " ومن أسباب تسهيل تأليف هذه الكتب أن يسر الله لى وله الحمد والمنة بعض الكتاب النبهاء النجباء من كتبة محكمة الحقوق التى أنا رئيسها وهم عبد الباسط أفندى الفاخورى ومحمد على الآنسى وسليم أفندى السروجى ومحيى الدين أفندى علم الدين غير أن الأول منهم انتقل الى محكمة أخرى فانقطع عنا منذ سنين والثانى لم نزل ننتفع به فى بعض الاحايين وهو أنفعهم من جهة تصحيح الطبع لانه من فضلاء الطلبة الصالحين وأنفعهم من جهة المداومة على الشغل ، والاثنان الاخيران لانهما ما زالا يلازمانى فى كل يوم الى الان فتح الله على " وعليهم أجمعين فتوح العارفين وحشرنا فى زمرة عباده المؤمنين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وممن يساعدنا بالتصحيح صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندى طبارة عضو محكمتنا الحقوقية ، وممن وقع منه النفع فى هذا السبيل كترغيبه بعض الاغنياء فى طبع هذه الكتب الصغيرة على نفقته وتوزيعها مجانا تقبل الله أعمالنا جميعا ورزقنا حسن القبول وبلغ كلا منا غاية المأمول وصورة التأليف أنى أملى على الكاتب ما أريد أن أنقله من كتب العلماء وقد أدله على العبارة اذا كانت طويلة ولا أريد اختصارها وأتركه ينقلها وحده ثم أقابلها معه واشتغل بشىء آخر بكتابة أو مراجعة وبعد الاملاء أقرأ جميع ما كتبه وأصحح ما يحتاج للتصحيح منه فى وقت انفرادى فى ليل أو نهار أطالع وحدى فى الكتب التى أريد أن أنقل منها وأضع علامات على العبارات التى أريد نقلها هذا ما يتعلق بنقل عبارات العلماء ، أما كلامى الذى لم أنقله من أحد من نظم أو نثر فانى أسوده غالبا بخطى ثم أمليه على الكاتب واصلح منه ما يظهر لى اصلاحه وقت الاملاء وقد أعطيه المسودة فيكتبها ثم أراجع ذلك النظم أو النثر بالتحرير والتهذيب حتى أرضاه وربما يظهر لى بعد التبييض ترتيب

---

(١) المصدر السابق .

أحسن من الاول فأرجع عن ذلك وأجمل على الثانى المعول بل حصل لى هذا فى بعض الكتب فمطلت المطبوع منها وجددت طبع ما رأيته صوابا والسبب فى ذلك أنى أشغل فكرى كثيرا فى حسن ترتيبها وتهذيبها ما دام فى الامكان اصلاح ما يظهر لزوم اصلاحه منها ولا ينقطع عنى التفكير فى شأنها من جهة التهذيب والترتيب الا بطبعها فمتى طبعتها ينصرف فكرى عنها الى غيرها وانا صاحب روية لا صاحب بداهه فقد لا يظهر لى الصواب من أول وهلة ولذلك أكثر التروى فكلما زدت الامر تروية يظهر لى فيه من الصواب ما لم يكن ظهر لى من قبل أن يستقر الحال على الصواب الذى يحسن السكوت عليه والحمد لله رب العالمين[1] "

١٠) تيسير طبع كتبه ونشرها :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله " ...... ومن أسباب أقدامى على تأليف الكتب أن الله تعالى وله الحمد والمنة ببركة حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم قد سهل طبعها ونشرها فى أكثر البلاد الاسلاميه ولولا ذلك لما حصل لى كل هذه الرغبة فى تأليفها لان الكتاب اذا لم يطبع لا يحصل من تأليفه من الفوائد ما يوازى التعب لسببين :

الاول : انى لست من أكابر العلماء المشهورين الذين تبادر الناس الى كتابة مؤلفاتهم ونسخها ونقلها الى البلاد القريبة والبعيدة حتى يعم النفع بها .

الثانى : أن الهمم فى هذا الزمان قد انصرفت بالكلية عن نسخ الكتب بخط اليد ولو كانت من أكابر العلماء الا فى النادر وذلك بسبب كثرة الكتب المطبوعة من كل العلوم وسهولة الحصول عليها بأيسر قيمة فتعميم نفع الكتاب الان موقوف على طبعه ولذلك

كان تيسير الله تعالى طبع كتبى هذه من أكبر النعم واقوى الاسباب التى حملتنى على ملازمة التأليف وقد كان أقوى أسباب ذلك تقدير الله تعالى أقامتى فى بيروت بوظيفة رئيس المحكمة الحقوقية[2] التى هى مع

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨

(٢) هذه النسبة خطأ شائع لان الجمع لا ينسب له ، بل ينسب الى المفرد الا اذا كان الجمع علما . د . عبد السلام سرحان .

شرفها أقل المحاكم اشغالا فصرت بهذا السبب أتمكن من الاشتغال في أكثر أوقاتي في بيتي بالتأليف ولا يتيسر ذلك في غير هذه البلدة لكثرة مطابعها وسهولة مخابرات البلاد القريبة والبعيدة منها في نشر الكتب وبيعها لانها أعظم مدن سواحل البحر الشامي ولها علائق تجارية ومواصلات بحرية وبرية مع جميع الجهات وقد يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار في مصر أجلهم صديقنا الفاضل الامين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندي البابي الحلبي وأخواه الكرام فطبعوا بعضها ويسر بعض الأغنياء في بيروت فطبعوا بعض مختصراتها ووزعوها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتي وتكلفت فوق طاقتي من الديون لمصاريف طبعها والكتب يحتاج بيعها الى وقت طويل لانها ليست من ضروريات المعيشة كالملبس والمسكن والمشرب ولاسيما الكتب الدينية في هذا الزمان العجيب الذي انصرفت قلوب أكثر أهله الى محبة الدنيا وأسبابها وزهدت في الاخرة وطلابها الا من سلم الله وقليل ما هم .

ومما لا أرضاه لولا الضرورة أن بعض هذه الكتب أرسلنا مقادير منها الى بعض أصحاب الوجاهة في بلادنا الشامية [1] وقليل من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فأنما البيع عن تراض وقد يوجد من هؤلاء من يأخذ الكتاب حياء نعم هو متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لاشك أنه يرضى بذلك ويشكرني على هذا الخير الذي كنت السبب في وصوله اليه ...... فأطلب منهم السماح وأن يجعلوني في حل من ذلك كرامة [2] لله تعالى ولهذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام [3] .

(١) محبة العلماء والأولياء له ولاسيما أهل البيت الكرام :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ومن أقوى أسباب ذلك — أي التأليف شمولي بأنظار العلماء العاملين والأولياء العارفين ولاسيما ساداتنا أهل

(١) لعل الشيخ النبهاني رحمه الله يريد أن يقول " لا كرامة لنبي في وطنه "

(٢) في هذا دلالة تقوى النبهاني واحتياطه من المال الحرام .

(٣) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨ — ٣٣٩ .

البيت الكرام فان من أكبر نعم الله على ما حصل لى من كثير منهم من المكاتبة الدالة على محبتهم للحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم فهم يحبون من خدمه بوجه من الوجوه وكلما زاد الخدمة زادت محبتهم وقد اطلعوا على تلك المؤلفات والمدائح النبوية فأحبونى لذلك وصارت تأتينى منهم من أكثر الجهات المكاتبات وبهذا ازدادت رغبتى فى الاقبال على العمل ولم يحصل لي ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وبركتهم من هذه الاشغال أدنى ملل مع كثرة ما وجدته فى هذا السبيل من أنواع الاتعاب الكثيرة فى تأليفها وطبعها ومصاريفها ثم فى نشرها وبيعها فى البلاد البعيده والقريبة مع ضياع كثير منها وذلك شيىء لا يقدر مثلى على القيام ببعضه فضلا عن كله لولا أن الله تعالى من فضله أعاننى على ذلك وسهل لى سبيل الخير اليه ببركة حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطيبين الطاهرين ومحبيه من الاولياء العارفين والعلماء العاملين وصلحاء المسلمين رضى الله عنهم أجمعين (١) »

## النبهانى يعتذر عن أخطائه فى مؤلفاته :

يعتذر الشيخ النبهانى رحمه الله عما وقع فى مؤلفاته من أخطاء حيث يقول " لعلك تجد ياأخى فى بعض الكتب شيئا مما زل به القلم من حركة أو حرف أو كلمة ولا يكون بأكثر من ذلك غالبا أي لا يتعدى الخطأ فيه المعانى المخالفه للحقيقة فاني قد تثبت فيها بالنقل عن العلماء والاولياء المعتمدين من أئمة الدين ولم أتجاوز فيما حررته بعباراتي طريقهم المحمودة وما عليه أهل السنة والجماعة من الدين الخالص والحق الواضح والصواب البين فأنا من هذه الجهة مستريح فكرى والحمد لله تعالى والذى أطلب سماحك أيها القارىء فيه ألا تتخذه سببا للتنديد والاعتراض هو ما ذكرته لك مما لابد أن يكون قد وقع بالطبع من السهو فى بعض الحركات والحروف والكلمات على أن ذلك نادر جدا فانك لو حسبت ما اشتملت عليه هذه الكتب من الحركات والحروف والكلمات لوجدتها ملايين كثيرة فاذا وضعت ما وقع

(١) اسباب التأليف أن العاجز الضعيف ص ٣٣٩ ((منابع النبهانى الفكرية))

فيه السهو منها من حركة أو كلمة أو حرف في مقابلة ما وقع فيه الصواب لوجدت في مقابلة الالاف الكثيرة من الصواب واحدا من الخطأ فهذا كما اني ارجو من كرم الله تعالى أن يسامحني به فسامحني أنت أيضا وانظر الى هذه الكتب نظر المنصف الذي يريد الانتفاع بها فيحصل لك بذلك النفع العظيم والأجر الكثير ويحسن هنا أن أورد ما ذكرته في آخر (١) الفصل العاشر من مقدمة المجموعة النبهانية بعد أن ذكرت بذل جهدي في جمعها وتصحيحها وهو قولي ومن هنا تعلم ايها الفاضل المنصف ما كابدته في جمع هذه القصائد - المجموعة النبهانية - وتصحيحها فضلا عن ترتيبها وشرح غريبها حتى جاءت بفضل الله تعالى وبركة ممدوحه الاعظم صلى الله عليه وسلم على أحسن وجه جميل مقبول تعشقه الطباع السليمة والعقول من كل محب للرسول صلى الله عليه وسلم فتشكر صنيعي ولا تكفره وتعرف معروفي ولا تنكره .... ولا ألومك ان تفعل ذلك اذا لم تسيء الي بالاعتراض علي تقول طالذي صنعه وانما هو كلام الناس قد جمعه لاني لم أفعل ذلك بقصد شكرك ودعائك ومحبتك وولائك وانما ذلك من الفوائد الزوائد والمقصود انما هو نشر الثناء الجميل على سيد الوجود وافضل كل والد ومولود صلى الله عليه وسلم فان حصلت مع هذا الاصل تلك الزائد فيا حبذا هي من فوائد والا فلا عتاب ولا ملام وقد حصل بحمد الله المرام والحمد لله الذي هدانا لهذا الفضل العظيم في خدمة نبية الرؤوف الرحيم (٢)

فيما تقدم ذكره يتضح لنا مكانة الشيخ النبهاني العلمية والتي كثيرا ما كان النبهاني يحاول اخفاءها بتواضعه العلمي دون أن ينسب لنفسه فضلا سوى اظهار فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها ليستفيد بها الناس كما يصرح في أقواله السابقة أنه لم يذكر عبارة بقصد زيادة حجم المؤلف وانما لاعتقاده بفائدتها . وهو يظهر بهذا مظهر الواعظ المصلح الذي لا يلتفت لشيء سوى هداية الناس ولا يقصر في ايراد الحجج المختلفة في سبيل هدايتهم . وكثيرا ما ينصرف عن تجميل الكلام وترتيبه الى

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٢٤٠ .

(٢) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ .

ملاحقة المعنى واتمامه وهو لا يهمه اللفظ بمقدار ما يهمه معناه . وهو فى كتبه - كما يصرح - لا يذكر شيئاً يذكر اسم الكتاب الذى نقل عنه ولكنه لا يذكر رقم الصفحة أو تاريخ الطبعة ومكانها وذلك راجع الى أن هذا لم يكن شائعا فى عصره خصوصا فى وسطه العلمى الدينى بالاضافة الى الكتب التى أعتمد عليها قديمه وبعضها لا يوجد عليه مكان الطبع وتاريخه وبعض هذه الكتب لا يدون فيه فهارس اضافة الى أن قسما كبيرا منها كان مخطوطا . ولم يخطر بباله أن القارئ قد يحتاج الى الرجوع الى مصدر النص على سبيل التأكد لم يخطر بباله هذا لأنه يعد أن الأمانه العلمية هى من الدين والتثبيت من النقل أو عدمه هو كالصدق أو الكذب فيه ثواب وعقاب . ومن هذا تلاحظ أنه فى طريقة تأليفه انما ينهج منهج العلماء السابقين الذين لا يذكرون المصادر التى نقلوا منها ومن يذكر منهم المصدر لا يذكر رقم الصفحة اما لقلة الكتب المتداولة وجل اعتمادهم فى الكتابة على ما حفظوه أو لانهم يحسبون أن المؤلف محاسب أمام الله فيما يكتب لذلك يولونه الثقة الكاملة . وهو ما ظهر لنا من أقوال النبهانى من أنه ثقة فيما يكتب وهو يدقق فى كل ما ينقله ويراجعه وقد يلغى ما طبعه اذا تبين له الصواب فى غيره .

ويظهر واضحا فى كل مؤلفات الشيخ النبهانى أنه لا يقصد بتأليفه سوى وجه الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وخدمة المسلمين . وهذا واضح فيما كتبه فى كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " الذى يشرح فيه خطته العلمية فى مؤلفاته . ونحن أمام هذه المؤلفات التى بلغت أكثر من الخمسين لا يسعنا الا أن نكبر هذه المقدرة العلمية الضخمة خصوصا أن الشيخ النبهانى لم يكن منقطعا للتأليف فقط بل كان كثير التطواف فى البلاد وله صلات اجتماعية متبادلة مع الناس بالاضافة الى عمله رئيسا لمحكمة الحقوق العليا فى بيروت ، وهذا يدل على مقدرة خارقة وقوة علمية . فذة .

أقول لو عاش الشيخ يوسف النبهانى فى العصر الذهبى للعلوم الاسلامية لكان من أكابر العلماء المسلمين أمثال الطبرى والرازى وابن تيمية والنووى والسيوطى وابن هشام وغيرهم من الذين تركوا تراثا ضخما فى العلوم لا يسعنا اليوم الا أن نقول - ما قاله النبهانى - ما كانوا يقوون على هذه المؤلفات لولا توفيق الله تعالى لهم . علما بأن كثيرا من العلماء العظام

الذين حوزوا كثيرا من العلوم ولم يميلوا الى التأليف كالامام أبى الحسن الشاذلى الذى رغب أليه ان يضع كتبا فى العلوم المختلفه فقال " تلاميذى هم كتبى من بعدى " والى هذا أشار الشيخ النبهانى رحمه الله الى أن كثرة المؤلفات ليست الدليل الوحيد على قوة العلم فى العلماء اذ هناك من العلماء الاعلام من لم يضع كتبا مع الاتفاق على فضله وعلمه فهو بعد أن أورد رسالة صغيرة للامام السيوطى اسمها " التعريف بأسباب التأليف[١] " ذكر فيها بعض آداب التأليف .

يقول النبهانى رحمه الله " ..... ورأيت فى " خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر " للمحبى فى ترجمة الامام الحافظ شمس الدين محمد البابلى الشافعى المصرى ما نصه :

ومن تبحره أى البابلى فى العلوم انه لم يعتن بالتأليف والجئ من الوزير الاعظم أحمد باشا الفاضل الى تأليف كتاب فى الجهاد وفضائله فألف فيه فى أيام قليلة كتابا حافلا أتى فيه بالعجب من الاثار الوارده فيه وأحكامه المختصة به وكان ينهى عن التأليف ويقول التأليف فى هذه الازمان من ضياع الوقت فأن الانسان اذا فهم كلام المتقدمين واشتغل بتفهيمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره والتأليف فى سائر الفنون مفروغ منه واذا بلغه أن احدا من علماء عصره ألف كتابا يقول لا يؤلف أحد كتابا الا فى أحد أقسام سبعة ولا يمكن التأليف فى غيرها وهى أما أن يؤلف فى شئ لم يسبق اليه يخترعه أو شئ ناقص يتممه أو شئ مستغلق بشرحه أو طويل يختصره دون أن يخل بشئ من معانيه أو شئ مختلط يرتبه أو شئ أخطأ فيه مصنفه يبينه أو شئ مفرق يجمعه قال المحبى بعده ويجمع ذلك قول بعضهم شرط المؤلف أن يخترع معنى أو يبتكر مبنى[٢] "

---

(١) أسباب التأليف ص ٣٤٠ — ٣٤٢ .

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٢ .

## أما عن الأمانة العلمية والتدقيق العلمى :

فيقول الشيخ النبهانى رحمه الله " اعلم أنى قد نسبت جميع ما ذكرته فى كتبى من الاحاديث والاحكام والفضائل والمعجزات والمناقب والكرامات وجميع ما احتوت عليه من منقول العبارات الى الكتب المعتمدة التى نقلتها منها ورويتها عنها ونبهت على ذلك فى خطبها وعند النقل عنها ومع ذلك فأكثر الاحاديث مخرجه منسوبه الى رواتها مع عزوها الى أصولها فالمدح والقدح فى شىء من ذلك راجعان لأولئك العلماء الاعلام أئمة الاسلام (١) وأما أنا فان نسبنى أحد الى قلة العلم والتقوى (٢) فوالله انه لصادق فى ذلك وانا أقربه ولكننى لأمين فيما نقلته فى هذه الكتب عن غيرى محق فيما ضمنتها من نظمى ونثرى ولم أضع شيئا فيها الا بعد التروى والتثبيت وهى لعمرى بشهادة المنصفين من المسلمين وغير المسلمين تعد من محاسن الاسلام فى هذا العصر ولا أقول ذلك على سبيل الفخر بل لبيان حقيقة الحال فى هذا الشأن وانظر هذه الجمعيات النصرانية الدينية تجدها لم يظهر على يد جمعية منها فى مدة مائة سنه أو اكثر مع كثرة أموالها وأعوانها مقدار هذه الكتب وقد أظهرها الله تعالى بفضله وكرمه على يدى وأنا واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع قلة بضاعتى وعجزى وفقرى وكثرة أشغالى وتشويش بالى فى هذه المدة الوجيزة وهى خمس عشرة سنه وضمنها عدة مؤلفات كبيرة وصغيرة لم يتيسر طبعها الى الان .

فان قلت ليس الفضل فى ذلك لك وانما الفضل لله تعالى ثم لسيد الانام ودين الاسلام فان مجال الكلام واسع ورأس المال كثير فمهما نظمت ونثرت ومهما صنعت ونقلت تجد من المعانى المحقة والعلوم الصحيحة الكثيرة ما هو أكثر من آناء الدهر وأغزر من مياه البحر وما أنت فى ذلك الا كما قال القائل :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة — فان ملكت لسانا قائلا فقل

والامر فى تلك الجمعيات ليس كذلك وانما هى كما قيل " ضاق شبر عن مسير " فمن اين يأتون بالمعانى المحقة وليس هناك حق وانما هى أباطيل

---

(١) يروى ان الشيخ النبهانى قال تعقيبا لمن أخبره بأن الاستاذ محمود شكرى الالوسى قد كتب كتابا ضخما فى الرد عليه وهو غاية الامانى فى الرد على النبهانى قال النبهانى " هذا رد على العلماء وليس على " روى هذه الحادثة الشيخ محمد نمر الخطيب سمعتها منه فى ١٩٧٥/١٠/٥ (٢) تواضعه العلمى .

يلفقونها وأكاذيب يجمعونها ويفرقونهـــــــــــا .

قلت نعم لاشك أن الأمر كذلك ولكن سعة مجالنا وكثرة رأس مالنـــــا لا تمنعان من أن تعلم أن ظهور مثل هذه الكتب على يد من شاء اللــــه من خلقه هو من أكبر النعم علينا معاشر المسلمين فلنتفق على الخيــــر ونتق الله ونحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم بـه واولاه .

وبعد هذا كله فلا شك أن هذه الكتب المجموعة فى الفضائل والسيــر لا تخلو من بعض الاحاديث التى قيل فيها أنها موضوعة أو واهية وان قل ذلك جدا فضلا عن الاحاديث الضعيفة التى هى فى السير والفضائل اكثـر منها فى غيرها ومع ذلك لا يخلو مؤلف مهما كان صاحبه عالما من الخطأ قل أو كثر فقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه وانما ينظر فى الاشياء كلهـــا لكثرة المحاسن والمساوئ فأن غلبت المحاسن كان ذلك الشئ حسنـــا واذا غلبت المساوئ كان ذلك الشئ سيئا سواء الكتب وغيرها ......

" ثم أورد ما كتبه فى أخر آخر الباب الثانى من كتابه سعادة الداريـــن فى شأن العمل بالحديث الضعيف[1] " وفى هذا يبرئ النبهانى ذمتــه مما قد يوجد فى كتبه من الاحاديث الضعيفة جاعلا ممن سبقه من العلمــاء قدوته . فمنهجه فى مؤلفاته يشبه الى حد كبير منهج الامام محمد بن جرير فى تاريخه " تاريخ الامم والملوك اذ يقول فى المقدمة "..... فمـــا يكون فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئـــه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحه ولا معـــنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت فيه من قبلنا وانما اتى من قبل بعض ناقليـه وانما ادينا ذلك على نحو ما أدى اليـــنا[2] .

## مكانتـــه الاجتماعيـــــة :

احتل الشيخ يوسف النبهانى مكانة مرموقة فى عصره نتيجة لمكانته العلميه حيث أن كثرة أساتذته الذين تلقى عنهم سواء فى الازهر أو عن طريـــق الاجازات الكثيرة التى حصل عليها . وكثرة تلامذته الذين كانوا يطلبـــون

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيـــف ص ٣٨٦ - ٣٨٧

(٢) تاريخ الطبـــــرى جـ١ ص ٥.

الاجازات منه ممن منحهم اجازات خاصة أو عامة • كل هذا يشير الى أن الرجل كان مشهورا فى عصره •

ولعل هذه الشهرة قد آتت نتيجة لطبيعة العلوم التى تداولها من الاقتصار على دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مما أدى الى تعاطف عامة الناس معه اضافة الى أن مدحه لوجهاء عصره فى بدء حياته أعطاه مكانا ليقول منه ويسمع صوته •

ومن مظاهر مكانته الاجتماعيه زيارة السلطان عبد العزيز سلطان المغرب له : •

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله :

(( أعلم أنه ورد أن التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ولذلك أقول : بينما كنت فى شهر شعبان فى العام الماضى ١٢٩٨ هـ مقيما فى حيفة بعائلتى (١) ورد الى • " تلغراف " من بيروت من صهرى الشريف السيد محمد الصادق الجبالى التونسى قال لى فيه : ان مولاى عبد العزيز سلطان فاس السابق الموجود فى بيروت يوجه السياحة سيمر بحيفة فى " الوابور " وقد أمرنى أن أخبركم بذلك لتقابلوه ولم أكن اجتمعت بسيادته قبل ذلك فانتظرت قدوم الباخرة حتى اذا وصلت توجهت اليها مع جماعة من العلماء فلما تشرفنا بمقابلة هذا الملك الاصيل السيد النبيل قابلنا بالقبول التام وعاملنا بأخلاق أمثاله من السادة الكرام أبناء الكرام طبقة بعد طبقة الى سيد الانام عليه الصلاة والسلام فقبلنا يده الكريمة وتمتعنا بمحاسن خلائقه الجميلة واخلاقة العظيمة التى تجل عن أن توصف بوصف أو تقوم بقبيحه • وكان من أفضل أخلاقه الدالة على أصالة أعراقه أنه طلب منا قبل أن نطلب منه النزول الى البر ليشرف منزل الحقير (٢) فيحصل لى به الود والسرور العظيم والشرف الكبير فنزلنا وقبل

---

(١) شاعت هذه الكلمة فى معنى الاسرة وهو خطأ د • عبد السلام سرحان

(٢) أى منزل الشيخ يوسف النبهانى

من فضله وتواضعه أن نتشرف بوجودنا معه على الطعام وأن نخوض معــه في بعض الابحاث(١) الدينية ومحاسن الاسلام ، ومن ذلك عزمه حفظــه الله في رحلة أخرى على زيارة جده سيد الأنام عليه الصلاة والســلام لعروض أسباب منعته منها في هذا العام ثم لخوف سفر الباخرة لم يتمكــن من طول المقال وفارقنا بسرعة بعد أن خلف لنا مع الاسف لفراقة الفخــر التام الذى لا ننساه على مرور الايام ثم بعد مرور نحو ثمانية أشهر جاءنــى منه كتاب صادر من محل أقامته مدينة طنجة وهذا نصــه :

(( الحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وســلم الفقيه الاجل الاستاذ الاكمل الشيخ يوسف النبهانــى ،

سلام عليك ورحمــه الله وبركاتــه وبعــد

فموجبه تجديد العهد بكم والسؤال عن أحوالكم أجراها المولــى جل جلاله وفق مرادكم آمين ولا زلنا متذكرين متشكرين للصويحات الــتى اجتمعنا فيها ونحن على نية المودة أن شاء الله لتلك البلاد و الاجتماع بكم جمعنا الله كما تحب ونحب ويصلك صحبته حق مختوم تذكرة منا لــكم ولا تنسانا من صالح أدعيتكم والســلام

فــى ١١ ربيــع الثانــى ١٣٢٩ هـ التوقيــــــــع
عبــد العزيــــز (٢) ))

الخديــوى عبــاس :

زار الشيخ يوسف النبهاني الخديوى عباسا الثانى بعدما أُحيل من وظيفتــه ولم يكن التقاعد الذى جُعل له يكفيه يقول الشيخ يوسف رحمه اللــه :

" ..... فقــد قصدته في ربيع هذا العام ١٣٢٩ هـ حينمــا بلغنى من بعض جلسائه الكرام أنه أثنى على وأعجبته مؤلفاتى في ســيد الانام وكذلك لم أتخذ عنده وسيلة من الشفاعة سوى سيد الانام صــلى الله عليه وســلم فهو الذى توسلت به لفضله فقضى حاجتى لاجــله

---

(١) خطأ شائع والصــواب : البحــوث . د . عبد السلام ســرحان

(٢) المبشرات المنامية حق الشيخ يوسف النبهانى ص ١٥ ـ ١٦ .

وقد أذن له حبا به صلى الله عليه وسلم بالاجتماع اليه والمثول بين يديه ولو لا نسبتى لخدمته عليه الصلاة والسلام لما تواضع لى كل هذا التواضع ولاأكرمنى كل هذا الاكرام ....... ومما لا طفنى به هذا الملك الجليل قوله لى : ما سألت عنك احدا الا أثنى عليك الثناء الجميل وقد بلغنى من بعض حاشيته الامناء أنه سأل عنى كثيرا من العلماء والفضلاء فأجابوه بالمدح والثناء حتى بالغ بعضهم فقال له هو حسان زمانه فالحمد لله على فضله واحسانه على أنى والله كثير العيوب والاوزار ولكن سبحان الكريم الستار [1] ".

## عادل بك الصلح :

اجتمعت بالاستاذ عماد بك الصلح وهو أخ رئيس وزراء لبنان الاسبق الاستاذ تقى الدين الصلح . وكان الاستاذ منح بك الصلح حاضرا وهو أخ الاستاذ عماد بك الصلح . قال الاستاذ عماد بك الصح : " ان والده عادل بك الصلح كان يهتم بشخصيات قليلة فى أستقباله للناس منهم الشيخ يوسف النبهانى ومحمد عبده والامير عبد القادر الجزائرى [2] .

## الدكتور أحسان عباس :

وأخبرنى الاستاذ الدكتور عباس — رئيس الدائرة العربية فى الجامعة الامريكية ببيروت . وهو من قرية " عين غزال " التى تبعد ١٥ كم عن قريبة أجزم " قرية الشيخ يوسف النبهانى . اخبرنى فقال : " ان والدته أخبرته أن المساجد فى فلسطين قد أذنت فى غير وقت الصلاة أخبارا بوفاة الشيخ يوسف النبهانى " ويقول الدكتور احسان عباس وهذا لا يحدث الا عند وفاة أحد العظماء

---

(١) العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية ص ٧٢

(٢) اجتمعت به فى منزله فى بيروت الكائن فى منطقة الحمرا مقابل السفارة السعودية فى ١٩٧٥/١/١ علما بأنه يحضر رسالة الدكتوراه عن الاستاذ احمد فارس الشدياق فى جامعة السوربون فى فرنسا .

## الشيخ عبد الله العلايلي :

واخبرني الشيخ عبد العلايلي في ٥ / ١ / ١٩٧٥ حيث اجتمعت به في بيته قال " كثيرا ما كان الشيخ يوسف النبهاني بحكم منصبه ومركزه الاجتماعي يخلص المسلمين من أيدي النصارى ويقف معهم في خصوماتهم الدينية وكثيرا ما كانت تحدث هذه الخصومات خصوصا في بيروت حيث كانت مركزا للتبشير المسيحي • كما كان لا يتأخر عن مساعدة كل شخص يعلم أن قضيته على حق أو في سبيل الله •

وهناك قصة اشتهرت في بيروت في وقتها وهي أن اثنين كانا يلعبان الورق في أحد المقاهي في بيروت وقد اختلفا فشتم احدهما الاخر فرد عليه الاخر بأن شتمه وشتم دينه ونبيه والهه ويبدوا أن الشاتم الاول كان مسلما • وكان الى جانب المقهى جزار مسلم فلما سمع من شتم الله والاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم هجم على الشاتم وأخذ يطعنه بالسكين حتى مات والقى القبض على القاتل وأغلق دكانه • وحكم عليه بالاعدام وأرسل الحكم الى السلطان عبد الحميد ليصادق على الحكم ولما علم الشيخ يوسف النبهاني بالقصة أحضر أخا القاتل وكتب له استدعاء بأسلوب حسن مدعوم بالادلة الشرعية بأن من قتل دفاعا عن دينه لا يجوز قتله بالمقابل • كتبها بصيغة التماس بأسم أخ القاتل وطلب منه أن يتوجه بها الى استنابول وحمله برسائل توصية الى أصدقائه هناك حتى يوصلوه الى السلطان عبد الحميد وبعد مدة جاء الرد باطلاق سراح القاتل وعدم اعتبار فعله جريمه قتل • وقد زاعت هذه القصة وانتشرت وكانت حديث الناس من مسلمين ومسيحين لفترة طويلة واشتهر بها الشيخ يوسف النبهاني فزادت محبته في قلوب المسلمين • وأظن أن المقتول كان نصرانيا •

ذاعت

## يوسف النبهاني الحفيد :

وحدثني الاستاذ يوسف النبهاني ( الحفيد ) قال : (( كان من الناس الذين يكثرون من زيارته كل يوم الشيخ الحريري وكان يجتمع عنده جميع وجهاء البلد أمثال عبد الحميد كرامي والد السيد رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان حاليا ووالد تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان الاسبق وهو

عادل بك الصلح والشيخ مصطفى نجا مفتى لبنان • وغيرهم من الوجـــهاء والاعيان ويقول أيضا تحدثنا والدتي أن العلماء والوجهاء كانوا يقدمـــون لزيارة الشيخ يوسف النبهاني من مختلف أنحاء العالم الاسلامي وبعضهم كان يأتي بيروت خصوصا لزيارته وكان لا يخلو يوم من ضيف • وكان يقـــدم اليسير من الطعام قدر استطاعته وكان يدعو الى عدم المبالغة والتكليـــف فى اطعام الضيف حتى لا يحدث حرج فى استقبال غيره وكان الكثير من الوجهاء ورجال الحكم فى بيروت يزورون الشيخ يوسف ليأكلو من طعامه عـــلى سبيل البركة • وكان لا يدور الحديث فى جلسة الا فى العلم والاوليـــاء وفى كيفية حماية امة المسلمين من التبشير المسيحى الذى نشط فى زمنـــة خصوصا فى بيـــروت(١) •

## الشيخ عبد الرزاق البيطـــار :

ترجم له فى كتابة حلية البشر مما قاله " •••• أقول ان هذا الامـــام والشيخ الاديب الهمام قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم / الزواهـــر وسعدت مطالع شمائله بآدابه العجيبة البواهر ، فهو الالمعى المشـــهود له بقوة الادراك واللوذعى المستوى مقامه على ذروة الاملاك وله ذكاء أحـــد من السيف اذا تجرد من قرابه وفكر اذا أراد البحر أن يحكيه وقع فـــى أضطرابه وشعر يزرى بالعقد الثمين والدر المنثور وشعر يدل على كمـــال الادراك وتمام الشعور فهو فارس ميدان البراعة والصفاح وصاحب الرمـــاح الخطية والاقلام الفصـــاح •• الـــخ (٢) •

## الشـــيخ أحمد حسن العطـاس :

وورد ت رسالة من الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه الى الشـــيخ يوسف النبهاني رضى الله عنه وبعد ذكر ما اجيز به من علوم فيضيـــه وظاهريـــة قـــال : (( •••• واستروا ما رأيتم من هلل وزلل (٣)

---

(١) قابلته عدة مرات فى مكان عمله فى مطار بيروت الدولى وهو مهندس طيران ١/١٢/٧٤

(٢) حلية البشرة تاريخ القرن الثالث عشر الشيخ عبد الرازق البيطار ج٣ ص ١٦١٢

(٣) يقصد تلقيه عن كبار العلماء والاولياء مثل الشيخ عبد القادر الجيلانى وابن حجـــر وغيرهم واجتماعه بأهل البرزخ يقظـــه •

وما رأيتم اصلاحه أوعدم ذكره فأذنتلكم في ذلك والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤول ونسأل الله القبول وصد راليكم جبة الباس وهى التى كانت ملبوس ملبوسي بمكة المشرفة في العام الماضى وقت ورودى اليها للحج وجعلناها مع هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باذيب الشبامي وهو مسافر الى عدن الزمناه يرسلها اليكم وليكن الجواب بوصولها عن طريقه ونحن لكن داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضرى حضرتكم ومن شملته دائرة ودكم وعنايتكم منا ومن لدينا من الاولاد وذى الوداد .

حرر في ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ قال ذلك وأملاه الفقير الى عفو الله السيد / أحمد بن حسن بن عبد الله ابن على بن عبد الله العطاس المقيم ببلدة حريضة (١) .

## الشيخ محمد نمر الخطيب :

. يقول (( ..... اشتغل - الشيخ يوسف النبهانى - في أول أمره في الجوائب وعن طريق الجوائب صارت له صلات متعددة . وقد سمعت حكاية عن الشيخ يوسف النبهانى أنه عندما كان في الاستانه في أول زيارته لها سمع به أحد الكبار فاستدعاه لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان في مصر يطلب العلم في الازهر قال له لقد كنت في تلك المدة في مصر فلماذا لم تتعرف على" فقال الشيخ يوسف النبهانى : ياسيدى لو عرفتنى في مصر لما عرفتنى في الاستانة يعنى أنه كان طالبا صغيرا وفي الاستانة أصبح علما كبيرا .

ويبدو أنه في أول تخرجه من الازهر لم تسعه فلسطين ولم تتحمله فانطلق الى عاصمة الخلافة الاستانه . وقد كان يهادية أساطين الملوك من المغرب والهند وكان رجلا معتقدا محبوبا من طبقات العلماء والفقراء والصوفية . وقد اتخذ من مديحه للشخصيات الكبيرة في عصره سلما للوصول أمثال أبى الهدى الصيادى والسلطان عبد الحميد وعزت باشا العابد (٢)

---

(١) جواهر البحار الشيخ يوسف النبهانى ج٤ ص ٣٤٣ علما بأن الشيخ احمد حسن العطاس المذكور هو من السلالة النبوية الطاهرة وهو بأهدائه الجبة للنبهانى انما يقلد جده الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اهدى ثوبه ايضا الى كعب بن زهير رضى الله عنه .

(٢) مقابلة مع الشيخ محمد نمر الخطيب في بيته في بيروت ٥ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

## الاستاذ أمين النبهاني :

حدثني الاستاذ أمين النبهاني " أبو نبهان " عندما زرته للمرة الرابعة لاجل الاستفسار عن أخبار الشيخ النبهاني في بيته مقابل السفارة الفرنسية دمشق في ١٨ / ١٢ / ١٩٧٤ وكان مما حدثني به قوله : (( .... زار انور باشا بيروت وهو وزير حربية تركية وزوج أبنة السلطان محمد رشاد وقد حضر جمال باشا قائد الجيش الرابع مع مفتي الجيش المذكور الشيخ أسعد الشقيري ـ الى بيروت لاستقبال أنور باشا وكان من المستقبلين الشيخ يوسف النبهاني وعندما حضر أنور باشا وشاهد الشيخ يوسف النبهاني تقدم لتقبيل يده ولكن الشيخ يوسف سحبها ثم قلده جمال باشا في تقبيل يد النبهاني فسحبها أيضا • وكان هذا المشهد بحضور أسعد الشقيري •

يقول الاستاذ أمين النبهاني : (( قد سمعت هذه الحادثة من الشيخ يوسف في الحريشة في أجزم )) •

## الشيخ نديم الجسر :

يقول : كان الشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة استئناف الحقوق أعلى سلطة قضائية في الولايات وليس أعلى منها الا استانبول • وكان من أهل العلم المتشددين وله تأثير كبير في الاوساط الرسمية والاهلية (١) )) •

## النبهاني يرفض منصب " مفتي فلسطين " :

حدثني السيد محمد مصطفى النبهاني قال : رفض الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله أن يكون مكان المفتي عندما نفي المفتي الى الأردن من طرف الانجليز وكان أخوه كامل الحسيني مفتي القدس وهو عالم والافتاء وراثه ولما مات وضعوا الحاج أمين الحسيني فرفض المسلمون لانه لم يكن متعلما فذهب ومكث قريبا من سته أشهر في الازهر بمصر وفي مدة غيابه عين مكانه الشيخ حسام جار الله ورجع الحج أمين

---

(١) مكالمة تليفونية أجراها الشيخ طه الولي المستشار الثقافي والصحافي بسفارة تشاد في بيروت مع الشيخ نديم الجسر في ٥ / ١ / ١٩٧٥ م •

الحسيني من الأزهر وكان رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الاستاذ راغب النشاشيبي وهو المنافس لآل الحسيني على الزعامة فذهب مع الحاج أمين الى حسام جار الله وطلبا استقالته فاستقال واستقال الاستاذ راغب النشاشيبي وذهب الى وظيفته سابقا مفتشا للمعارف وأصبح الحاج أمين مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى وبقي ثلاث سنوات في الافتاء وعند تجديد المدة بالانتخاب جاء زعماء فلسطين الى اجزم وطلبوا من الشيخ يوسف أن يكون مكان الحاج أمين ورغبوه بالمال حيث أن راتب الافتاء ١٥٠ ليرة فلسطينية وراتب المجلس الاعلى ٢٠٠ ليرة فلسطينية فرفض الوظيفة لانها ستكون المنفذة لاوامر الانجليز وكان مما قاله لهم : لو ان — فلسطين اليوم يحكمها حاكم مسلم لمشيت اليها — الوظيفة — بدون مقابل . وكان لا يتدخل في السياسة وانما يتدخل في النواحي الدينية (١) .

ومن مظاهر مكانته الاجتماعية نفاذ كلمته في قلوب عامه المسلمين وحرصهم على قراءة ما يكتبه حتى اعتقدوا أن سريان أى فكرة على قلم الشيخ يوسف النبهاني كان كافيا لاشهارها وذيوعها .

ويحدثنا الشيخ النبهاني رحمه الله عن شئ من هذا فيقول " فخطر لي أن أكتب شيئاً في بيان مراد الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه من تلك العبارات الموهمات (٢) لمن لم يكن له المام في معرفة كلام مثله من السادات ثم رجعت عن ذلك لئلا أكون سببا لاشهارها فيقع المحذور وتزيد الشرور وقلت لعل هذا الكتاب وبعض عباراته الموهمات مدسوس على الشيخ كما وقع مثل ذلك للامام الشعراني رضي الله عنه في بعض كتبه وذكر أنه وقع لغيره أيضا (٣) ))

وفي مثل هذا يقول أيضا (( ...... مع أني كنت قبل هذا المنام — الذي رأيت فيه الامام ابن تيمية والامام السبكي — كتبت شيئا في الرد على ابن تيميه نقلت فيه جملا جميلة من كلام العلماء ثم ترجح عندي الا افعل لئلا أخدش افكار عوام المسلمين بتنبيههم الى رأيه الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون (٤) )) .

تخريج

---

(١) اجتمعت بالسيد محمد مصطفى النبهاني في بيته في دمشق يوم ١٩٧٤/٧/١٧

(٢) في مصاحبه الفلسان

(٣) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج ١ ص ٢٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤

فالنبهانى بما كتبه عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا كان يمثل الامام الغزالى (١) فى عصره حيث أن حالة العصر الثقافية والاجتماعية كانت تساعد على رواج مؤلفات النبهانى فى الاولياء الصالحين ولعل طبيعة الموضوعات التى طرقها النبهانى فى مؤلفاته تجد فى الكثير من مفكرى المسلمين من يرد عليها بالاضافة الى الجو الملائم الذى سيهيؤه المسيحيون عن طريق صحافتهم لاشعال هذه المعركة التى هى أقرب الى الجدل الذى يبتعد عنه النبهانى بالاضافة الى ظهور رأى الخصم واشتهاره ثم ان علوم النبهانى فى الكرامات والاولياء والتصوف ليست من الامور العقليه التى تنجلى وتتضح بالنقاش والجدل الذى يعتمد على المنطق . وانما هى أمور غرامية ذوقية قلبية ومن هنا نجد أن الصوفية كثيرا ما يرددون فى وجه خصومهم قول الامام الجنيد البغدادى " نحن أصحاب حال ولسنا أصحاب مقال " ومن هنا أيضا نعرف سر هجوم الغزالى على العقل وجعله قاصرا عن ادراك المعرفة التى موطنها القلب وهذا كان موضوع كتاب " الحقيقة فى نظر الغزالى " للدكتور سليمان دنيا .

لعل هذه الاسباب تكون كافية فى تفسير عدم شهرة النبهانى عن طريق صحافة عصره واشتهاره بين عامة المسلمين وخاصتهم حتى وصلت شهرته الى أواسط أفريقيا حيث أصبح بعض المسلمين يسمون أولادهم " يوسف النبهانى " تبركا بصاحب الاسم الاول كما هو ظاهر بنشرة وكالة الانباء السعودية .

## تفاعله مع أحداث عصره :

حدثنى الشيخ عبد الله العلايلى قال : (( لم يستطع الشيخ يوسف النبهانى أن يكون صدى للاحداث عصره اذ كان منزويا لخلجاته الخاصة جدا فى الجوانب الذووية فهو رجل طيب فى علاقته بمجتمعه عاش فى برج عاجى لم يكن رنين الاحداث يجد لديه التجاوب وهو قد عايش الاحداث الكبرى فى عصره فقابلها كأنه فى الجيل الماضى وكان لسان حاله يقول " وفيت قسطك للعلا فنم " كأنه كان واجبا

---

(١) قيل أن الامام الغزالى قد هدم الفلسفة فى كتابه تهافت الفلاسفة ولم تقم للفلسفة بعده قائمه ولم تفلح محاولة ابن رشد فى كتابه " تهافت التهافت " يقول علماء الفرنجه " ان الغزالى طعن الفلسفه فى الشرق العربى طعنه قاضية وكاد يكون نصيبها فى الغرب كذلك لو لم تلق فى ابن رشد حاميا لها احياها قرنا من الزمن "
رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ابو الحسن الندوى ص ١٨٨

أن يحصل هذه سواء .

أن الاحداث التى كان ينبغى لمثله أن يبصرها كانت تجد صدى عند حافظ وشوقى أما عنده فلم تجد أى صدى . كان عنده الاقتصار على الذووية وكان ما يعده قربى الى الله يسفر عن مدائح نبوية . والنبهانى قد تحنث فى العهد الاخير من حياته [1] )) .

فى كلام الشيخ عبد الله العلايلى مجانفة للحقيقة نوعا ما لان الشيخ النبهانى قد تفاعل مع أحداث عصره فتكلم عن التبشير المسيحى وعن التصوير وعن حركات الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وسخر قلمه وفكره فى تحذير المسلمين من الدعاوى الاجنبية الوافدة وقد حرم الربا والتأمين ...... بجميع أشكاله وعده مثل بيع الغرر . ومن يطلع على مراسلاته التى وصلت من اطراف العالم الاسلامى لا يشك فى مشاركته الاجتماعية ويذكر الاستاذ رشيد رضا فى المنار تحت عنوان " شكوى المنار من أحد عليطء المليبار " كلمة يذكر فيها أن أحد العلماء المسلمين فى مقاطعة مليبار فى الهند يذكر أن افكار كتب الشيخ النبهانى قد انتشرت فى مقاطعته ويطلب من السيد رشيد رضا بيان رأيه فى الشيخ النبهانى وأفكاره [2] .

ومجلة المشرق تهجم الشيخ يوسف النبهانى لانه طبع كتابا فى هجوم النصارى ومدارسهم التى يضللون فيها المسلمين وتقد مزاعمهم فى ألوهية السيد المسيح ومدى صحة الاناجيل المعتمدة لديهم [3]

أما اعتزاله الحياة كما يقول الشيخ عبد الله العلايلى فهى نظرة موضعية لمدة وجيزة من آخر حياة الشيخ يوسف النبهانى . فالشيخ عبد الله العلايلى قد عاش مع الشيخ النبهانى فى آخر حياته وقد نيف عن السبعين . وفى هذه السن

---

= ذلك لان تقبل المسلمين لما يقوله الامام الغزالى اوقع فى النفس لما يقوله ابن رشد للمكانة القدسية التى كان يحتلها فى قلوب المسلمين .

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله العلايلى فى بيته فى بيروت بتاريخ ٦ / ١ / ١٩٧٥ م

(٢) المنار ج ١١ ص ٤٧

(٣) مجلة المشرق ج ١٢ ص ٧١٨ — ٧١٩ .

يشعر المسلم بقرب أجله وأن الموت ينتظره فلا يكون منه الا أن يترك الدنيا والنـــاس ليستمد للحياة الاخرى بكثرة الصلاة والصوم والذكـــر .

ثم موءلفات الشيخ النبهانى التى زادت على الستين لمن كان يوءلفها ؟ ألــم يستفد منها جميع المسلمين وهو يعانى العوز المادى طيلة حياته ويوصى أن يكون حــق طبع كتبه لجميع المسلمين بشرط رخص الثمن وجودة الطباعة ويجيز قراءة كتبـــه لجميع المسلمين بشرط الاهلية ومن يقف فى وجه التبشير المسيحى فى بيروت التى كــان يخطط لها طيلة القرن التاسع عشر لتكون عاصمة لدولة مسيحية — ويوءلف الكتـب فى بيان محاسن الاسلام ليقابل به دعاوى المبشرين فى محاسن المسيحية لم يرصـــد فكره وقلمه لترسيخ الجوانب المختلفة لشخصية الرسول فى أذهان المسلمين ليتزودوا — بها أمام الدعواى التبشيرية التى تظهر المسيح بأنه المنقذ الوحيد للبشرية والداعــى للســـلام . الدعاوى

ومن يصدر عنه كل هذا كيف لا يكون مشاركا فى احداث عصره ؟ والنبهانـــى وقد وجه فكره لابراز الجوانب الرئيسية فى عقيدة المسلمين أما التهنئة بانتصار الدولـــه العثمانية فى أحد حروبها أو وصف الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية السيئة لفئة مـــن الناس أو التشكى من ظلم أحد الولاه فلم يكن هذا يسترعى انتباه الشيخ النبهانــــى ليشغله عن تثبيت عقيدة المسلمين أمام التيارات الغربية الدينية التى كانت تملأ سمع الناس وأبصارهم بما تتزود به من قوة مادية ضخمة واذا كان الشئ بالشئ يذكر فـــان ما ذكره الاستاذ احمد الشقيرى فى مذكراته موضحا الاهتمام بالقواعد الاساســـية فى العمل الوطنى أولى من الاهتمام بالمظاهر .

وقد ضرب مثلا على ذلك بزيارة السيد شكرى القوتلي لعكة وباقى مدن فلســـطين فى حزيران ١٩٣٨ يقول الاستاذ الشقيرى فاحتفلنا لقدومه وتجمع الناس لســـماع كلمته فى الاحداث العربية الجارية وقلوبهم تحترق حماسا وطنيا وهم يأملون منه أن — يزيدهم حماسا واذا به يفصح عن هدف زيارته فيقول أنه يطوف فى فلسطين ليبيع أسـهم مصنع للكونسروه — المعلبات — فى دمشق فأصيب الناس بخيبة أمل وانفضوا من حولـه وهم يتمتمون وكأنهم يقولون تبالك الهذا جمعتنا ؟! وتوالت الايام وتبين لنا مـــا حدث أن الحماس والوطنية وحدهما لا يكفيان اذا لم يدعمها اقتصاد وطنى [1] ))

---

(١) أربعون عاما فى الحياة العربية والدولية الاستاذ احمد الشقيرى ص ٤٣

كذلك أقول ان المشاركة الاجتماعية من الشيخ يوسف النبهاني لم تكن تغير من الواقع شيئا اذا لم يكن في قلوب الناس من العقيدة والمبدأ ما يجعلهم يقومون ما يحدث في مجتمعهم بوعي وبصيرة واتهام الشيخ عبد الله العلايلي للشيخ النبهاني بالانعزالية وعدم المشاركة في أحوال مجتمعه . هو نفس الاتهام الذى وجهه الاستاذ رفيق التميمي الى الامام الغزالي (١) وهو الطريق الذى سلكه الاستاذ احمد حسين في حياته السياسية فقد تكلم عن موقفه السياسي عقب حريق القاهرة الذى أدى الى تأزم الموقف سياسيا وتوقع حدوث كارثه فعقد موتمرا صحفيا في البيت الاخضر مقر حزب مصر الفتاة ووزع مساء الخميس ٢٤ يناير بيانا على الصحف حلل فيه الموقف من الناحية السياسية والعسكرية وحذر في ختامة من أن كارثة توشك أن تحل بالبلاد وقال " لما كنت غير قادر على منع هذه الكارثة فاني أعلن اعتزالي للعمل العام وسوف الزم بيتي ريثما تتضح الامور وتستقر على وجه من الوجوه (٢) )) .

## رحلاته وأسفاره :

ذكر الشيخ يوسف النبهاني أسفاره في ترجمته لنفسه فقد دخل مصر أول مرة لطلب العلم وسنه سبع عشرة سنة في غرة محرم سنه ثلاث وثمانين ومائتين تلف . ثم عاد الى فلسطين في شعبان ١٢٨٩ بعد أن مكث سبع سنوات في الازهر وأقام في عكة يقرأ الدروس في جامع الجزار . وفي سنه ١٢٩٣ توجه الى دار الخلافة القسطنطينية وبقى فيها سنتين ونصفا . ثم خرج منها قاضيا الى بلدة كوى سنجق في ولاية الموصل شمال العراق وهى من أمهات بلاد الاكراد وفي طريقه اليها مر بحلب وديار بكر والموصل وشهر زور وخرج منها بعد خمسة عشر شهرا أى سنه ١٢٩٦ متوجها الى بغداد وأقام فيها أقل من شهر وزار فيها الامام موسى الكاظم والامام الاعظم أبا حنيفة والغوث عبد القادر الجيلاني ومعروفا الكرخي وحبيبا العجمى وأبا بكر الشبلي وسريا السقطي والجنيد البغدادى وأبا النجيب السهروردى وغيرهم ثم توجه الى سامراء وزار فيها الحسن العسكرى ثم عاد الى بغداد ومنها الى الشام عن طريق الدير وتدمر ثم الى مسقط راسه اجزم حيث والداه وأرحامه ثم توجه الى

(١) الحروب الصليبية للاستاذ رفيق التميمي ص ٧٦ — ٧٧

(٢) جريدة الجمهورية الخميس ٢٩ يناير ١٩٧٦ مقال بعنوان " من حريق القاهره الى ثورة يوليو " " الرئيس السادات يكشف حقائق "

دار الخلافة سنه ١٢٩٧ هـ وأقام فيها نحو سنتين ثم عين رئيسا لمحكمه الجزاء في اللاذقية وأقام فيها نحو خمس سنوات ثم تولى رياسة محكمه الجزاء في القدس وفي أقل من سنة رقى الى رئيس محكمة الحقوق في بيروت وصلها في رجب ١٣٠٥ وبقى فيها الى أن أحيل على المعاش ٠ ثم حج الى بيت الله الحرام لاول مرة سنه ١٣١٠هـ (١)

هذا ما ذكره من شؤون سفره مع ترجمته في كتبه (٢) وفي أماكن مختلفه في كتبه ذكر اسفاره الكثيرة الى دمشق ومكة وحيفة والمدينة المنورة أما قريتة اجزم فجميع سكانها يذكرون أنه كان يقضى فيها فصل الصيف حيث كانت تقام له عريشه على ظهر بيت ابن عمه وزوج ابنته تقيه الشيخ ابراهيم النبهاني وكثيرا ما كان يقضى بعض أشهر الصيف في قرية عالية من جبل لبنان لتبديل الهواء لمرضه (٣) .

ويبدو أنه زار المدينه المنورة عدة مرات بعد أن اصبح رئيسا لمحكمة الحقوق وكان ينزل في بيت قرب باب البقيع من ابواب المدينة المنورة وهو بيت رجل صالح من المجاورين اسمه الشيخ محمد كامل بن عبد الرحمن الجبرتي (٤).

وكثيرا ما كان يأتي معه زائرا وينزل في بيت الشيخ مصطفى البابي الحلبي وغيره من كبار علماء مصر وقد سجل الشيخ النبهاني في آخر العقود اللؤلؤية " عدة لقاءات تمت له مع كبار العلماء مثل الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر والشيخ بكرى الصدفي مفتى مصر والشيخ بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية والشيخ يوسف البدرشومي والعلامة أحمد بك الحسينى فقد كان يذهب الشيخ يوسف النبهاني معه الى بيته في حلوان أو الى عزبته قرب المحلة الكبرى وفي أحد المرات أقام معه فيها خمسة عشر يوما ٠ وكذلك الشيخ سعيد الموجى وسعادة حسن باشا مدكور والشيخ عبد

---

(١) وقد أخطأ صاحب معجم الشيوخ في ترجمة النبهاني أثناء ذكر وظائفه وتنقلاته ج ٢ ص ١٦٣ _ ١٦٥ ٠

(٢) راجع هادى المريد الطرق الاسانية ص ٥٦ _ ٥٨ افضل الصلوات على سيد السادات ص ٢٦٣ واسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ _ ٣٣٥

(٣) دلائل الخيرات ص ٣ ٠

(٤) دلائل الخيرات ص ١٤١ ٠

الرحمن عليش وهؤلاء جميعهم متفقون على ضلال محمد عبده الافغاني ورشيد رضا (١) وفي أحدى زياراته لمصر زار بلاد الصعيد برفقة شاب مصري اسمه الشيخ محمود من أهل أبي تيج فزار ضريح الشيخ محمد الفرغلي في بلدة أبي تيج وفي بلدة دير سمادة زار ضريح الشيخ أبي شرقاوي ثم ألى بلدة قنا وزار ضريح الشيخ عبد الرحيم القناوي ومنها الى الاقصر حيث زار فيها ضريح أبي الحجاج الاقصري وزار المعالم الاثرية الفرعونية فيها(٢) وفي ربيع عام ١٣٢٩ زار الخديوي عباس حلمي الثاني في قصره ، وقد وصف ما تم بينهما في اللقاء . وترتيب الخديوي له معاشا شهريا(٣) .

ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني كان كثيرا ما يزور مصر ويتجول في ريفها نتيجة للدعوات التي كان يكلف بها من أحبابه .

حدثني الشيخ محمد مصطفى أبو العلا قال زار الشيخ يوسف النبهاني قرية المرج من محافظة القليوبية يرافقة الاستاذ على أفندي جارم وصلى الجمعة في جامع الشيخ سنجر بالمرج وكان الشيخ محمد عبد الغني امام المسجد أمرد وبعد الانتهاء من الصلاة قال الشيخ النبهاني معلقا : سبحان الله في بعض المذاهب من يرى عدم صحة امامة الامرد . يقول الشيخ أبو العلا . كانت هذه عادة الشيخ النبهاني اذ كثيرا ما كان يعلق برأى فقهي على ما يراه مما لا يرتاح اليه (٤) .

ورغم كثرة اسفار الشيخ يوسف النبهاني كان يحن الى بلاده فلسطين وقريته اجزم ولا بد أن تكون قد خطرت في ذهنه وهي مسقط رأسه وملعب صباه ففاضت قريحته بوصفها والحنين لها ولكن لم يصلنا شيء من هذا عن طريق كتبه المطبوعة مع كثرتها وكل ما عثرت عليه لا يزال مخطوطا لا يتجاوز الثلاثة قصائد سنذكرها في أغراضه الشعرية أن شاء الله .

---

(١) المبشرات المنامية ص ٣٥ - ٣٩

(٢) البشائر الايمانية في المبشرات المنامية ص ٣٧ - ٤٠

(٣) العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ص ٢ - ٥

(٤) مقابلة مع الشيخ محمد مصطفى ابو العلا في بيته بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٧٦ - في القاهرة .

حبسه :

المنورة

ذكر الشيخ يوسف النبهاني قصة حبسه فى المدينة المورة قال " قد حضرت من المدينة الى دمشق فى أول رجب سنة ١٣٣٠ هـ بعد أن حبست فى المدينة المنورة أسبوعا ولكن بالاكرام والاحترام وذلك بناء على تعصب الكافرين والمنافقين اللئام الذين أوقعوا الفساد بينى وبين الحكومة بايهامهم اياها أنى أفرق بينها وبين رعاياها بكتبى وقصائدى التى دافعت بها عن دين الاسلام ونافحت بها عن سيد الانام عليه الصلاة والسلام ولاسيما الرائية الكبرى فى وصف الملة الاسلامية والملل الاخرى التى أشبعت بها الكلام فى الرد على النصارى فى مقابلة تعرضهم لدين الاسلام والرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا التى أشبعت فيها الرد على أهل البدع والضلال اللئام الذين يدعون الاجتهاد ويسعون فى الارض الفساد ثم تحققت الحكومة ما أنا عليه من الصدق فى خدمة دين الاسلام والمنافحة عنه وعن النبى عليه الصلاة والسلام فأمرت بتخلية سبيلى وأظهر لى كبار رجالها الندم على ما كان فحضرت الى الشام فأستقبلنى علماؤها وأعيانها وغيرهم بغاية الاكرام والاحترام (١) .

ويبدو أن الشيخ يوسف النبهانى قد سجن فى المدينة المنورة بعد خروجه من وظيفته حيث كان رئيسا لمحكمة الحقوق فى بيروت وزيارته للخديوى عباس حلمى فى ربيع ١٣٢٩ • حين أصبحت الحكومة العثمانية بيد حزب الاتحاد والترقى لذلك كان من السهل على أعداء الشيخ النبهانى تحريض الحكومة الاتحادية عليه بعد أن زال عهد السلطان عبد الحميد الذى كان يعد من أكبر أنصار الشيخ النبهانى فى أفكاره ومعتقداته •



---

(١) دلائل الخيرات ص ١٣٩ ـ ١٤٠ •

# الباب الثاني

## " الفصل الرابع "

### (( شخصيته ومبادئه ))

مفتاح شخصيته :

تسير حياة الشيخ يوسف النبهاني في نسق واحد متكامل دون انكسار أو تحول منذ نشأته حتى وفاته وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم (( كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه )) خير ما يفسر لنا شخصيته • فالشيخ النبهاني رحمه الله نشأ في بيت والده العالم الشيخ اسماعيل النبهاني • فحفظه القرآن وبعض المتون وترعرع في قرية " اجزم " المعروفه بين قرى قضاء حيفة بكثرة علمائها • وفلسطين البلد المقدس مبعث الانبياء والرسل ومهد الحضارات ومركز تجمعها فتوسطها بين مصر والعراق وسورية واليونان وروما جعلها ملتقى هذه الحضارات التي تفاعلت فوق ترابها فأثرت في أهلها وظهرت في عاداتهم وسلوكهم واذا كان هناك ارهاص حضاري يسبق مبعث أي رسول ليمهد له ويهيئ الاذهان لسماعه وفهمه فقد حظيت فلسطين بجميع هذه الارهاصات الحضارية لان جميع الانبياء والرسل كان لهم في فلسطين مقام أو طريق • " واجزم " واقعة في منطقة الجليل التي هي من أكثر المناطق الفلسطينية خصبا وجمالا في موقعها الجبلي الذي تحيط به سهول كانت تكسوها الغابات قديماً • وقد بقيت اجزم محافظة على ثقائها الديني فلم يسكنها مسيحي أو يهودي • نقائها

كل هذه الظواهر كانت موثرات اساسية في شخصية النبهاني الوراثية البيئية فنشأ مفطورا على التدين وحب متابعة علماء السلف دون نظر أو اجتهاد ثقة فيهم فهم أقرب لمصادر الشريعة واكثر تفهما لها ولعل شخصية والده الصوفية الذي كان يداوم على أوراده حتى كان يختم القرآن كل ثلاثة ايام والذي يحدثني عنه والدي فيقول :

(( كان لا يفارق المسجد خصوصا في فصل الصيف )) هي التي انطبعت في الشيخ يوسف النبهاني فأثرت فيه وراثيا ← ونشأته حيث ولد ونشأ في بيته وتخرج منه وعمره ١٧ عاما بعد أن إصلب عوده وبلغ الرشد حافظا للقرآن وبعض المتون فملازمة

الشيخ يوسف لوالده هذه المدة هى المؤثر الاقوى فى شخصية الشيخ يوسف أما والده فقد كان ملازما لقرية اجزم لم يخرج منها فكان القرية بجغرافيتها وتاريخها وعاداتها متجسده فيه وهى بالتالى متجسده فى ولده وفى أثر النشأة والتربية فى سلوك الطفل يقول أبو بكر الأندلسى :

وطنبور مليح الشكل يحكى ... بنغمته الفصيحة عند ليب
روى لما ذوى نغما فصاحا ... حواها فى تقلبه قضيب
كذا من عاشر العلماء طفلا ... يرى بثيابه شيخ أديب

واذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد أعيد تاريخ اجزم السياسى والاجتماعى والجغرافى فى شخص الشيخ يوسف النبهانى ، فتاريخ اجزم سياسيا ان سكانها مفطورين على ولائهم للدولة العثمانية لم يتغيروا عنه وجميع سكان اجزم يتناقلون أخبار مقاومة أجدادهم لحملة ابراهيم باشا وهو فى أوج انتصاره على الدولة العثمانية وقد حدثت موقعة كبيرة بين عسكر ابراهيم باشا وأهالى اجزم راح ضحيتها عدد كبير من عساكر الباشا فأنتقم منهم وشرد الاهالى وهدم معظم القرية .

يقول الاستاذ محمد عزة دروزة (( ...... ولقد روى لنا صديقنا المرحوم ممين الماضى أن بنى الماضى قادوا فى منطقتهم حركة الثورة ضد ابراهيم باشا وأنه وقعت فى أجزم بينهم وبين جيش ابراهيم معركة شديدة وأن أحد أجداده سليمان هو الذى حرض على الثورة وأن أبراهيم باشا قتل الشيخ مسعود [1] وابنه والقى القبض على عبد الرحيم وسعد الدين وعبد المالك وغيرهم من أبناء الاسرة وأن سليمان ومحمد الماضى اختفوا فى الطنطورة ثم استطاعوا أن يهربوا بطريق البحر الى الآستانه وأن السلطان محمود اقابلهم وأنعم عليهم بلقب البيكوية وعين لهم ( آيدين ) محل اقامة فى ضيافة الحكومة وأنهم عادوا الى البلاد مع الجيش العثمانى وأن الحكومة عينت محمد بك متسلما على اجزم حينما تم جلاء الحملة المصرية وكانت حيفة تابعة لحكمه [2] .

يقول الدكتور فاضل زيدان (( وكان من أثر مقاومة أهالى منطقة أجزم أن استوطنها بعض المصريين الذين يعرفون الى اليوم باسم أسرة " المصرى " وهناك عائلة أخرى عرفت باسم اسرة البيجرمى " وقد تعلم اثنان من أبنائها فى الازهر وهما " الشيخ توفيق البيجرمى والشيخ يوسف البيجيرمى " وقد ذكر الشيخ يوسف النبهانى

---

(١) يقول الاستاذ محمود العابدى " أن الشيخ مسعود الماضى شيخ مشايخ =

أنه - في الازهر - حضور دروس الشيخ ابراهيم السقا في التحرير والمنهج لشيخ الاسلام في فقه الشافعي بحاشيتها للشرقاوي والبجيرمي في شمائل الترمذي )) (١) .

لعل الشيخ البيجيرمي الذي ذكره الشيخ يوسف النبهاني من عائلة البيجيرمي المصرية نفسها التي استوطنت " اجزم " كما ذكر الاستاذ محمود أبو العيون في كتابه تاريخ الازهر المعدودين الشيخ ابراهيم البيجيرمي " (٢) .

وتاريخ اجزم اجتماعيا يدل على انهم كانوا متماسكين فيما بينهم لروابط النسب المتشابكة بينهم ولا يوجد شخص واحد لا تربطه بأي شخص آخر رابطة من قرابة أو نسب وكثيرا ما تحدث بينهم المشاكل الكبيرة التي سرعان ما تحل بعد أن تهدأ النفوس ويتوسط العقلاء منهم علما بأن اجزم لم يكن بها مركز للشرطة على الرغم أن سكانها اكثر عددا من بعض القرى التي فيها مراكز للشرطة .

والشيخ النبهاني على الرغم مما بلغه من علو المقام ورفعة الشأن لدى الحكومة العثمانية لم ينس بلده ومسقط رأسه وملعب صباه فقد كان غالبا ما يقضي فصل الصيف من كل سنه - فيها في بيت الشيخ ابراهيم النبهاني زوج ابنته ثقية ويقول والدي " كان الشيخ يوسف اذا حضر الى اجزم في فصل الصيف يحضر معه من الهدايا التي يغلب أن تكون من نسيج الملابس الى جميع نساء أقاربه وأقارب أقاربه " وفي شعره لم ينس بلده فهو كثيرا ما يذكرها معرضا بشوقه وحنينه اليها - سنوضح الشواهد في اغراض شعره - وكان له رحم في نابلس علمت خبر زيارته في رسالة مخطوطه أطلعني عليها الاستاذ أكرم زعيتر سفير الاردن في لبنان في ٥ / ١ / ١٩٧٥

---

= جبل نابلس قتله ابراهيم باشا في نابلس اثر معركه طاحنه دارت فيها قتل فيها نحو ٧٠٠ من النابلسيين وقد هرب من المشايخ قاسم الاحمد وعيسى البرقاوي وعبد الله الجرار " من تاريخنا ج١ ص٢٠٣

(٢) كتاب العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي الاستاذ محمد عزة دروزه - ٢ص٣٤٣ .

(١) هادي المريد الى طرق الاسانيد ص ٥٨ .

(٢) تاريخ الجامع الازهر ص ٧٣ .

موجهة من الاستاذ عوني عبد الهادي الى الاستاذ محب الدين الخطيب .

ومن وفائه لطفولته ما حدثني به الاستاذ محمد خير النبهاني في ١٢ / ١١ / ٧٤ قال " ومن قصص تواضعه ووفائه ـ أي الشيخ يوسف ـ أنه بينما كان جالسا مع أصحابه اذ سمع أن أحد اصدقائه قادم لزيارته ويدعى "أبو خريش" وهو من أصدقاء طفولته ـ فنزل درج " العليه " التي كان بها ونزل يعانقه وعاد به الى المجلس وأجلسه بجانبه وفي اليوم الثاني بعث وراءه وأعطاه مبلغا من المال وقال له هذا دين عليك حتى تستطيع سداده وذلك حتى لا يكون احراجا له علما بأن عمله في اجزم كان حراثا " .

وأما صورة اجزم جغرافيا فقد وصفت في شعر الشيخ النبهاني وهو كثيرا ما يصف الاشجار والجبال متغنيا به ولعل قوته في الوصف والاتيان بالصور الملموسة نابع من المناظر الطبيعية لجبال وسهول وأودية ومنابع الماء في بلده فهذه المواقع الجغرافيه قد أسهمت في تفتق شاعريته عن صور مختلفه لا يعجز عن التفنن في رسمها وزخرفتها خصوصا وهو قد عاش السبع عشرة سنه الاولى من عمره فيها وفي هذه المرحلة من العمر يكون الانسان في قمة تأثره بما حوله من موثرات توجهه في سلوكه .

ومن العوامل التي أثرت في شخصية النبهاني مكانة أسرته الاجتماعية فهو ينتسب الى أسرة " ال النبهان " وهي وان كانت عريقة في عروبتها كما وضحنا ذلك في الفصل الاول من هذا الباب لم تكن ذات مكانة اجتماعية مرموقة في فلسطين فان عدد أفرادها قليلون ولم يشتهر منهم الا من تعلم في الازهر وكان لهم مكانة دينية عاطفية في قلوب سكان اجزم . ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كان طموحا تواقا للمعالي فهو لم يكتف بأن يكون شيخا للوعظ والارشاد في مسجد اجزم أو عكة كما كان في السنة الاولى بعد رجوعه من الازهر بل تردد الى دمشق وبيروت عدة مرات واجتمع بعلمائها. ويبدو أنه لم يجد ضالته فيهما[1]

وفي هذا المعنى صور الشيخ النبهاني رحمه الله حقيقة مشاعره وطموحه الى المعالي معتذرا الى وطنه وأهله لاغترابه عنهم . وهو في كل هذا يضرب الامثلة الكثيرة التي تسوغ فعله هذا لانه طريق سلكه الانبياء من قبله صور ذلك في قصيده

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ .

مدح بها الشيخ محمد أبو الهدى الصيادى جعل طموحه وأسفاره ومغادرة الاهل والاوطان مقدمه للمدح جاء فيها :

تذكر دهرا بالعقيق تصرما ... فواصل سفح الدمع فى خده دما
وهبت عليه من ربا الشام نسمة ... فكان يفيض النفس لما تنسما
وبان له من جانب الحى بارق ... تألق فى جو السما فتألما
وأبكاه قوس السحب لما بدا له ... فأذكر من ليلى سوارا ومعصما
كأن الهوى منه عليه بصارم ... سطا ورمى عن ذلك القوس أسهما
كأن احمرارا فيه محنى أضلع ... طوت من غرامى ما رجا متضرما
يقولون طبع النار تقويم ما أنحنى ... ولم أرضلها من ضلوعى تقوما
وانى على وجدى بليلى وأرضها ... أرى وصلها قبل المعالى محرما
وما أنا ممن يرتضى موطنا به ... يجوز عليه أن يهان ويظلما
ورب نصوح قال لى وهو همتى ... لك الله سافر تلق فى الارض مغنما
فطالبت عزمى بالرحيل ولم أكن ... لأرجع عن عزم سوى أن أتمما
وودعت أوطانى وأهلى قائلا ... الا بعد بعدى ياحبيبى فاسلما
وقالت لى اللوام اياك والنوى ... فما هى الان تسير فتندما
فقلت لهم كفوا فلست بمحجم ... عن السير الا أن أرى الدهر أحجما
دعونى فلن أنفك أركب أدهما ... من الصبر بعدى بى وآخر أدهما
الى حين اد راك الامانى فأنثنى ... حميدا وقد أبدلت عيشى المذمما
وان كانت الاخرى التى عبئوا لها ... فسوف ترانى ضاحكا متبسما
وقالوا اغتراب المرء هون وذلة ... نعم والقصارى ان يعز ويكرما
فلولا فراق الخلد حوا وآدم ... لما جاءت الرسل الأكارم منهما
وأحمد خير الخلق لولا فراقه ... لمكة لم يظفر بما كان صمما
وموسى كليم الله لولا رحيله ... لمدين لم يرجع رسولا مكرما
وفى غربة الصديق يوسف عبرة ... أما صار فى مصر العزيز المعظما
وما ضرنى لوم اذا كنت سالكا ... طريقا اتاه الرسل فيما تقدما
فقالوا دعوه انه غير سامع ... فقلت وان عدتم فلن أتكلما (١)

(١) قصيدة مخطوطة بخط يد الشيخ عبد الهادى عبد الهادى راوية شعر الشيخ يوسف النبهانى .

فقصد الآستانة عاصمة الملك ومركز السلطنه حيث توزع المناصب وكراسي الحكم .
وأول وصوله اشتغل في تحرير جريدة الجوائب وكان مضطرا لقبول هذا العمل - وان كان لا يرضاه - لايجاد مصدر معيشة له .

ويبدو أنه وجد في عمله الجديد بعض المتنفس لطموحه فظهر من نبوغه ومقدرتـه الادبية واللغوية ما جعل رئيس تحريرها - الجوائب - وهو الاستاذ اللغوي أحمد فارس الشدياق يتمسك ببقائه لمساعدته في اصدارها حتى كان يعد وجود الشيخ النبهاني بجواره من أكبر نعم الله عليه فدعاه ذلك لان يعرض عليه زيادة أجره أو مشاركته في الجريدة ولكن النبهاني رفض لانه عين قاضيا في " كوى سنجق " في العراق . فنفسه الطموحه الى المعالي ومكانة أسرته المتأخرة اجتماعيا [1] . دفعتاه لان يتخذ من قدرته العلمية والادبية واللغوية سلما للوصول .. عن طريق مدح شخصيات عصره والتقرب بل والتزلف اليهم ليساعدوه على تحقيق طموحه . في المناصب العالية فلم يكن المدح هو فنه وادبه وانما الجيء اليه للضرورة ولهذا كنا نراه كثيرا ما يتنكر لشعره الذي قاله في هذا الفرض فيأمر باتلافه ويوصي راويه شعره الشيخ عبد الهادي عبد الهادي زاجرا اياه عن رواية أي شعر في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم معتذرا عن مدح هؤلاء فيقول : (( أعلم أنه قد سبق مني قصائد مدحت بها بعض الاكابر من أهل العصر ولم أدونها لاني أن لم أكن آثما بها فلا أحسبها من أعمال البر فكان الحامل عليها الدنيا لا الدين في استعطاف بعض اكابر المسلمين لقضاء حاجاتي ومساعدتهم . بمهماتي ولم آخذ من أحد منهم جائزة على شيء من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذون الشعر صنعه ويأخذون عليها الجوائز فقد أغناني الله بفضله عن استجداء الناس بالشعر وغيره . فقد سهل لي تعالى للرزق منذ نشأتي ولم يحوجني الى شيء من ذلك اذ قام والدي حفظه الله وجزاه عني خير الجزاء بكفايتي في صغري ومدة مجاورتي في الجامع الازهر ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين أقمت فيها في كل مرة أكثر من سنتين فيسر الله لي مطبعة جريدة الجوائب فكنت آخذ منها في كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح ولا أشتغل بذلك الا نحو ساعتين أو ثلاث غالبا وكان ذلك بطلب صاحبها أحمد

---

(1) في عصره كانت المناصب توزع حسب المكانة الاجتماعية في الدرجة الاولى وليس للمكانة العلمية .

أفندى فارس والحاجة بحيث كان يعد نى من أكبر النعم عليه وأظهر الاسف الشديد لخروجى حينما توظفت فى الحكومة ، وقد عرض علىّ أن اشاركه فيها أو يزيد فى أجرتى فلم أقبل مع أنى كنت فى مدة اقامتى فى القسطنطينية فى احتياج الى النفقة فيسرها الله لى بغاية الإعزاز والاكرام .

الى أن سافرت منها فى المرة الاولى الى العراق بقضاء كوى سنجق فى ولاية الموصل ثم رجعت وسافرت منها فى المرة الثانية سنه ١٣٠٠ هـ لرياسة محكمه الجزاء فى اللاذقية من سواحل الشام ثم بعد الاقامة فيها خمس سنين نقلتنى الدولة نصرها الله بوساطة [1] من قدر الله لى الخير على أيديهم بدون طلب ولا علم منى الى رياسة محكمة الحقوق فى بيروت وذلك فى سنه ١٣٠٥ هـ مع زيادة المعاش نحو ضعفيه ... على كل حال ولقلة أشغال هذه الوظيفة ألهمنى الله الاشتغال بالتأليف وقد صار لى فيها تسعة عشر عاما بهذه السنة ١٣٢٤ هـ وفى أثناء هذه المدة عادانى وآذانى بعض أكابر الاشرار فسعوا فى عزلى والمبالغة فى ضررى وتكرر منهم ذلك حتى فى هذه المدة فحمانى الله من شرهم بفضله وكرمه وكرامة لحبيبه صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فان قال قائل ان قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الاكابر ولم تلتزم فيها الصدق والحق سيآت لاحسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لا مناقب فى جملة أثارك مرسومة ، قلت نعم ... لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الاوصاف لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعة من أدق الصنائع والماهر فيه يجتهد فيه بقدر حذقه فى بهرجة ألفاظه والمبالغة فى معانية وبقدر أستطاعته يجتهد فى تحسين صنعته ليظهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله تعالى ومع ذلك أقر وأعترف بأنى لاورع عندى يحجزنى عن المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فانى لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لا يحسنها الا الكذب والمبالغة فيه فقد قيل " أكذبه أعذبه " الا أن يكون فى مدح الانبياء والاولياء والصالحين ولاسيما اذا كان فى مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما

---

(1) فى الاصل : بواسطة .. وهو خطأ شائع .. وصوابه ما أثبتنا .د. عبد السلام سرحان .

بالغ الشعراء لا يصلون الى ما يجب له عليه الصلاة والسلام فضلا عن أن يكذبوا أسا مدائح غيرهم فلا يحسنها الا المبالغة في الكذب .

ولخوفي من تبعة تلك القصائد لم أجمعها في ديوان كعادة الشعراء ولم أذكر شيئا منها في كتاب من هذه المؤلفات الدينية التي أعدها ان تقبلها الله بفضله من الاعمال الصالحات غير أني أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات ولا من السيئات وهي لا تتجاوز خمس عشرة قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت كل واحدة منها وحدها ولم يكن شيء منها في مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا معينا من المسلمين بل ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك في القصائد النبوية في ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم وما كان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشعراء والا فوالله الذي لا اله الا هو لم يدخل فمي ولا جوفي شيء منها ولا من غيرها من جميع أنواع المسكرات وقد كنت في صغري أنظر الى من يقال عنه انه يشرب الخمر كنظري الى الكفار أو قريبا منهم والحماية حماية الله والحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده .

وقد ذكرت هذا البحث هنا لئلا يسيء الظن بي من أطلع على شيء من تلك القصائد المطبوعة ومبالغاتي فيها فيحسبها من الاباطيل التي لا تقال والعورات التي لا تقال فيقل الاقبال على كتبي النافعة فيحرم القاريء خيرا كثيرا وأحرم انا الاجر الذي يترتب لي على انتفاعه بها .

ولاجل تمام الفائدة أنقل هنا ما قاله في ذلك بعض أئمة الاسلام ..... الخ

" ثم ذكر ما كتبه الامام ابن حجر العسقلاني في الزواجر الكبيرة الستون والحادي — والستون بعد الاربعمائة في أحكام المدائح التي تصدر من الشعراء فيها مبالغات[1]))

اذن ما أقوله بعد هذا : أنه مدح بعض الشخصيات في عصره ليعوض ما فقده من تأخر أسرته اجتماعيا .... يظهر هذا في مدحه لاحمد عزت باشا العابد الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد ، وهذه القصيدة بلغت خمسة ومئة بيت وهي

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٩٠ — ٣٩٣ .

مطبوعة ضمن اطار مزخرف بيد وفيه انها كانت تعلق في البيوت اعتزازا بمعدو حسنها وقد جاء في ختامهـــا :

| | |
|---|---|
| يابهجة المصر يا زين الزمان ويا | بحر المكارم لا تنفك توليهــا |
| أتحبتني فاتئـد لا تولني نعمـا | جديدة قد كفاني منك ماضيهـا |
| عجزت والله عن شكرى لسالفهـا | فكيف امكان شكراني لآتيهـا |
| هذى مكارمك الاولى وفت وكفـت | والان نفسى التفات منك يكفيهـا (١) |

ومثل هذا قوله في مدح الاستاذ أحمد فارس الشدياق :

| | |
|---|---|
| نمتك فأعطف بالقبول موكـدا | لبيد لنى دهرى المنايا أمانيـا |
| ودونك منى غادة عربيـة | أتت لك عجبا بالمدح تهاديـا |
| درت أننى مهديكها فتبسـمت | فقالت بخ للملوك وماليـا |
| تغفروا حماك الله ما أنا واصـل | علاك ولو صفت النجوم قوافيـا |
| وحسبك أنى في اغترابى لم أجـد | سواك امرأ مما جنى الدهر واقيـا |
| تكامل فيك الفضل لا زلت حائـزا | كمالا على كر الجديدين باقيـا (٢) |

ومثله قوله في مدح الاستاذ الشدياق أيضـا .

| | |
|---|---|
| واعذر فتى درست معالم أنسـه | ومشى عليها الدهر وهو مقيـد |
| جمع الأسى جملا لديه وشـمله | عقد بأيدى الحادثات مبـدد |
| أوطانه بعدت عليه وأنمـا | أوطاره وهى المعالى أبعـد |
| يبغى أجتماعهما ويعلم أنـه | شىء يحكم زمانه لا يوجـد |
| ولعل هذا الحكم ينقضه فـتى | أنت المراد به كريم أمجـد |
| فأسلم ودم سندا لمثلى والمـلا | عن فضلك العالى حديث مسنـد (٣) |

فهو في القصيدة الاولى التى مدح بها الشدياق يصرح في البيت الذى قبـل الأخير بأن الاستاذ الشدياق كان المنقذ والملجأ للشاعر في اغترابه في الاستانـة

---

(١) قصيده مطبوعة وجدها المطبعة الادبية ببيروت ١٠ جمادى الثانية ١٣٢٠

(٢) كنز الرغائب في منتخبات الجوائـب ج ٤ ص ١٤٠

(٣) المصـدر السـابق ص ١٣٣

وفى القصيده الثانية يصرح بأن الاستاذ هو محط آمال الشاعر وعليه يعلق طموحه للوصول الى العلا ، فالشعور بالضعف الذى يبدو على الشاعر فيما يؤمله من ممدوحيه يدل على طموح الشاعر وبعد آماله وأنه ما كان يرضى بما يصل اليه بل يتطلع الى المزيد وكأنه كان يرسم لنفسه مكانة لا بد أن يصلها فاذا أنهى مرحلة منها طلب ما بعدها حتى يصل الى مطمحه ويحقق آماله ولكنه لا يملك الوسيلة اذا الا بد أن يوجدها من ذاته عن طريق مدح وجهاء عصره .

فمفتاح شخصية النبهانى أنه من أسرة آل بنهان العريقة فى عروبتها ولكن لم تكن لها مكانة اجتماعية مرموقة فاضطر الشيخ يوسف لان يستخدم مقدرته العلمية فى مدح شخصيات عصره لارضاء طموحه فى الحصول على الوظائف العالية وهو مخلص للدولة العثمانية خصوصا السلطان عبد الحميد ورجاله . وهو متدين بل متبتل فى تدينه وقف مقدرته الادبية لخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا وكان حريصا على ألا يؤثر شىء من أدبه فى غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعد غيره جديرا بمدحه .

## أخلاقه :

كان الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله ملتزما بالقرآن والسنه لا يلتفت الى سواهما مما قد يقتضيه العصر ولعل نشأته فى "اجزم" وتربيته وتعلمه على والده الشيخ اسماعيل النبهانى ثم تعلمه فى الازهر على نظام الحلقات على مشاهير علماء عصره كان له أكبر الاثر فى تكوينه الخلقى والارجح أن يكون الشيخ النبهانى قد تحددت معالمه الخلقية قبل أن يخرج من اجزم لانه عاش طفولته وبواكير شبابه فى بيت والده العالم الزاهد الملتزم بالشريعة الاسلامية أما الحقبة التالية من حياته فى الازهر فقد كان مشغولا فى التحصيل والمطالعة .

ويذكر الشيخ يوسف أنه كان يحضر حلقات جمال الدين الافغانى وكان الافغانى يظهر نحوه الميل والقبول ولكن الشيخ يوسف ترك مجلسه لما رأى أنه يسىء الظن بالصوفيه والشيخ يوسف رأى الشيخ الشربينى يطرد الافغانى من الازهر ويضربه بعصا (١) .

---

(١) جواهر البحار الشيخ يوسف النبهانى ج ٢ ص ٥٧ - ٥٨ .

فانفضاض الشيخ يوسف النبهاني من حلقة الافغاني يدل على أن خلقه وتفكيره قد تحدد سابقا لذلك يرفض أي فكر يعارضه .

ومن معالم أخلاقه وتواضعه ما حدثني به الشيخ عبد الله العلايلي بمنزله في بيروت يوم ٥ / ١ / ١٩٧٥ ـ قال " كان من أصدقاء الشيخ يوسف النبهاني المقربين الشيخ محمد العربي العزوزي أمين الفتوى في لبنان وهو محدث كبير وصوفي وحافظ وقد عزم الشيخ النبهاني على الطعام ودخل عليهما رجل اسمه أبو محمد الجزائي وكان دلالا ولما رأى الشيخ النبهاني أخذ يتناوله بالسباب والشتائم والشيخ النبهاني مطرق برأسه لا يتكلم بشيء وهذا يدل على حلمه " ويقول الشيخ عبد العلايلي أيضا :

" وقد كان الشيخ يوسف قليل الكلام ومن يجلس معه يشعر بروحانية اذا تكلم عن شؤونه الخاصة تكلم ببطء . وكان في لسانه تأتأة واذا تباحث أحد معه في أحدى المسائل وأحوجه لبيان وجهه نظرة يفيض كالبحر . " .

كما حدثني المهندس يوسف النبهاني الحفيد ـ بتاريخ ١/١٢/١٩٧٤ قال حدثتني والدتي قالت " كان من عادات الشيخ يوسف أنه اذا اجتمع في بيته نسوة وجاء وقت مغيب الشمس طلب مني أن أخبر النساء بوجوب ذهابهن الى بيوتهن لأزواجهن . " ومن أشهر معالم خلقه الاسلامي : الحكم بالشريعة الاسلامية :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ..... قد فصلت من وظيفتي رياسة محكمة الحقوق في بيروت سنه ١٣٢٧ هـ (١) بعد أن أقمت ثنتين وعشرين سنة متوالية وكنت فيها كما قال الشيخ مصطفى البابي الحلبي وكان من قضاة عصره وأفضلهم وأشعرهم :

وليت الحكم خمسا وهي خمس ... لعمري والصبا في العنفوان
فما وضع الاعادي قدر شأني ... ولا قالوا فلان قد رشاني

---

(١) نفس السنة التي قامت فيها الثورة على السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ م .

سوى أنه قد ولي الحكم خمسة أعوام ووليته ثلاثين عاما منها في بيروت اثنان وعشرون والباقي في بيت المقدس واللاذقية وكوى سنجق من بلاد الاكراد ، والله أنسى لا أذكر أني حكمت في هذه المدة حكما مخالفا للشريعة المطهرة او لغرض سوى اتباع الحق بحسب مقدرتي ومعرفتي ولذلك رأيت في منامي وأنا في المدينه المنورة أن محكمتي في جانب محكمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكأنا معه أحياء والحمد لله رب العالمين .

وقد كان فصلي من وظيفتي المذكورة نعمة من أكبر النعم التي أنعم الله علي فأنه سبحانه وتعالى وفقني من حين فصلي منها الى الان لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والاقامة في جواره مدة سبع سنوات ما عدا أيام الصيف عند شدة الحر فكنت أرجع الى بلاد الشام فأقيم فيها مدة الصيف ثم أرجع[1] "

أود أن أضيف أن الحكم بالشريعة الاسلامية كان هو السائد في زمنه والذي قبله فقد جاء في مرسوم تسليمة الشيخ عيسى الماضي ليافة المؤرخ في ١٤ محرم ١٢٤٧ قوله : " .... فكنا متسلمية يافة من عهدة الشيخ سعيد المصطفى المتسلم السابق وقد فوضناها لعهدة الشيخ عيسى المومأ اليه فلزم اخباركم بذلك لكي تعلموا أن المومأ اليه منصوب متسلما من طرفنا ..... ونخبر متسلمنا المدعى المومأ اليه أن يلزم منك أولا ودائما أن تكون مطابق كافة أمورك للشرع الشريف والقانون المنيف " ....... الخ (٢) "

وقد أشار الاستاذ مصطفى مراد الدباغ لهذه المتسلمية فقال " الشيخ عيسى الماضي من " أجزم " من اعمال حيفة امتدت متسلميته أي تولي منصب قضاء يافة من ٩ محرم ١٢٤٧ الى ١٥ جمادى في السنة نفسها (٣) "

---

(١) دلائل الخيرات ص ٥ ـ ٦

(٢) الاصول العربية : لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا الدكتور أسد رستم ج ١ ص ٢٧ ـ ٢٨

(٣) بلادنا فلسطين مصطفى الدباغ ج ٤ ق ٢ ص ١٨٢ .

والى عفته في القضاء أشار الأستاذ أدهم الجندي فقـــال :

" ......... اشتهر بالعفة والنزاهة خلال مدة أعماله في القضاء كـان مضرب المثل في الجرأة وقوة الارادة ولا يقبل شفاعة أحد في أحكامه الى زانه الله بالحصافـــة والعزة والهيبـــة (1) ".

استعماله الألفاظ النابية في وصف الخصـــوم :

يقول الأمير شكيب أرسلان في وصف الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله "..... الا أنه كثير الوسواس عظيم الاعتقاد في الاولياء والصالحين قائلا بخوارق العـــادات والكرامات الى حد الغلو فكان يكره كل من يشك في شيء منهـا (2) ".

وجاء في مقدمة رسالة الشيخ النبهاني بعنوان " حسن الشرعة في مشروعيـــة صلاة الظهر اذا تعددت الجمعـــة " ...

اعلم أن كلامي في هذه الرسالة انما هو مع المسلمين المحافظين على الصلـوات المنقادين لاحكام الشرع الشريف مما ورد عن سيد المرسلين صلى الله عليه وســـلم وأئمة دينه المبين أما التاركون للصلوات من أولئك الفساق الجهال الذين يدعـــون الاجتهاد (3) ويسعون في الارض بالفساد فلا كلام لي معهم لليأس من سلوكهم سبيـل السداد ، وكيف يمكن اقناعهم بصلاة الظهر بعد الجمعة وأكثرهم لا يصلون جمعـــة ولا ظهرا ولا فرضا ولا نفلا فهؤلاء لا يقنعهم كلام ولو كان صادرا من أكابر أئمـــة الاسلام ، اذ هم ليسوا من العلماء ولا الصلحاء بل هم من الجهال المجانين ولـــو كان جهلهم بسيطا كان الامر سهلا ولكن جهلهم مركب من جهلات تراكمت على قلوبهم ويعترضون على تدوين هذه المذاهب الاربعة ويزعمون بجهلهم أن ذلك تشتيت لأمــر الدين وتحكم للآراء في شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وســـلم وما علموا في جهلهم الذي وصل الى درجة الجنون أن المذاهب الاربعه انما هـــى

---

(1) اعلام الادب والفن الاستاذ ادهم الجندي ج ٢ ص ٣٤٢

(2) كتاب السيد رشيد رضا واخاء اربعين سنة ص ٧٥

(3) متى استعمل الشيخ النبهاني هذا المصطلح فالمقصود مدرسة الافغاني ومحمـد عبده ورشيد رضا لانه ذكر مناسبة جمعته مع محمد عبده ولم يصل راجع كتـــاب البشائر الا يمانية في المبشرات المنامية ص ٣٢ _ ٣٥ .

شروح للكتاب والسنة لم يخرج شيء منها عنهما اما صراحة واما دلالة ولا يقدر على استنباط الاحكام منهما الا أولئك الائمة المجتهدون اجتهادا مطلقا .... حتى استنبطوا الشريعة المحمدية من الكتاب والسنة وما ألحق بهما من الاجماع والقياس وضبطوها أحسن ضبط لا يمكن الوصول اليه لولا أعانة الله تعالى لهم عليه ودونوها على هذا الوجه المشهود المشهور الذى تكفل بحفظها من الزيادة والنقص والتبديل ومن تلاعب الناس بآرائهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة مثل هؤلاء الحمير الذين لو سلم الامر اليهم لانحلت عرا الدين وضلت هذه الامة كما ضل غيرها من امم الانبياء السابقين ولكن الله تعالى وله الحمد والمنة قد قال " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " ومن تمام حفظه أن يسر لفهمه أولئك الائمة الاعلام نواب خاتم الرسل الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .(١)

ويذكر الشيخ يوسف النبهانى فى كتاب دلائل الخيرات رسالة وردته من الرسول صلى الله عليه وسلم ومما ذكر قوله : ـ " قد اجتمع العلامه الأوحد السيد محمد بن جعفر الكتانى الفاسى وهو مجاور بأسرته (٢) فى المدينة المنورة فى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٢ هـ بالشيخ الجليل بركة الله عبد الرؤوف القندهارى الخراسانى السليمانى وسنه نحو السبعين عاما الحاج الى بيت الله على قدم التجريد احدى وعشرين مرة ماشيا حافيا من قندهار الى بيت الله الحرام فقال لسيدى محمد بن جعفر المذكور رضى الله عنهما انه القى الى من الحفرة النبوية القاء صحيحا لا شك فيه وهو وقت نزوله بي يكون أشد على من حمل الجبال أن أقرأ السلام على الشيخ النبهانى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرحمة والبركة وقل له على لسانى ـ أى على لسانه صلى الله عليه وسلم ـ ان احتياج الناس الى العلم أشد من احتياجهم الى المال وقل له أيضا وصية منى له : " طهر لسانك وقلبك "

انتهت رسالته صلى الله عليه وسلم للفقير يوسف النبهانى مع هذا الولى الجليل رضى الله عنه وقد أخبرنى بها سيدى محمد بن جعفر رضى الله عنه فى ١٧ محرم ١٣٣٢ هـ فى منزله بالمدينة المنورة كما أنه هو تلقاها من الشيخ عبد الرؤف الخراسانى فى هذا المنزل الواقع فى جوار سيدنا عبد الله والد النبى صلى الله عليه

---

(١) حسن الشرعة فى مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة الشيخ يوسف النبهانى ص ٣٢

(٢) فى الاصل : بعائلته ، وهو خطأ شائع .

وسلم والحمد لله رب العالمين .

ثم اجتمعت بالعالم الفاضل الصوفي الكامل الشيخ محمد أعظم الهندى المجاور في المدينة ولأن الشيخ عبد الرؤف القندهارى المذكور كان ضيفا له نازلا في داره - فذكر انه قد سمع منه ذلك كما أخبرني به سيدى محمد بن جعفر بذلك وقال له أخبر به الشيخ يوسف النبهاني ولم أكن في المدينة المنورة في ذلك الوقت بل كنت في بلاد الشام ولذلك لم أفز بالاجتماع بالشيخ عبد الرؤف رضى الله عنه (١) ".

ومن يقرأ قصيدة الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا للنبهاني التي هجا فيها كل من الافغاني ومحمد عبده ورشيدا والالوسى . يجد أنه استعمل ألفاظا نابية جدا (٢) .

حسن الظن :

كان الشيخ النبهاني رحمه الله يحسن الظن بالغير محاولا تخريج الامور على أفضل وجه لها ما استطاع الى ذلك سبيلا فهو يقول بعد أن دافع عن الشيخ عبد الغنى النابلسي رضى الله عنه وفند الأقوال التي تتهمه بحب الغلمان وقال ا " ولله الذي لا اله الا هو انى أقبل بانشراح صدرى نسبة العيب لنفسي ولا أقبل نسبته الى أولئك السادة الكرام . شموس الايمان وبدور الاسلام حشرني الله في زمرتهم ولا حرمني في الدارين ثمرة بركتهم وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم لأنهم أئمتنا قدوة جميع المسلمين ويرجع الى الدين ما ينسب اليهم من التقبيح والتحسين (٣) ".

ومما يظهر حسن ظنه حتى فيمن يخالفونه في الرأى والمشرب كالامام بن تيمية فبعد أن سرد الشيخ النبهاني رؤية رأى فيها ابن تيمية والامام تقى الدين السبكى في المنام قال " ........ ولم يخطر لى في المنام شىء مما وقع من ابن تيمية في مسألتي زيارة النبى صلى الله عليه وسلم والاستغاثة ورد السبكى عليه

---

(١) دلائل الخيرات شرح الشيخ يوسف النبهاني ص ١٤٣ - ١٤٤

(٢) الديوان ص ٣٤٩ - ٤٠٠ .

(٣) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٠

ذلك أني كنت قبل هذا المنام كتبت شيئا في الرد على ابن تيمية نقلت فيه جملا جميلة من كلام العلماء ثم ترجح عندي الا أفعل لئلا أخدش أفكار عوام المسلمين بتنبيههم الى رأيه الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون وابن تيمية هذا هو امام كبير وعلم علم شهير من افراد أئمة الامة المحمدية الذين تفتخر بهم على سائر الامم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان خطأ فاحشا خالف فيه جمهور الامة من السلف والخلف .... وابن تيمية وان أخطأ في هذه المسائل قد اصاب في مسائل لا تعد على أن بعض ما نسب اليه في تلك المسائل انكر نسبتها اليه بعض العلماء الاثبات وعلى كل حال ان الحسنات يذهبن السيئات وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرني مع الامامين الجليلين في جملة المؤمنين المتحابين [1] ".

## الأمانة العلمية في النقل :

من يقرأ في كتب الشيخ النبهاني يلاحظ أنه لا ينقل عبارة الا ويشير الى مصدرها فهو يتحرز أن ينسب كلام غيره لنفسه فهو في أثناء كلامه عن التنبيه الثاني في فوائد جمع شمائله صلى الله عليه وسلم يقول " ....... فجزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلا عمن أرسل اليه فانه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا في دين ودنيا أو رفع بها عنا مكروه فيهما أو في أحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها والقائد الى خيرها والهادي الى رشدها .

وهذه العبارة من قوله " فجزاه الله الى آخرها " عبارة امامنا الشافعي رضي الله عنه نقلتها من رسالته التي رواها عنه صاحبه الامام الربيع بن سليمان رحمه الله [2] " وهذا يدلنا على مدى احتراز الشيخ النبهاني من أن ينسب لنفسه قولا ليس له —
والشيخ النبهاني رحمه الله يذكر في كل كتاب له المصادر التي رجع اليها في كتابه موضحا طريقته في نقل المعلومات من مصادرها وظروف تأليف الكتاب . مثلا في كتابه " وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ النبهاني

---

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج ١ ص ٢٤

(٢) وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٩

" ........ فجمعت هذا الكتاب من آثاره وشمائله الشريفه صلى الله عليه وسلم وأدخلت فيه جميع الشمائل التى رواها الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى رضى الله عنه بعد حذف مكررها وأسانيدها ، ولم أتقيد بترتيبه وتبويبه بل سلكت أسلوبا غير أسلوبه واضفت اليها من كتب الائمه الآتى ذكرها أكثر منها بكثير وألحقت بغريب الالفاظ ما تدعو اليه الحاجه من ضبط او تفسير فجاء كتابا حافلا ليس له فى بابه نظير وسميته " وسائل الوصول الى شمائل الرسول ".

وهذا بيان الكتب التى نقلت ورويت منها (١) " .... فهذه أصوله لم يخرج عنها شىء منه اللهم الا أن يكون ذلك فى تفسير الغريب فانى قد رجعت فيما لم أجده فيها كتب اللغه وذلك نزر يسير وقد ذكرت فى بعض الشمائل اسم الصحابى راوى الحديث والامام مخرجه وفى بعضها اسم الصحابى فقط ولم أذكر فى بعضها غير متن الحديث تابعا فى جميع ذلك الاصول المذكوره وقد رتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمه (٢) ثم أخذ فى ذكر الابواب والفصول ..

## المبشرات المنامية :

اهتم الشيخ النبهانى رحمه الله بمرائيه المنامية التى سماها المبشرات المنامية وهى تضم ما رآه هو بنفسه أو ما رآه الناس له وقد سجل هذه المبشرات فى كتاب خاص سماه كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ملحق بديوانه " العقود اللؤلؤيه فى المدائح النبوية " ذكر فيه ستين مبشرة منامية رآها أو رؤيت له وفى كتابه جواهر البحار ذكر احدى عشر مبشرة أخرى (٣) .

وفى كتابه الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ذكر عشرين رؤيا مناميه (٤) وقبل اعادة طبع شواهد الحق " للمرة الثانية أخبر الشيخ النبهانى بإعادة طبع كتابه من شركة مصطفى البابى الحلبى فأرسل اليهم مبشرة منامية لتذكر فى آخر الكتاب

---

(١) ثم يذكر الكتب

(٢) وسائل الوصول الى شمائل الرسول ص ٢ ـ ٤

(٣) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار ج ٣ ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨

(٤) الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ص ١٤٥ ـ ١٤٧

فيكون مجموع المبشرات المنامية التى رآها الشيخ النبهانى والتى رؤيت له اثنتين وتسعين مبشرة .

وقد اهتم الشيخ النبهانى بها حيث كان يكتبها فى الوقت الذى يستيقظ فيه من النوم حتى لا ينساها وقد تكلم فى كتبه كثيرا عن الرؤى المنامية وأدلتها فى الشرع فى كتابه البشائر الايمانية المذكور [1] ونقل فيه ما قاله الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية من حيث اعتبار المرائى المنامية فى نظر الشرع الشريف مستشهدا " بالكتاب والسنة ثم تكلم عن رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام واليقظة ثم تكلم فيما ورد فى حق الكذب فى الرؤيا . وفى آخر كتابه الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة " الملحق بكتاب شواهد الحق تكلم عن الرؤيا شرعا وفيما ورد فى حق الكذب فى الرؤيا [2] وفى كتابه سعادة الدارين تكلم كثيرا عن الرؤيا المنامية وعن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما مستشهدا بما قاله العلماء فى كتبهم وتكلم عن تفسير رؤياه صلى الله عليه وسلم ثم أورد رسالة الشيخ محيى الدين بن العربى يتكلم فيها عن الرؤيا المنامية وسندها من الشرع . ذكر فيها عدة مراء نبوية له وبعد أن انهى رسالة الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال : " ورأيت كتابا كبيرا لسيدى أبى المواهب الشاذلى كله فى رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم ورأيت رسالة فيها خمسون رؤيا نبوية للسيد محمد المحفوظ المغربى ابن بأباس رضى الله عنهما [3] وكأن الشيخ النبهانى يدلل على شرعية المرائى المنامية وأنها فى حكم المتفق عليها عند علماء الشريعة وهذا الحرص من الشيخ النبهانى على شرعية المرائى المنامية يشير الى وجود من ينكر صلتها بالحقيقة فى عصره وهذا لا يستبعد حيث كثرت النظريات الغربية الفكرية الوافدة من الغرب وكان لها من يروجها خصوصا فى بيروت موطن الشيخ النبهانى .

لذلك يطيل الشيخ النبهانى فى الكلام عن الرؤيا المنامية ويكثر الاستدلال على شرعيتها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والعلماء من بعدهم .

والشيخ النبهانى رحمه الله يؤمن بما يراه فى المنام أو يراه الناس له أيمانا مطلقا

---

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٢ ـ ٨

(٢) شواهد الحق للنبهانى ص ٥٦٣ ـ ٥٦٥

(٣) سعادة الدارين ص ٤٠٩ ـ ٤٧٨ فى كتابه هذا ذكر الشيخ النبهانى ٤٠ ـ فائدة لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام ص ٤٨٤ ـ ٨٩٣

ربما يستدل به على شرعية بعض ما يستريب من أمور عارضه لم يطمئن اليها . مثال ذلك ما ذكره الشيخ النبهانى فى المبشرة الرابعة من مرائيه النبوية قال " كنت ألتجىء بعض الاحيان لتمشية أمورى الدينوية الى بعض أكابر الناس الذين ليسوا على قدم التقوى والصلاح وكان يحصل لى من ذلك بعض تشويش خوفا من أن يكون ذلك غير مرض لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكنت أستدل لنفسى على جوازه بدخول النبى صلى الله عليه وسلم الى مكه فى جوار المطعم بن عدى عند عودته من الطائف لما توجه اليها بعد وفاة أم المؤمنين سيدتنا خديجة رضى الله عنها ووفاة عمه أبى طالب فقابلوه بما يكره فعاد مكروبا فلم يمكنه الدخول الى مكه الا بجوار كبير منهم فأرسل الى المطعم بن عدى ليدخل فى جواره فقبل ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم فى جواره وبعد أن طاف بالبيت توجه الى منزله وكان معه مولاه زيد بن حارثه رضى الله عنه فكنت اذا تخطرت ذلك يسهل على الامر ففى سنه ١٣١٧ هـ جاءنى رجل فقال انه فلان بينما كان يشرب المسكرات فى مجلس لهوه بلغه الخبر بأذيتك الاذية البالغة من طرف رجل آخر فقام واجتهد وهو فى تلك الحالة لدفع الاذية عنك فوفقه الله لذلك فسررت من جهة وحصل لى قبض شديد من جهة أن هذا الرجل الذى أستند اليه فى أمور [illegible] وهو فى هذه الحالة السيئة من التهتك بالمعاصى . واستمر معى القبض لذلك عدة ساعات من النهار والليل الى أن نمت على تلك الحال من القبض لهذا السبب فرأيت فى منامى كأنى فى محل مرتفع فى جهة مكة وهو الجبل الذى هو فوق مقبرتها المعلاه وأنا ناظر الى جهة مكه والنبى صلى الله عليه وسلم داخل اليها من جهة المعلاه وقد سار فى أوائل العمران وخلفه شخص آخر تابع له وبينى وبينه نحو مئتى خطوة وأنا من خلفه أنظر اليه والى الشخص الذى معه وهو صلى الله عليه وسلم يسرع بدخوله اليها على هذه الحالة وأهلها جميعا مشركين على ما هم عليه من مخالفته صلى الله عليه وسلم ثم انتبهت وتذكرت أن هذه حالة دخوله صلى الله عليه وسلم الى مكة ومعه زيد حين رجوعه اليها من الطائف فكان لى بذلك أعظم أعتبار والحمد لله رب العالمين (١) "

والمرائى المنامية تكون فى حياة الشيخ النبهانى جانبا مهما لدراسة شخصيته

---

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ١١ سعادة الدارين ص ٤٧٩ — ٤٨٠ .

والوقوف على حقائقها كما أن فيها انعكاسا لشخصية النبهانى لدى الناس المصريين الذين يعرفونه بالشخص أو بالاسم وفى كل هذا أكبر دلالة على مكانة الشيخ النبهانى فى مجتمعه فهو يرى نفسه واقفا على منزلة من منازل أهل بدر أثناء توجههم لملاقاة قريش ويرى الشيخ محيى بن العربى رضى الله عنه ويقبل يده ويرى نفسه يتلو آيات قرآنية كثيرة فى وصف بعض الانبياء ونصرة الله لهم على أعدائهم وتكرار هذه الآيات مرة بعد مرة ولما استيقظ فهم أن المقصود من هذه الرؤيا الاشارة الى هؤلاء المبتدعين محمد عبده ورشيد رضا والافغانى ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أنا لا أقدر على قيام الليل فيفسر ذلك أنه هو المقصود ويعتذر لعدم التوفيق ولاعتلال الصحة ويرى نفسه مع رجل اسمه بشير وهو يبين له فضل الرسول على سائر الانبياء ويرى نفسه وهو يشنع على رجل اسمه عبد الحليم لحيته كالمسمار وصار يوبخه بسبب لحيته ويرى جبريل عليه السلام وهو يدلله ويلاعبه يقول الشيخ النبهانى (( وصار يعانقنى على كتفى الايمن ثم على كتفى الايسر بغاية الدلال واللطف الذى لم أعهده فى يقظتى من أحد )) وفى المدينة المنوره يرى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسط جماعة ويقبل الشيخ النبهانى يده ، يفسر الشيخ النبهانى أن هذه الجماعة هم الممتحنون مثله وأنه قد حصل له ما حصل لهم حيث حبس فى المدينة المنورة أسبوعا قبل هذه الرؤية بستة أشهر ويرى الامام تقى الدين بن تيمية قادما لزيارته فيستقبله فى ساحة الدار ويقبل يده وقد كان الامام بن تيمية فى حالة صحية سيئة جدا وهو متكئ على أنسان آخر وبعد أن يقبل النبهانى يده صار الامام بن تيمية يدعو له كما صار الشيخ النبهانى يدعو لابن تيمية وهو يؤمن على دعائه ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم فبعد أن يقبل يده يبشره بالجنه ولكنه يعلقه على شئ ويعاتبه على عدم اعطائه دراهم لرجل . ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم وأمامه قلم فيطلبه منه ليوضع فى قبره فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت تدفن فى الشيخ سعيد ويفسرها له أحد أصدقائه أنها اشارة الى قول النبهانى :

سعد بن مسعود بخدمة نعله      وأنا السعيد بخدمتى لمثالها

وهكذا يستمر الشيخ النبهانى رحمه الله فى بيان رؤاه المنامية مع ذكر مكان وتاريخ وقوعها فيذكر الليلة والشهر والسنة

وقد ذكر الرؤى المنامية التى رأتها زوجته السيدة صفية السجمان وبناته فاطمة وعائشة وتقيه مما له فيها اشارة وذكر .

وجميع ما رآه الشيخ النبهانى أو ما رآه أفراد أسرته كان له صلة مباشرة لحياتـــه لذلك كان من السهل تفسير هذه الروءى تفسيرا لا لبس فيـــه ·

ثم يذكر الشيخ النبهانى الروءى المنامية التى رآها له بعض الصالحين فمنهم من رآه جالسا مع الرسول صلى الله عليه وسلم · ومنهم من رأى الرسول صلى الله عليـــه وسلم وسمعه يقول (( الشيخ يوسف النبهانى من رفقاء موسى بن عمران فى الجنـــة )) ولما أخبر الشيخ النبهانى بالروءية تأكد من لفظ " الشيخ " فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم · وبعضهم كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة الشيخ النبهانى المبشرة الرابعة والثلاثون — وبعضهم رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : النبهانى حسانى · وهناك بعض الروءى تتخذ طابعا آخر اذ يرسل الرسول عليـــه السلام الرائى الى الشيخ يوسف النبهانى ليحل له مشكلته وقد ذكر الشيخ النبهانـــى مبشرتين من هذا النوع ·

الاولى وهـــى : " المبشرة الثالثة والثلاثون " يقول الشيخ النبهانـــى " حضر عندى فى أحد الربيعين سنة ١٣٢٥ رجل من أهالى بيروت أسمه عبد الباسط أفندى الفندر خال زوجتى صفية وكان قد حصل له شدة كرب عظيم لخلاف وقع بينـــه وبين أولاد أخيه قال الرجل : فأكثرت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيتـــه عليه السلام فى منامى وشكوت له حالى فقال لى اذهب الى يوسف النبهانى يكون تفريج كربك على يده وذكر الرجل فظا فيه تعظيم حذفته أنا · قال : وها أنا ذا جئتـــك وحلف الايمان الموءكد بأنه ما زاد حرفا وما جاءنى الا بأمر رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فأجتمعت بأولاد أخيه ووعظتهم ونصحتهم فقبلوا نصيحتى واشتروا منه حصته المشتركه معهم فى العقارات وزال الخلاف وفرج كربه والحمد لله رب العالميـــن (١) " ·

لفظاً

أما المبشرة الثانية فهى المبشرة الخامسة والثلاثون — يقول الشيخ النبهانـــى " اخبرنى الحاج عمر حمور الدمشقى التاجر المقيم فى بيروت وهو شيخ صالح فى ســـن الستين تقريبا : بأنه قد كرب كربا عظيما فصلى على النبى صلى الله عليه وســـلم كثيرا بنية تفريج كربه ودعا الله تعالى وسأله الفرج ونام فى آواخر شهر ربيع الثانـــى سنة ١٣٢٦ فرأى نفسه فى المسجد النبوى ورأى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا لـــه

الثانى

---

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٢٢

كربه وغض طرفه عن النظر اليه صلى الله عليه وسلم فسمع قائلا يقول له انظر فنظر فرآني في المسجد النبوى قريبا منه وانتبه من نومه ففهم من هذا المنام أن تفريج كربه يكون على يدى فجائني وأخبرني بذلك وقال لي : أنا مرسل اليك وحكى لي هذا المنام وقص لي قصة كربه فلم أجد لي قدرة على تفريجه بوجه من الوجوه ولكوني استبعدت تفريجه شككت في صدقه ومع ذلك قلت له أنا ليس لي عمل في تفريج كربك سوى أني أشور عليك بكثرة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أوقاتك فاذا فعلت ذلك فلا شك في أن الله يفرج عنك وخصصت له صيغة (( اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد قلت حيلتي أدركني يا رسول الله . وهي المنسوبة لحامد أفندى العمادى مفتي الشام في عصره المذكورة في كتابي أفضل الصلوات المجربة لتفريج الكروب وقد كنت جربتها أنا بنفسي فرأيتها مثل فلق الصبح وكتبتها له فأخذها وذهب فلم تمض مدة يسيرة حتى فرج الله كربه والحمد لله رب العالمين (١) " .

وكانت آخر رؤيا رآها الشيخ النبهاني وهي الثانية والتسعون قد جاء فيها " رأيت في منامي في أواخر شعبان سنة ١٣٤٨ هـ في بيروت رأيت في تلك الليلة قبيل الفجر أني أسمع صوتا من جهة الجنوب ومن مكان يقرب مني نحو خمسين خطوة وتحققت أن ذلك الصوت من الله تعالى بدون أن أرى شخصا يقول لي ذلك الصوت وهو : أني أحبك . وفي جانب المكان الذى جاء منه الصوت مثل النار المشتعلة والضوء الاصفر . وذلك مقدار ذراع بالطول ( وأقل منه بالعرض ) كما رأى سيدنا موسى النار وسمع الصوت من الشجرة " أن ياموسى انى أنا الله " ) فحصل لي بذلك فرح كبير فتحققت أنه من الله تعالى وأنه دليل على رضاه تعالى عني وقبوله مؤلفاتي وخدماتي التي وفقني تعالى لطاعته بها . وخدمة دينه المبين وحبيبه الاعظم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

ملحوظة : وكان قصدى كتم هذه المبشرة ثم رأيت كثيرا من الأئمة ذكروا مثلها فاقتديت بهم . وليس قصدى المدح والله عليٌ ما أقول وكيل (٢) " .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق يوسف النبهاني ص ٥٦٧ .

وقد استرعى علم الرؤيا انتباه علماء المسلمين واهتموا به وكتب فيه كثير منهم وممن شهر بتفسير الرؤيا الامام ابن سيرين من التابعين والشيخ عبد الغنى النابلسى من المحدثين ولكل منهم تصنيف فيه وقد تكلم الشيخ يوسف النبهانى وأفاض فى شرعية علم الرؤيا وأنها من الكرامات الالهية لبنى الانسان فى المواضع التى ذكرتها أنفا (١)

كما أن هناك تصانيف كثيرة وضعت فى هذا العلم أشار لبعضها كتاب " الاشارات فى علم العبارات " الشيخ خليل بن شاهين الظاهرى من علماء القرن التاسع الهجرى وفى مقدمة مصنفه المذكور اذ يقول " ..... واعتمدت فى ذلك على كتب المقدمين وأقوال المشايخ المعبرين مثل كتاب " الاصول لدانيال الحكيم وكتاب " التقسيم " لجعفر الصادق وكتاب " الجوامع " لمحمد بن سيرين وكتاب " الدستور " لابراهيم الكرامانى وكتاب " الارشاد " لجابر المغربى وكتاب " التعبير " لاسماعيل بن الاشعث وكتاب " كنز الرؤيا " للمأمونى وكتاب " بيان التعبير " لعيدروس وكتاب " جمل الدلائل " وكتاب " مبادئ التعبير " وكتاب " كافى الرؤيا " وكتاب " التعبير " للطاووسى وكتاب " مقرمط الرؤيا " وكتاب " تحفة الملوك " وكتاب " منهاج التعبير " لخالد الاصفهانى وكتاب " مقدمة التعبير " وكتاب " حقائق الرؤيا " وكتاب " الوجيز " لمحمد بن شاموية وكتاب " التعبير " لابى سعيد الواعظ وكتاب " كامل التعبير " للشيخ أبى الفضل جيش بن ابراهيم ابن محمد النقيشى وكتاب " الاشارات الى علم العبارات " لابى عبد الله بن أحمد ابن عامر السالمى وكتاب " الدر المنظم فى السر المعظم " لمحمد القرشى النصيبى وغير ذلك مثل الشيخ أوحد الدين عبد اللطيف الدمياطى والشيخ عبد القادر الاشمونى والشيخ يوسف الكرونى السكندرى والشيخ محمد الفرعونى والشيخ حسن الرملى والشيخ نور الدين الكرخى الفزاوى والشيخ تقى الدين المقدسى والشيخ شرف الدين الكركى والشيخ شمس الدين عمرون الصفر وغير ذلك (٢) " .

ثم أورد الادلة الشرعية على الرؤيا - أورد بعضها ذكر فى قوله تعالى " (( وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث )) قال الواحدى هو تأويل الرؤيا

---

(١) سعادة الدارين شواهد الحق " البشائر " الايمانية فى المبشرات المنامية الملحق بكتاب العقود اللؤلؤية فى المدائح .

(٢) كتاب الاشارات فى علم العبارات ص ٤ - ٥

وقوله تعالى (( لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة )) قال بعض المفسرين يعنى الروءيا الصالحة جزء من سته وأربعين جزءا من النبوة قال الشهرزورى فى شرحه للأربعين ، وكذا زين العرب فى شرحه للمصابيح : ان مدة ابتداء وحى الرسول عليه السلام الى مفارقة الدنيا كانت ثلاثا وعشرين سنه . وكانت سته أشهر منها فى أول الامر يوحى اليه مناما وهو نصف سنه فهى جزء من سته وأربعين جزءا من جملة أيام الوحى لانه عاش ثلاثا وستين سنه على أكثر الروايات وأوحى اليه بعد أربعين سنه ومنها قوله عليه الصلاة والسلام (( من لم يوءمن بالروءيا الصالحة لم يوءمن بالله واليوم الاخر )) ومنها قوله عليه الصلاة والسلام (( لم يبق فى النبوة الا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الروءيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له )) . وقوله عليه السلام (( أصدقكم حديثا أصدقكم روءيا واذا اقترب الزمان لم تكد تكذب روءيا الموءمن )) .

ولا ينبغى لاحد أن يكذب فى روءياه ويزعم أنه راى غير ما رأى فان الروءيا وحى يوحيه الله له فى المنام ومنها قوله عليه الصلاة والسلام فى صحيح البخارى (( ان من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولم يفعل )) ومعنى الحلم هو معنى الروءيا ولكن غلب استعمال الروءيا فى المحبوبة والحلم فى المكروهة [1] أما الشيخ عبد الغنى النابلسى فله كتاب " تعطير الانام فى تعبير المنام " جعل مقدمه طويله لكتابه تحدث عن الايات والأحاديث والآثار التى فيها دلالة على علم الروءيا كما أنه ذكر بعض القوانين التى يجب أن يراعيها من يفسر الروءيا [2] أما الامام ابن سيرين فى كتابه (( منتخب الكلام فى تفسير الأحلام )) فقد جعل لكتابه مقدمة وخطبه استوعب عشرين صفحة [3] أورد فيها الادلة من القرآن والسنة والاثار فى علم الروءيا . وقد رتب كتابه حسب المواضيع أما الشيخ النابلسى فقد رتبه حسب الحروف الهجائية .

ولفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى كتاب (( المطالب القدسية )) تحدث فيه عن الروءيا المنامية قال : (( انها من خواص النفس الانسانية لا يخلو عنها أحد من البشر غالبا وقد جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوه الا المبشرات )) قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الروءيا الصالحة يراها الرجل

---

(١) كتاب الاشارات فى علم العبارات الشيخ خليل بن شاهين ص ٦
(٢) تعطير الانام فى تعبير المنام الشيخ عبد الغنى النابلسى ص ٢ ــ ٨
(٣) منتخب الكلام فى تفسير الاحلام ابن سيرين ص ٢ ــ ٢٠

الصالح أو ترى له )) وما يقع منها للبشر غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وقد تكون بقصد الشيء عند النوم وشغل النفس به ، وقد تكون بسبب أدعية وأذكار أو آيات تتلى عند النوم فيرى الانسان ما يتشوق اليه ويقصده اما بعينه أو بمثاله فان كشف النفوس في عالم الخيال — كما في احياء العلوم وغيره — قد يكون بحكاية الخيال وتمثيله ، وقد يكون بحكاية المعنى المتلقى صريحا من المبادىء العالية كما يقع خارجا فلا يحتاج الى تعبير وقد يكون كذلك فيحتاج الى التعبير. وتأويله يختلف باختلاف الازمنه والامكنه والفصول وأحوال الاشخاص وما اعتاده الرائي في تصور المعاني بصور تلائمها أو تباينها وما أخذ من عالم الخيال وتأليفه تارة يصدق ، وتارة يكذب فيكون أضغاث أحلام [1] وفي كتاب " الروح " لابن القيم : الرؤيا على ثلاثة أنواع : رؤيا من الله ،ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحه أقسام : منها الهام يلقيه الله سبحانه وتعالى في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره : أي يلقيه في نفسه من غير اسماع له بحرف أو صوت ، وهو في الانبياء وحي لا مرية فيه ولا مزاحمة قطعيا وفي غيرهم ليس كذلك ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها ( ومنها ) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم . ( ومنها ) عروج روحه الى الله سبحانه وتعالى وخطابها له ومنها" دخول روحه الى الجنه ومشاهدتها . ( ومنها ) أن يرى النائم غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وبينهما مسافة بعيدة ، بأن يضرب ملك الرؤيا للنائم مثالا أن يكون حديث نفس من الرائي تجر له في منامه وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالاخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما [2]

وقد شاهد الناس من ذلك عجائب لا تحصى قال بعض السلف : ان الارواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة علمه وألهمه كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ، ولا يغلط فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب ما هو مصير لهذا الانسان من خير وشر في دينه ودنياه ، ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته ، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وتارة يحذره من معصية ارتكبها أو هم بها وتارة يحذره من مكروه انعقدت

(١) المطالب القدسية ص ١١٨ — ١١٩

(٢) من هذا القبيل ما حدث به فضيلة الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه من لقائه بأهل البرزخ من أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والرفاعي وابن حجر والغزالي وغيرهم في أجازته الكبرى للشيخ النبهاني رحمه الله

أسبابه ليعارض تلك الاسباب بأسباب تدفعها الى غير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا أو تعريفا وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الاخرة من منام رآه أو رؤى له ؟ وكم ممن استغنى وأصاب كنزا دفينا من منام ؟ وكم ترقت نفوس مريدين على أيدى شيوخ عارفين بسبب الرؤيا الصالحة التى يراها المريد السائر الى الله تعالى أو يراها شيخه العارف الصالح وهو وارث من أنوار النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم : (( الرؤيا الصالحة جزء من سته وأربعين جزءا من النبوة )) وكلما صفا الباطن انكشف فى حدقة القلب ما سيكون فى المستقبل كما انكشف دخول مكه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم حتى نزل قوله تعالى (( لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين )) وبالجملة فعالم الخيال والرؤيا عالم واسع لا تنتهى أطرافه والقول بأن العلوم كلها كامنه فى النفس وانما اشتغالها بعالم الحس حجبها عن مطالعتها فاذا تجردت كل التجرد كما فى الموت أو بعضه كما فى النوم رأت منها بحسب استعدادها [1] ليس على اطلاقه فان تجرد النفس لا يطلعها على علم الله الذى بعث به رسوله وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخاليه وتفاصيل الميعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهى والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحى انظر كتاب الروح لابن قيم واحياء العلوم للغزالى [2]

أما فضيلة الشيخ حسنى حلمى آيشيق فقد تناول الرؤى المنامية فى جانب أخر فهو مع اقتناعه بصحة العلوم الوارادة عن طريق الكشف ـ مناما أو يقظه ـ لا يوجب الاعتماد عليها فهو يقول (( .... فان قلت فلأى شئ لم يوجب العلماء بالله تعالى العمل بما أخذه العالم من طريق الكشف مع أنه ملحق بالنصوص بالصحة بالصحة عند بعضهم فالجواب ليس عدم ايجاب العلماء العمل بالعلوم الكشف حيث ضعفها ونقصها عما أخذه العالم من طريق النقل الظاهر وانما ذلك للاستغناء عن عده فى الموجبات بصرائح أدله الكتاب والسنة عند القطع بصحته أى ذلك الكشف فانه حينئذ لا يكون موافقا الا لها أما عدم القطع بصحته فمن حيث عدم عصمة الأخذ لذلك العلم فقد يكون دخل كشفه التلبيس من ابليس فان الله تعالى قد اقدر ابليس كما قال الغزالى وغيره على أن يقيم للمكاشف صورة المحل الذى يأخذ علمه منه من سماء أو عرش

---

(٢) المطالب القدسية الشيخ محمد حسنين مخلوف ص ١١٩ ـ ١٢١

(١) صاحب القول هذا هو الامام الغزالى وهذه الفكرة هى الاساس الذى أقام عليه ـ الدكتور سليمان دنيا كتابه " الحقيقة فى نظر الغزالى .

أو كرس أو لوح أو قلم فربما ظن المكاشف أن ذلك العلم عن الله فأخذ به فضل وأضل فمن هنا أوجبوا على المكاشف أن يعرض ما أخذه من العلم عن طريق كشفه على الكتاب والسنة قبل العمل به فان وافق فذاك والا حرم عليه العمل به فعلم أن من أخذ علمه من الشريعة من غير تلبيس فى طريق كشفه فلا يصح منه الرجوع عنه أبدا ما عاش لموافقته الشريعة التي بين أظهرنا من طريق النقل ضرورة أن الكشف الصحيح لا يأتي دائما الا موافقا للشريعة كما هو مقرر بين العلماء والله أعلم (١) )) .

من هذا نفهم أن الكشف سواء كان يقظة أم مناما لابد أن يوزن بميزان الشرع فما وافقه كان ذلك الكشف تخصيصا من الله لصاحبه على اتباع هذا الوجه فلا يجوز له أن يحيد عنه والا فلا .

والشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فى جميع مراثيه المنامية لم يذكر شيئا مخالفا للشرع بل كانت مبشراته المنامية جميعها ليست أكثر من ترجمه لواقع حاله فى مرائيه التى رآها أو انعكاسا لصورته فى قلوب الناس فى المرائى التى رؤيت له .

أما مكاشفات الشيخ النبهانى يقظة فلم يذكر لنا منها شيئا وان كان أقاربه وأهالى قريته يذكرون الكثير له ، ومن هذا القبيل ما أخبرنى به الاستاذ محمد مصطفى النبهانى فى ١٢ / ١١ / ١٩٧٤ من أن الشيخ يوسف كان اذا رأى جمالا قادمة من بعيد يعرف ما على ظهورها ونحن لا نكاد نراها بأعيننا .

هذا هو موقف علماء المسلمين فى الرؤى المنامية وقد اعتنوا به ووضعوا له التفاسير الكثيرة ومن يقرأ فى هذه التفاسير يجد أنهم كثيرا ما يفسرون بعضها مما ورد فى الكتاب والسنة وقد أفاض العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى الكلام على حقيقة النبوة وحقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شأن العرافين وغير ذلك فى مدارك الغيب )) ولم يخرج بكلامه عن مفهوم غيره من علماء المسلمين سوى أنه زاد عليهم بربط الاسباب بالمسببات وهو يضع يد القارئ على كيفية حصول الرؤيا وكيف يعرف الكاهن والعراف والصوفى ما لا يعرفه غيره وهو فى كلامه عن هذه العلوم يجعلها أبعد ما تكون عن الوهم والخيال (٢) .

---

(١) علماء المسلمين والوهابيون حسين حلمى آيشيق ص ١٣

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ ـ ١١٩

أما علماء الغرب فقد نظروا للاحلام والروءى المنامية نظرة مختلفة عن علماء المسلمين ويعد سيجموند فرويد أشهر من درس الاحلام وحاول تفسيرها فى كتابه المشهور ومما جاء فى مقدمته (( ..... فقد كان من المسلم به عندهم - الشعوب الكلاسية [1] - أن للاحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الانسانية التى كانوا يوءمنون بوجودها وأنها - أعنى الأحلام تحمل كواشف من عند الآلهه والجن [2] )) ويقول أيضا (( ما من شك أن نظرة القدماء قبل العلمية الى الحلم كانت تتسق ومجمل نظرتهم الى العالم بوجه عام أكثر اتساقا وهى نظرة تسقط على العالم الخارجى - فى صورة واقع - لا وقوع له الا فى باطن النفس ... ونخطىء بعد حين تظن أن نظرية الأصل الطبيعى تعدم أنصارا فى أيامنا فأننا قد نغض الطرف عن الكتابة التقويين والمتصوفين فهوءلاء يحق لهم أن يتشبثوا بالمواقع القليلة المتبقية من المجال فوق الطبيعى الذى كان متسع النطاق يوما مادام نور العلم يغزوها ولكننا نلاقى بعد ذلك رجالا ثاقبين ولا ولع لهم بالغرائب يحاولون أن يتخذوا من هذا الامتناع على التحديد وأعنى به امتناع ظواهر الحلم على التعليل - سندا يدعمون به ايمانهم الدينى بوجود قوى روحية تفوق الانسان بتأثيرها [3] وفى مكان آخر يقول (( هناك على الاقل حقيقة لا نزاع فيها تلك هى أن المادة التى تكون محتوى الحلم أنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أمر آخر .. أى .. أن الحلم انما يستحضرها أو يتذكرها [4] ويقول أضا : (( ان دراستنا العلمية للحلم تبدأ من ذلك الفرض وهو أن الحلم نتاج لنشاطنا النفسى الخاص [5] )) .

من هذا نلاحظ أن فرويد يجعل مادة الحلم فى النوم ناتجة عن الخبرة فى اليقظة وفى هذا مخالفة صريحة للنظر الاسلامى البسيط للحلم اذ بمقتضاه يكون ما أوحى بل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم طيلة السته الاشهر الاولى من مبعثه كان نتيجة خبرته الشخصية وكأنه حديث النفس . وفى هذا طعن فى عصمة الرسول صلى

---

(١) أى البدائية

(٢) كتاب تفسير الاحلام سيجموند فرويد ص ٤٤

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ - ٤٦

(٤) المصدر السابق ص ٥٠

(٥) كتاب تفسير الاحلام فرويد ص ٨٣

الله عليه وسلم اذ أن الخبرة الشخصية للانسان قد تكون مبنية على خطأ أو صـــواب وعليه يكون صحة ما يأتيه في النوم • وغيرها من ملاحظات كثيرة يجدها كل من يطلع على كتاب فرويد •

من هذا نلاحظ حقيقـــة من هجموا النبهانى لايمانه بالغيبيات والخوارق — النابعة من ثقافته الاسلامية البحته وهم قد تثقفوا بثقافة غربية تختلف عن الثقافـــــة الاسلامية في نظرتها للكون والحيـــــاة •

## تقديســــة لنظام الاسلام السياســـى :

لقد كان من الطبعى أن يقف الشيخ النبهانى رحمه الله مع الخلافة العثمانيـــة داعيا لها بالبقاء والحفظ وداعيا للسلطان عبد الحميد بطول العمر والنصر وغيرهـــا مما يناسب الحال • وقد كان للموثرات الثقافية المختلفة في شخصية النبهانى السبب الاقوى لسيره في هذا المنهج وقد كان هذا هو الشعور العام في أوساط الشعب على اختلاف طبقاته باسم الدين وكانت الدولة العثمانية تجد لها مكانا في قلوب الناس وقد كانت معارضة الدولة العثمانية كافية لاتهام المعارضين بضعف الدين وموالات الغرب المســـيحى •

يقول الأستاذ عبد الله النديم : (( لو كانت الدولة العثمانية مسيحيـــة الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التى هى جزء منها فـــى الحقيقة ولكن المغايرة وسعى أوروبة في تلاشى الدين الاسلامى أوجب هذا التحامـــل الذى أخذ كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال أو الابتلاع • واننا نرى كثيرا مـــــن المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوروبة يذمون الدولة العلمية ويرمونها بالعجـــز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الاحكام ولو أنصفوها لقالوا انها أعظم الدول ثباتـــا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار أوروبة العدوانى لأنهـــا دولة واحدة أسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية غير دول أمريكة وتحت رعايتها جميــع الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال أوروبة الى مـــن يماثلهم مذهبا أو يقرب منهم جنسا • وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة على حدودها ووقاية دينها • مع اتساع أراضيها • وعدم وجود السكك الحديديـــــة المسهلة للتنقل والتجول وعدم وجود أنهر مستمرة الفيضان في غالب أراضيها ووجودهـــا تحت رحمة الله تعالى ان شاء أمطرها فأخصبها أو منعها فأجدبها وهذه أمـــــور لو ابتليت بها معظم دول أوروبة ما قاومت هذه الصواعق أكثر من عام أو عامين وتسقط —

العلية

وتتـــلاشــــــى (١) )) .

وقد كان بقاء الدولة العثمانية فى عصر الشيخ النبهانى متجسدا ببقاء الاسلام وقد كان مفهوما أن من يعمل لتقويض هذه الدولة انما يعمل لتقويض بنيان الاسلام وقد أشار الى هذا الاستاذ أنور الجندى حيث يقول :

(( ......... لذلك كان رأى المصلحين دعم هذه الروابط مع الدولة العثمانية وتقويتها على الرغم من كل أخطائها من أجل القضاء على مؤامرة النفوذ الاجنبى وقد كان على هذا الرأى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فقد كانا يريان ان فى ضياع الدولة العثمانية وتمزقها قضاء على دولة الاسلام الكبرى التى تحمل لواء الخلافة هذا فضلا عن أن الحملات المنيفة التى وجهت الى الدولة العثمانية انما كان مصدرها ذلك الاتجاه الذى خلقه النفوذ الاجنبى وجند لـه عددا من الكتاب والمفكرين وأغلبهم من متعصبى اللبنانين والاتراك ورجال الدونمة ممن هاجروا الى مصر وكانوا يعملون فى قصرعابدين والسفارتين البريطانية والفرنسية وهو مخطط معروف يومئ الى القضاء على الاسلام واللغة العربية ووحدة الدولـة العثمانية ومن ذلك أن أول جمعية سرية تألفت لمقاومة العثمانيين عام ١٨٧٥ أنما قامت فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وقد حملت لواء الجهاد العربى كوسيلة للقضاء على فكرة الجامعة الاسلامية فى ناحية ولتمزيق الدولة العثمانية واسقاط دولة الخلافة الاســـلاميـــة (٢) ))

ويقول الاستاذ مصطفى كامل : (( والذى يبغض الانجليزعلى الخصوص فى جلالة السلطان الحالى هو ميله الشديد الى جمع كلمة المسلمين حول راية الخلافة الاسلامية ومن ذلك يفهم القارئ سبب اهتمام الانجليز بالافراد القليلين الذين قاموا فى المسلمين ضد جلالة السلطان الأعظم وسبب مساعدتهم لهم بكل ما فى وسعهم فان مشروع جعل الخلافة الاسلامية تحت وصاية الانجليز وحمايتهم هو مشروع ابتكره الكثيرون من سواسهم منذ عهد بعيد وقد كتب كتاب الانجليز فى هذا الموضوع ومنهم مستر بلانت المعروف فى مصر فقد كتب كتابا قبل احتلال الانجليز لمصر فى هذا المعنى سماه ( مســـتقبل الاســـــلام ) وأبان فيـه أغراض حكومـة بلاده وأمانى الانجليز

---

(١) الاســـتاذ عدد ١٧ ينايـــر ١٨٩٤

(٢) عبد العزيز جاويش الاستاذ انور الجندى ص ١٩ ـ ٢١

فى مستقبل الاسلام وقد كتب فى فاتحه كتابـــــه :

لا تقنطوا فالد ر ينثــر عقـــد ه ليعود أحسن فى النظـام وأجملا

أى .. أن : هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل ان هذا العقـــــــد العثمانى ينثر ليعود عقدا عربيا أحسن وأجمل ولكن ما لم يقله المستر بلانت هــــو أن قومه يريد ون هذا العقد العربى فى جيد بريطانية لا فى جيد الاسلام .

ويبين المستر بلانت أيضا (( أن مركز الخلافة الاسلامية يجب أن يكون مكـــة وأن الخليفة فى المستقبل يجب أن يكون رئيسا د ينيا ، لا ملكا د نيويا (١) )) .... أى : أن الامور الدنيوية تترك لانجلترة لتد بر أمورها كيف تشاء ، ويعقب المستر بلانت على ذلك بقوله (( ان خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصره ويساعده وما ذلك الحليف الا انكلـــترا )).

وبالجملة فحضرة المؤلف لكتاب ( مستقبل الاسلام ) يرى — وما هو الا مترجم عن آمال أبناء جنسه — أن الأليق بالاسلام أن ينصب أنكلترة د ولة له ولم يبق للمستر بلانت الا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون أنجليزيـــــا )) .

وقد كان الولاء للخلافة العثمانية هو الطابع العام للمصر حتى أن الاحـــزاب الوطنية كانت تضع الولاء للسلطنه فى أول بنود ها وأنها لا تستطيع البقاء بد ونـه .

يقول الاستاذ أنور الجندى (( ..... وأغلب الظن أن الحزب الوطنى الأول تأسس عام ١٨٧٩ وكان يقود حركة المعارضة داخل مجلس شورى القوانين وكان طابع برنامج هذا الحزب هو (( ولاء الوطنيين للسلطان العثمانى وخديوى مصـــــر )) والمحافظة على العلاقة الحسنة بين مصر والسلطنة وقد أعلن أنه حزب سياسى يضـــم كل من يرث مصر ويتكلم لغتها .

وهكذا برز التيار القومى المصرى فى خلال الاتجاه الاسلامى العام غير منفصـــل عنه ولكنه متميز بملامحه ، ولقد أكد الحزب الوطنى ثلاثة أمور تأكيدا حازما وجعلهـــا اسسه التى لم تتغير وهـــــى :

---

(١) المســـأله الشـــرقية ص ١٩ — ٢٢

١ - ايقاظ الامة المصرية من حيث هي كيان له طابعه الواضح الكامل .
٢ - مقاومة الانجليز ومخاصمتهم خصومة كاملة حادة لا تسامح فيها ولا مهادنة .
٣ - تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية دولة الخلافة [(١)]

وقد كان الزعيم المرحوم مصطفى كامل من أكبر الدعاة للتمسك بالرابطة العثمانية وكثيرا ما يجعلها والعقيدة الاسلامية متلازمين فيقول : - (( أما واجب العثمانين والمسلمين أمام عداوة انكلترة للدولة العلية فبين لا ينكره الا الخونة والخوارج والدخلاء فواجب العثمانين أن يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة السنية وأن يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم ولو تفانى الكثيرون منهم في هذا الغرض الشريف حتى يعيشوا أبد الدهر سادة لا عبيدا وواجب المسلمين أن يلتفوا حول راية الخلافة الاسلامية المقدسة وأن يعززوها بالاموال والارواح فحفظ كرامتهم وشرفهم في بقاء مجدها رفعتهم ورفعة العقيدة الاسلامية [(٢)] )) .

وقد كان المصريون من أكثر الناس تمسكا بالرابطة العثمانية النابعة من العقيدة الاسلامية لذلك لم ينجح الانجليز في قطع العلاقة بين المصريين والخلافة العثمانية ويصور كرومر في كتابة " مصر الحديثة " سعة انتشار فكرة الرابطة الاسلامية بين المصريين واعترف بما تتمتع به الخلافة التركية من نفوذ واسع في مصر حيث تكلم عن الحجاب الكثيف من التعصب الديني الذى يقوم به الانجليز الراغب في اصلاح مصر [(٣)] وتكلم عن تمسك المصريين بعقيدتهم الاسلامية المتغلبة على الوطنية بمعناها الاقليمي والتي تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين في سائر أقطار الارض [(٤)] وتكلم في موضع آخر من كتابه عن هيبة المصريين المركزه في أعماق نفوسهم للترك المستعمرين [(٥)] وعن عطفهم على الخليفة التركي كلما وقع في محنة مستشهدا على ذلك بما حدث سنه ١٨٩٢ حين عارضت انجلترا صدور الفرمان التركي ، وفي سنه ١٩٠٦ حين اختلفت انجلترا وتركية على حدود مصر الشرقية في سيناء فقد أثار شعور المصريين - كما يقول - أن -

---

(١) عبد العزيز جاويش الاستاذ أنور الجندى ص ١٢ - ١٣
(٢) المسافة الشرقية ص ٣٣

تذل دولة مسيحية خليفة المسلمين (١)

أما بلاد الشام فقد كانت تابعة للدولة العثمانية لذلك لم يكن هناك داع لاظهار عاطفتها نحو الخلافة بالاضافة الى أن مصر كانت مستعمرة للانجليز ومن قبلهم للفرنسيين الذين بقوا غرباء عن مصر على رغم ما جلبوا معهم من معالم الحضارة الجديدة (٢)

مما أجج فى قلوب المصريين محبة الخلافة العثمانية والتمسك بها لأنها البديل عن الولاء لهؤلاء الغرباء الفرنسيين والانجليز حتى ان الوالى محمد على باشا ما كان له أن يبقى فى مصر لولا رضاء السلطنة العثمانية عليه لذلك بقى هو وأسرته من بعده على ولاء كامل للسلطة العثمانية وقد كان هذا الشعور واضحا فى مصر حتى ان كل من أراد أن يجرى تغييرا لايضمن نجاحه الا بعد موافقة الآستانة فعرابى كان أول بيان له فى ثورته هو الولاء والطاعة للآستانة ، والانجليز كانوا يحاربون عرابيا بحجة أنه خرج على الباب العالى (( وتدفع سفارتهم فى الآستانه ألف ليرة انجليزية ١٨٨٢ للأستاذ أحمد فارس الشدياق — منشىء الجواب — ليطبع صورة المنشور الذى صدر من الباب العالى باعلان عصيان عرابى باشا لاثارته نار الفتنة فى وادى النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرابى وسقوط مكانته فى عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة )) (٣)

وقد كان للخليفة العثمانى كل المحبة والولاء سواء فى مصر أو بلاد الشام واذا كان الشعراء هم الناطقين بلسان حال مجتمعهم فنحن نجد الكثير من القصائد التى قيلت تظهر المحبة والولاء للخلافة العثمانية فهذا شوقى يقول :

أيه عبد الحميد جل زمان ... أنت فيه خليفة وامام
عمر أنت بيد أنك ظل ... للبرايا وعصمة واعتصام (٤)

ويقول حافظ فى قصيدة له فى عيد تأسيس الدولة العلية سنة ١٩٠٦ :

لقد مكن الرحمن فى الأرض دولة ... لعثمان لاتغفو ولا تتشعب
بناها فطاحلها الدرارى منزلا ... لمن راح يبغى تبنى وللسعد تنصب
وقام رجال فى الامامة بعده ... فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
أسود على البسفور تحمى عرينها ... وترعى نيام الشرق والغرب يرقب (١)

---

(١) مصر الحديثة ج٢ ص١٣٩

(٢) المرجع السابق ج١ ص١٣٢–١٣٣

ويقـــول محـــرم

يا آل عثمان من ترك ومن عـــرب ... وأى شعب يساوى الترك والعربا

صونوا الهلال وزيدوا مجده علما ... لا مجد من بعده أن ضاع أو ذهبا

ياتاج عثمان ان اليوم موعدنـــا ... فجدد العهد والق الحب والرغبا

لو ضاع عهدك أوحام الرجاء بنـا ... على سواك لقينا الحين والعطبا (١)

وقـــال أيضـــا :

إنا بنى عثمان أعلام الـــورى ... والأرض تشرف فوقها الاعـــلام

انا السنام اذا الانام تفاخـــرت ... والناس فيهم منسم وســـنام

عبد الحميد أتاح فى أيـــامه ... للملك ما وهبت له الايـــام

ما زال يحمى حوضه مذ جــاءه ... وكذاك يحمى غيله الضرغـــام (٢)

ويقول الكاشف فى قصيدة له فى عيد جلوس السلطان عبد الحميد سنه ١٩٠٠ :

يا ناصر الاســلام ان زماننـــا ... بك صار فى عز وفى اســـتكبار

ومعيد أدوار الشباب لموطـــن ... كم للحوادث فيه من أدوار (٣)

ويقول نسيم فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الفطر :

أقمت عرشك بين الحق والســدد ... فزاده الله تثبيتا الى الابـــد

فكيف تفزع فى الدنيا لطارئـــة ... وأنت تحمى ذمار الفازع الخضد (٤)

وقد أعدت الى الاسلام نفرتـــه ... حتى زهى بك واستذرى الى سند (٥)

نضرته

ويقول عبد المطلب فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الدستور :

ياعيد حى وأنت خير نهـــار ... عبد الحميد بدولة الاحـــرار

لولا أمير المؤمنين يحوطهـــا ... لرأيتها خبرا من الاخبـــار (٦)

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٤

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٣

(٣) الديوان ج ١ ص ٨١

(٤) الخضد العاجز عن النهوض

(٥) الديوان ج ١ ص ١٦

(٦) الديوان ص ٩٣ — ٩٤

ويقول الشيخ يوسف النبهاني في تقديمه لديوان الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي :

( ويقول الشيخ الصيادي من قصيدة له في السلطان عبد الحميد رحمه الله :

حتى أتى ملك الملوك امامنا — عبد الحميد الظافر المنصور
ورث الخلافة بانعقاد البيعة الـ — غرا بها التهليل والتكبير
وزهى به الكرسي وهو معظم — وبه تفاخر منبر وسرير
والملة السمحاء ملة أحمد الـ — مختار بشرعها وسرور
والكعبة الغرا وزمزم والصفا — والبيت حتى زائر ومزور
والجود والاقطار والاكناف والـ — بر الفسيح وبحرها المسجور
بلسان حال للخليفة كلها — يدعو وكل حامد وشكور

" ..... فجمعت هذا الديوان ليكون أثرا في أعتاب الملك المجاهد الاعظم والسلطان الغازي الافخم ، شيد ممالكه المحروسة على الاساس الاقوى من العدل والفضل والتقوى ظل الله الظليل في أرضه ، المنوط به اجراء سنته وفرضه المتصل سببه بالخلافة العظمى الى سيد المرسلين نائبه عليه السلام في حماية الاسلام والمسلمين من مكن الله له في البلاد وافترض طاعته على العباد ، وجعل مخالفة مناهيه وأوامره حجرا محجورا ، والخروج عليه أو على أمرائه بغياً محظورا ، وناط به كثيرا من أحكام دينه القويم دين الاسلام ، وتوجه بتاج الامامة الكبرى التي عليها مدار صلاح الخلص والعام وجعله أكثر الملوك عدلا ، وأغزرهم فضلا ، وأحسنهم اخلاقا وأصلهم أعراقا ، وأكرمهم أبا واجدادا ، وأشرفهم ممالك وبلادا ... الا وهو السلطان الامجد والخليفة الاسعد المقتدر بالقدرة الربانية المعتز بالعزة الالهية ، ناصر الشريعة المحمدية ، أمين الله على البرية ، فرع الشجرة العثمانية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء حامي الملة الاسلامية التي فاقت سائر الامم سنا وسناء ، خادم الحرمين الشريفين المقتدى بسيرة العمرين أمام المسلمين أمير المؤمنين .

أجل الورى عبد الحميد مليكنا — مجدد هذا الدين أحسن تجديد
أتى وعماد الملك واه لحكمه — فشيده بالحزم أرفع تشييد
وأذكرنا عبد الحميد وعدله — فقلنا سليمان أتى بعد داود
شهدت ولم أشهد على الغيب أنه — أجل ملوك الارض بالعدل والجود
وأشرفهم اصلا والا فقل لهم — ليأتوا بآباء كما بائه الصيد
فمن منهم في الاولين كفاتح — ومن منهم في الاخرين كمحمود

الاعظم — شيد — الخاص — كآبائه

لئن حسد الحساد مظهره فما — رأينا شريفا غيره غير محسود
علا فى سرير الملك بالعدل والتقى — وباب لابعاد المظالم موورود
فلا زال بالحفظ الالهى قائما — بعزعلى هام السعادة ممدود
ولا ريب أن الله ناصر حزبه — وأن له من لطفه خير تأييد
فدام له فى ربه خير مسعد — وطالعه فى العز أشرف مسعود

فلله دره من سلطان عظيم القدر والشأن منذ جلس على سرير الملك وفوض اليه أمر العرب والروم والترك لم يزل لصيانة دولته من الحوادث وحماية رعيته من الكوارث ، يعمل رأيه السديد وتدبيره الحميد بقريحة صائبة وأفكار ثاقبة فى ليله ونهاره وبكوره وأسحاره ومسائه وصباحه وغدره ورواحه ، رافضا طريقة الاستبداد ، غير مكتف برأيه وان كان فى غاية السداد ، مشاورا رجال دولته فى كل أمرهم وحادث ألم ، حتى غدت الدولة ولن تزال ثابتة الاساس والرعايا متمتعين بكمال الراحة والامن على اختلاف الاجناس ، هذا مع رغبته أيده الله فى الفنون والمعارف ، وبذله عليها الرغائب والعوارف ، وتوجهه الى نشرها فى أقصى ملكه وأدناه وعمومها فى جميع رعاياه وحبه نصره الله للعلم والعلماء والفضل والفضلاء لا سيما العترة النبوية والسادة الصوفية كشيخنا صاحب هذا الديوان فان أمير المؤمنين أدام الله نصره ورفع فى الدارين قدره لما أطلع على حقيقته وعرف صفاء سريرته غمره بنعمه الوافرة وشرفه بجعله مسامره فلا شك أنه هو السلطان المعنى بقول حبيب الرحمن " السلطان العادل المتواضع ظل الله وروحه فى الارض يرفع له عمل سبعين صديقا " فنسأله تعالى أن يحفظه فى دولته وذريته ونفسه ويديم له أسباب فرحه وأنسه ويجعل مستقبله خيرا من ماضيه وينصر عساكره ويقهر أعاديه ، ويوفق عماله ورعيته لما فيه رضاه ويبلغه فى كل فتح ونجح غاية مناه انه جواد كريم رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين (1)

ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين مدحوا الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد بل لم يخل ديوان لشاعر عاش زمن السلطان عبد الحميد وعنده شيء من العاطفة الاسلامية الا ومدح السلطان عبد الحميد وجعله محط الامال والمنقذ أو اشاد بالدولة العثمانية داعيا لها بالبقاء لاعدائها بالفناء ، ولا شك أن ارتباط الدولة العثمانية بالاسلام وجعله تشريعا جعل قلوب المسلمين وعواطفهم تتضامن وتتكتل لها مما جعل السلطان عبد الحميد يعلن الجامعة الاسلامية سلاحا يشهره فى وجه أعدائه .

والسلطان عبد الحميد رحمه الله كثيرا ما يذكر الشرع الشريف ووجوب العمل

(1) ديوان أبو الهدى الصيادى - المقدمة - ص ٢ - ٧

به في كتب التكليف التي يوجهها لوزرائه كما في الكتاب الموجه الى مدحت باشـــا الذي جاء فيه " وزيرى سمير المعالى مدحت باشا ان التدنيات العارضة منذ زمان على قوة دولتنا العملية قد نشأت من الفوائل الخارجيه ..... فلذا كان والدى الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للاصلاحات خط التنظيمات الذى منح فيه للعموم الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشـرع الشريف المقدسة ...... الخ ".

ومع الاحداث التي توالت بعد خلع السلطان عبد الحميد ومجىء أخيه محمـد رشاد وخيبة الامل التي منى بها الناس في الاصلاح والتي صورت بقصيدة قالها فـارس الخورى بعنوان " أيتها العدالة " . جاء فيهـا :

| | |
|---|---|
| فبين الناس جور وأعتـــــداء | عزيز القوم يعبث بالذليـــل |
| وسوق الزور رائجه وفيـــــها | يباع الحق بالثمن القليـــل |
| لقد حلفوا اليمين وأخرجوهـــا | على الاخلاص والحزم الاصيـل |
| الا سرعان ما حنثوا وما نســوا | وعادوا للخيانة والخمــول |
| ومدوا للرشا كفا خسيســـا | وباعو بالنضار دم القتيــل (١) |

وقد بقى الاتحاديون مسيطرين على الخلافة منذ عام ١٩٠٩ ـ ١٩٢١ حيث قاد مصطفى كمال أتاتورك الانقلاب الذى أظهر عداءه للاسلام سافرا حيث أوردت مجلة الفتح ما نصـه :

" نشر حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد شاكر الكلمة الآتية في صحيفتنا ( الاخبار ) الغراء : وجه الينا خطاب مفتوح في " الاخبـار " الثلاثاء أول نوفمبر سنه ١٩٢٧ ( فيما يجب اتخاذه حول مخلفات المصطفى صلى الله عليه وسلم التي كانت وديعة غالية لدى دولة الخلافة الاسلامية بعد ما انقلبت جمهورية لا دينية وبعد ما صرح رئيس تلك الجمهورية علنا وعلى رؤوس الاشهاد بـأن لم تبق لتركيا علاقة بالدين الاسلامي الحنيف وبعد ما أعلن الحرب على الاســلام فألقى بالقرآن الكريم من يده في غرفته التي هو فيها وحرض المرسلين المسيحييـن على التبشير بانجيلهم في المجامع الاسلامية لحمل المسلمين على اعتناق الدين المسيحي (٢)

---

(١) شعراء الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص ٣٤ ـ ٣٥
(٢) مجلة الفتح عدد ٧٠ السنه الثانية ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ ص ٧ وقد تتبع الاستاذ محب الدين الخطيب هذا الموضوع في مجلته فليراجع

كل هذه المتغيرات التى حدثت بعد السلطان عبد الحميد تجعل كل من عنده شعورا اسلاميا يترحم على السلطان عبد الحميد وعهده الذهبى وقد وضح الكاتب اليهودى اليا هو جرانيث هذه المتغيرات بالنسبة لفلسطين فقال أنظروا " اليها اليوم ليخبركم الذين أوتوا العلم عن حالها كيف كان قبل الحرب العالمية أى أدمى يقول بامكان المقابله بين الامس واليوم . لقد كان التركى رجلا حالما كان شاعرا أو فيلسوفا بل كان قديسا اذا قوبل ببعض الذين يطلقون عليهم لقب " رجال الدولة " أولئك الفضوليين الذين عرفتهم البلاد فى العشرين السنه الاخيرة أقراوا . كتب الرحلات لخمسين أو مئة سنة قبل ١٩١٧ وتأملوا فى العوائق المتعددة والغدر الحقير والمادية السغبة التى كان يلقاها الرحالة فى طريقه ومع أدلائه ثم قابلوها بويلات الادارة الاوروبية السيئة فى السنوات الاخيرة بفلسطين ان تلك الجزئيات والصغائر التى كانت تقع فى سنى ما قبل الحرب لاشبه شئ بعبث الطيور المستضعفه بالنسبة لما تقوم به الانمار والضباع والطيور الجارحة (١)

وقد وضح الكاتب اليهودى نفسه جانبا اخر من هذه المتغيرات فقال مخاطبا الانجليز : " ان احد أبنائكم وهو موظف فى ناحية من البلاد أخبرنى أن احدى مهماته أن يمحو كل أثر لبيوت الضيافة فى القرى تلك المواطن المتواضعه للاخوة والديمقراطية لانه يعدها متمردة وضارة بالامبراطورية (٢) "

وفى مكان آخر يقول " هل الفلسطينيون شعب غير صالح ؟ هل تعتقدون حقا ان هؤلاء الفلاحين ارهابيون ؟ أتذكرون التمجيد الذى استقبلوكم به واستقبالهم رسالة العدل والسلام فيكم سنه ١٩١٧ ان بعض اعدائكم يذكرون ولكن اليس فيكم عدد كاف من الاحياء الذين يذكرون أو يتقون أو يفهمون ؟ (٣) ".

من هذا المفهوم نفسر سبب تعلق الشيخ يوسف النبهانى بالدولة العثمانية . فهو ولد وترعرع فى قرية اجزم المعروفة بولائها للدولة العثمانية ثم درس فى الازهر وعاش فى مصر المعروفة بولائها للدولة العثمانية من خلال عاطفتها الدينية المفطورة عليها . والنبهانى قد عاش شبابه وشيخوخته فى عهد السلطان عبد الحميد

---

(١) يقصد الانجليز حاضر فلسطين اليا هو جرانت ترجمة منير البعلبكى ص ٢٩

(٢) حاضر فلسطين ص ٢٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ .

المعروف بتصوفه .

كل هذه العوامل أسهمت مع ثقافته الدينية البحتة فى تقديسه لنظام الاسلام السياسى المتمثل فى الخلافة العثمانية المتمثله فى شخص السلطان عبد الحميد حتى اذا قام الاتحاديون بالانقلاب على السلطان المذكور وخلعوه خلع معه فى نفس السنة الشيخ النبهانى فكأن المصائب قد وحدت بين الاثنين ثم ما كان من سيطرة الاتحاديين على الخليفة وابتعادهم عن الاسلام شيئا فشيئا ثم ضياع بلاد الشام ووقوعها تحت الاستعمار الفرنسى والانجليزى ثم وعد بلفور وتصاعد وكثرة الهجرة اليهودية الى فلسطين ثم قيام الزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك بالانقلاب والغاء الدين الاسلامى من دولة الخلافة كل هذا وغيره عمق فى نفسية النبهانى تقديس النظام الاسلامى السياسى بديلا لكل هذه المصائب التى لم تقو على الظهور فى ظله . ومن الجدير ذكره ان الشيخ النبهانى رحمه الله لم يكن يرى له وطنا محددا وان كان يحن الى مسقط رأسه وملاعب صباه ، ولكنه كان يرى أن جميع المسلمين حيثما وجدوا هم اخوانه وحيثما وجد الاسلام فهو ملتزم بالاسلام معنى ومبنى وهو الذى يقول :

" ........ ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع والقبيح ما خالف الشرع والمصر الذى يستحسنه الشرع هو الذى تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين وطاعة الله تعالى واجتناب مناهيه (١) " .

فالشيخ النبهانى كان وطنه الاسلام حيثما وجد ، وقد تكلم عن وطنية الايمان والحركات الوطنية فى العالم الاسلامى التى جعلتها مبدأها بدلا من الوطنية الاقليمية الضيقة ، وقد تكلم عن هذا الموضوع الاستاذ محمد عطية خميس فى كتابة مؤامرات ضد الاسرة المسلمة (٢)

وفى قصيدته التى قالها فى مدح أبى الهدى الصيادى مصورا تغير الاحوال فى دار الخلافة والزراية التى تلحق بالعرب الذى كان يكرم فى زمن السلطان عبد الحميد لكون الرسول صلى الله عليه وسلم عربيا فى هذه الابيات التى أصبحت

---

(١) شواهد الحق ص ٣٨

(٢) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ٤٧ _ ٥٠

مثلا يستشهد به كل من يورخ لتغير الاحوال بعد السلطان عبد الحميد وهذه — الابيات هـــى :

| | |
|---|---|
| وممت دار الملك أحسب أنهـــا | الى الان لم تبرح الى المجد سلمـــا |
| فألفيتها قد أقفرت فى ربوعهـــا | ولم يبق فيها الفضل الا توهمـــا |
| حوت قوم سوء أسلموا أى نفوســـهم | الى الكفر الا من له الله ســـلما |
| وألفيت فيها أمـــة عربيـــة | يرى القوم منها أمة الزنج أكرمـــا |
| وما نقموا منا بنى العـــرب خصلـــة | سوى أن خير الخلق لم يك أعجمـــا |
| ولكن حجاب الحقد أعمى قلوبهـــم | فلم ينظرونا من ورا حجب العمـــى |
| بنو اللوم أنى ما تكلمت هاجيـــا | ولكن قلبى من جفاكم تكلمـــا |
| ولو لم يكن قصدي مديح أبى الهدى | لجرعتكم لو ذقتم الهجو علقمـــا |
| فأنى على رأى لزوم هجائـــكم | أرى المدح فى فرع النبوة ألزمـــا (١) |

هذه التسعة أبيات كل بيت منها هو خلاصة معان لو فصلتها لا ستوعبت صفحات كثيرة ، كل بيت فيها كاف لان يكون قصيدة طويلة فى موضوعة ، وقد كانت هـــذة الابيات نفاذة فقد شاعت وانتشرت بين الناس لقوة صياغتها وعاطفتها فقد خرجـــت من قلب مقروح اعتصره الالم وأصيب بخيبة أمل مريرة كما فى البيت الاول والثانى كمـــا أن من أسباب انتشارها أنها جاءت معبرة عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وكأنهـــم وجدوا فيها ما يعبرون به عن مشاعرهم والامهم المكبوته التى وجدت فى هذه الابيا ت ضالتها المعبرة عنهـــا .

ولو أن الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله اكثر من شعره فى هذا الموضوع لكـــان أمامنا ثروة قيمة ناطقة بما فى قلوب المسلمين ازاء هذه المتغيرات . ولكنه رحمـــه الله كان يميل الى الايجابيات فى معالجة القضايا التى يتعرض لها بدلا من السلبيات وهذا واضح فى البيت الاخير حيث يقـــول :

(( وانى على رأى لزوم هجائكم .... أرى المدح فى فرع النبوة اعظمـــا ))

---

(١) قصيدة مخطوطة بخط الشيخ عبد الهادى عبد الهادى راوية شعر الشـــيخ يوسف النبهانى حصلت عليها من الاســـتاذ اكرام زعيتـــر ســـفير الاوردن فى بيروت عـــام ١٩٧٤ م .

فهو مع اقتناعه بمهجائهم يرى أن مدح أبي الهدى الصيادى الذى هو من آل البيت أفضل من تعداد مثالب لأتراك . وهذا الاتجاه يسير عليه الشيخ يوسف النبهانى طيلة حياته مع مؤلفاته فهو بدل أن يشغل وقته وفكره ببيان السلبيات والأخطاء فى عصره فى مختلف المجالات ينصرف الى الكتابة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فقط .. ولسان حاله يقول : هذا هو البديل وهذا المنهج فى الاصلاح هو أحدث ما توصلت اليه مناهج التربية الحديثة التى تقوم على أساس أن تعلم الطفل الفضيلة بدلا من أن تنهاه عن الرذيلة فالشيخ النبهانى رحمه الله بفطرته الاسلامية النقية وفق الى الاسلوب السليم لاصلاح مجتمعه .

## حالتـــه الماليـــه :

لقد كانت أسرة " النبهانى " فى " أجزم " مغمورة من الناحية الدنيوية ولكنها مشهورة بالعلم والفضل اذ توجه الكثير من أبنائها الى الازهر الشريف لتلقى العلم فيه وهى الاولى بين الاسر الاخرى فى هذا الغرض . ويبدو أن المقدرة المادية للشيخ اسماعيل النبهانى والد الشيخ يوسف كانت تسمح له بارسال ولده للأزهر .

فقد ذكر الشيخ يوسف أن والده قد كفاه مئونة العيش فى مصر[1] ويبدو أن ما كان ينفقه عليه والده كان قليلا اذ روى لى الشيخ محمد نمر الخطيب كما حدثه الشيخ تقى الدين النبهانى سنه ١٩٤٥ فى حيفة قصة مفادها : أنه عندما كان الشيخ يوسف النبهانى فى استانبول سمع به أحد الكبار فاستدعاه لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان فى مصر يطلب العلم فى الازهر قال له لقد كنت فى تلك الحقبه فى مصر فلماذا لم تتعرف علىّ ؟ فقال الشيخ يوسف : لو عرفتنى فى مصر لما عرفتنى فى الاستانه يعنى أنه كان طالبا صغيرا وفى الاستانه أصبح عالما كبيرا " وفى فترة وجوده فى الاستانه اشتغل فى تحرير جريده الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها وكان يتقاضى مرتبا لا بأس به وقد وعده الاستاذ أحمد فارس الشدياق بزيادة مرتبه أو مشاركته فيها مقابل بقائه معه ولكنه رفض اذ عين قاضيا فى كوى سنجق فى شمال العراق ونظرا لعمله فى القضاء موظفا فقد كان يتقاضى مرتبا لا بأس به خصوصا أنه

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢

سرعان ما ترقى فى سلم القضاء فأصبح رئيس محكمة الحقوق فى ولاية بيروت فكان مرتبه ٣٥ ليرة ثم خفضت رواتب القضاة فأصبح ٢٤ ليرة (١) ولكن كثرة مؤلفاته واحتياجه الى طبعها أوقعه فى ضائقة مالية لان كتبه كانت تطبع اما على نفقته الشخصية أو على نفقة بعض المحسنين وتوزع مجانا أو يطبعها التجار وفى الرسالة التى بعثها الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه الى الشيخ النبهانى اشارة لذلك حيث يقول " .... وحمدنا الله على عافيتكم وعرفتم وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنيئا لكم بما هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه صورة ومعنى .. من أهل الاسلام ، وشكواكم مما تحملته من الديون فى طبع الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أويتم الى ركن شديد وفى حسن الرجاء من ذلك الجناب ما يغنيكم ويكفيكم وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقالوا يامعط لا تبطى وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب فى طريق جدة وصندوق الكتب الذى من طريق عدن وصل وسنعتمد ما عرفتم فى تفرقتها فى مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الغنى باشا بيضون البيروتى " وهو الذى دفع ثمن تلك الكتب " بأن الله يبلغكم ويبلغه جميع الآمال فى جميع الاحوال فى لطف وعافية وايانا أمين (٢) " .

ويبدو أنه كان معروفا لدى من لهم صلة بالشيخ النبهانى أنه يتحمل الديون لأجل نشر مؤلفاته التى لم يتخذ لنفسه حق التأليف والنشر فيها بل جعلها لجميع المسلمين بشرط جودة الطباعة ورخص الثمن . لذلك أرسل له السلطان عبد العزيز سلطان المغرب مساعدة مالية ذكرها الشيخ النبهانى فقال : " أعلم أنه ورد أن التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها لخ )) ثم ذكر تفصيل زيارة السلطان عبد العزيز لحيفة قادما من بيروت لاجل زيارة الشيخ يوسف النبهانى ثم قال " ..... وفارقنا بسرعة بعد أن خلف لنا مع الاسف لفراقة الفخر التام الذى لا ننساه على مرور الايام ثم بعد مرور نحو ثمانية أشهر جاءنى منه مكتوب صادر عن محل اقامته بمدينة طنجه وهذا نصه

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦

" الحمد لله وحده وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . الفقيه الاجل والاستاذ الاكمل الشيخ يوسف النبهانى سلام عليك ورحمه الله وبركاته وبعد فموجبه تجديد العهد بكم والسؤال عن أحوالكم أجراها المولى جل جلاله وفق مرادكم آمين ولا زلنا متذكرين متشكرين للسويعات التى اجتمعنا فيها ونحن على نية المودة ان شاء الله لتلك البلاد والاجتماع بكم جمعنا الله كما تحب ونحب ويصلك صحبته حق مختوم تذكرة منا لكم لا تنسنا من صالح أدعيتكم والسلام فى ١١ ربيع الثانى عام ١٣٢٩ "

وقد استلمت الحق المذكور فوجدت فيه مقدارا من الطيب وساعة ذهبية ذات قيمة .

وهى وان لم استعملها تعد هدية فاخرة ومع ذلك ورقة بنك بمائه ليرة انكليزية قبضتها وأوفيت بها دينا كنت عاجزا عن وفائه (١) فهذه الهدية وان كنت أشكره عليها الشكر التام لكونها بلا طلب ولا سبب ولا اشارة ولا عبارة ولا وجه من وجوه الكلام أعدها من مكارم أكرم الخلق وحبيب الحق جعلها الله على يد من اختار من عترته النبوية وسلالته الزكية جائزة لشاعر جده الاعظم صلى الله عليه وسلم .

كما ذكر الشيخ النبهانى أنه ارسل من مؤلفاته الى السلطان عبد العزيز ليبيعها له فى طنجة يقول الشيخ النبهانى :

" فأرسل الي من قيمتها مائة ليرة وفرقها مجانا (٢) " كما أرسل له السيد حامد بن علوى البار الحضرمى يقول الشيخ النبهانى " هو من أعيان سادتنا باعلوى وعلمائهم ومن أكابر تجار عدن وفضلائهم أرسل الي هدية هذا العام بدون طلب خمسا وستين ليرة مصرية (٣) ".

وفى بيروت شاهدت لدى الاستاذ خير الدين الزركلى أوراقا مخطوطة من ضمنها ورقة بعنوان " الشيخ النبهانى " مكتوب فيها " بعث اليه المولى عبد الحفيظ مع الشيخ عبد الحى الكتانى بخمسين لويزا ذهبا فاستقلها وكتب اليه بعد الافتتاح

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ١٥ ـ ١٦

(٢) الدلالات الواضحات ص ٣

(٣) المرجع السابق .

" الى مولاى عبد الحفيظ ملك فاس السابق حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه من كل خير تمناه وكفاه شر عداه آمين :-

| | |
|---|---|
| اعبد الحفيظ مليك الورى | وأنت الكريم ونسل الكرام |
| آتتنى خمسونك المرسلات | على يد ذاك الامام الهمام |
| تناولتها مثل شرب الدواء | بدون ابتهاج ودون ابتسام |
| أخوك العزيز[1] حبانى النهى | بدون سؤال مئات جسام |
| سأبقى لاحسانه شاكرا | وتشكره بعد موتى العظام |
| وأنت كذلك أهل الثنا | ولكن عطاؤك أهل الملام |

قالها بفمه ورقمها بقلمه يوسف النبهانى فى غرة رجب ١٣٣٢ سأتوجه الى بيروت وأبقى فيها مدة الصيف ثم أرجع الى المدينة المنورة فى عيد الاضحى أن شاء الله .

وأنا أشك أن يكون الشيخ يوسف النبهانى قد قال هذه الابيات لعدة أسباب منها :

١ - أنى لم أجد هذه الابيات فى كتبه ولم يشرلها ولا للمولى عبد الحفيظ بأى أشارة كما أشار الى السلطان عبد العزيز وللسيد حامد بن عسلوى البار الحضرمى .

٢ - لا يعقل أن يستقل الشيخ النبهانى خمسين لويزا ذهبا ثم يرسل قصيدة لمعاتبة المرسل لأن هذا ليس فى طبعه وهو الذى تحمل الديون لأجل طباعه كتبه التى لم يحصل منها على أى فائدة مادية بالاضافة الى أنه لم يجعل لنفسه ولا لذريته حقوق الطبع بل جعلها ملكا لجميع المسلمين وقد أخبرنى الاستاذ يوسف النبهانى الحفيد أن جده الشيخ يوسف رحمه الله كثيرا ما كان يدعوا الله " ألا يغنيه ولا ولا يغنى أحدا من ذريته " .

٣ - هذه الابيات مؤرخة فى عام ١٣٣٢ . والشيخ النبهانى كان قد أقيل من منصبه فى رمضان ١٣٢٧ وفى عام ١٣٢٩ كان قد توجه الى مصر لمقابلة الخديوى عباس الثانى الذى رتب له راتبا شهريا يقول الشيخ النبهانى فى ذلك :-

---

(١) أى السلطان يوسف بن الحسن الذى ذكرة فى ص ١٦ من المبشرات المنامية .

" وفى هذا العام توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أفندينا عباس الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع ما آخذه من خزينة دولتنا العلمية العثمانية حسب قاعدة المستخدمين عندها وهو معاش التقاعد لمن يبلغ ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغتها مع زيادة وهو يزيد على ما رتبه الخديوى وبذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة العلمية ولو كلفت بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (١) "

العلية

وفى هذا دلالة كافية على آثار هذه الابيات لان الشيخ النبهانى كانت أحواله المالية ميسورة .

٤ — أخلاق الشيخ النبهانى وزهده يأبيان عليه أن يستقل أعطيه ثم يكتب أبياتا من الشعر عتابا لصاحبها والشيخ النبهانى يقول " ... وقد يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار فى مصر وأجلهم صديقنا الفاضل الأمين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندى البابى الحلبى واخوانه الكرام فطبعوا بعضها ويسر بعض الاغنياء فى بيروت طبع بعض مختصراتها ووزعوها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتى وتكلفت فوق طاقتى من الديون لمصاريف طبعها والكتب يحتاج بيعها الى وقت طويل لانها ليست من ضروريات المعيشة كالعيش واللبس والمسكن والمشرب ولاسيما الكتب الدينية فى هذا الزمان العجيب الذى انصرفت قلوب أكثر أهله الى محبة الدنيا وأسبابها وزهدت فى الاخرة وطلابها الا من سلم الله وقليل ما هم . ومما لا أرضاه لو لا الضرورة أن بعض هذه الكتب أرسلنا مقادير منها الى بعض أصحاب الوجاهة فى بلادنا الشامية وقليل من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فانما البيع عن تراض وقد يوجد من هؤلاء من يأخذ الكتاب حياء — نعم هو متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لاشك أنه يرضى بذلك ويشكرنى على هذا الخير الذى كنت السبب فى وصوله اليه ...... فأطلب منهم السماح وأن يجعلونى فى حل من ذلك كرامة لله تعالى ولهذا الرسول

أ

---

(١) البشائر الايمانية ص ١٥ .

الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام (١) " .

٥ — لم يذكر في الورقة المخطوطة كيفية الحصول على هذه القصيدة سوى أنها من مخلفات الاستاذ عوني عبد الهادى وهو المعروف باختلافه فكريا مع الشيخ النبهاني مما يجعلني اعتقد أن الاستاذ عونيا عبد الهادى لم يتحر الدقة في صحة نسبتها للشيخ النبهاني .

٦ — من الناحية الفنية هذه الابيات ضعيفة الصياغة ضحلة المعاني خالية من الصور الفنية التي تظهر في شعر النبهاني بوضوح والقصيدة عبارة عن سته أبيات ولا يعقل أن يرسل الشيخ النبهاني قصيدة عتاب وسلام لقلة المبلغ مع أن الفرض يحوجه الى مقدمة طويلة ليعرض الموضوع ويختتمه بقصيدة طويله كما فعل في القصيدة التي مدح بها أحمد عزت باشا العابد والتي بلغت خمسة ومائه بيت وقد سألت فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب في هذا الفرض فقال " لقد اعتاد الشعراء الطلب من الملوك والامراء وهذا لا يعد عيبا في عرفهم خصوصا أن المعطى هو أحد الملوك فضلا عن عامة الناس (٢) وسألت الاستاذ محمد عزت دروزة فقال " على فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله فان هذا لا يعيبه ولا ينقص من مكانته وهو الذى عاش حياته زاهدا ولم يكن يتقاضى أى مقابل لحقوق تأليفه . ولو كان هناك أى ثلم في أخلاقه لأصبح من أغنياء عصره المعدودين لانه كان يشغل منصبا خطيرا كرئيس لمحكمة الحقوق العليا في ولاية بيروت (٣) أما الاستاذ أكرم زعيتر سفير الأردن السابق في بيروت فهو يقول " نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله مرفوضه شكلا ومعنى ، فلا يعقل أن يكون الشيخ النبهاني الذى رشحه الأستاذ اسعاف النشاشيبي ليشارك شوقيا في امارة الشعر لا يعقل أن يكون هو القائل لهذه الابيات الضعيفة (٤)

٧ — وعلى فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ النبهاني نرى أنها لا تنزل من قدره اذ اعتاد الشعراء أن يطلبوا من الملوك بلا حرج ولم يكن ذلك

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨
(٢) قابلته في بيته في بيروت في ١٢ / ١١ / ١٩٧٤
(٣) قابلته في بيته في دمشق في ٢٥ / ١٢ / ١٩٧٤
(٤) قابلته في مكتبه بالسفارة في ١٠ / ١٢ / ١٩٧٤

يعد عند العرب عيبا أو منقصة .

ذكر صاحب الاغانى أن الوليد بن عقبه أرسل مائه من الابل الى لبيد لينحرها وأرسل له معها أبياتا مطلعها :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه — أذا هبت رياح أبى عقيل

فلما بلغت الابيات لبيد قال لابنته أجيبيه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر فقالت أبنته قصيدة آخرها :

أبا وهب جزاك الله خيرا — نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد — وظنى لا أبا لك أن تعودا

فقال لها لبيد : قد أحسنت لولا أنك استطعمته . فقالت ان الملوك لا يستحى من مسألتهم . فقال وانت يابنية فى هذه أشعر (١) .

مع الخديوى عباس :

قابل الشيخ يوسف النبهانى الخديوى عباس حلمى الثانى وذكر تفصيل المقابلة فى مقدمة كتاب " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية " وهو ديوان شعره الذى أهداه للخديوى عباس وقد توجه اليه — أى الشيخ النبهانى — عندما سمع من بعض حاشية الخديوى ثناءه عليه وقبل مقابلته للخديوى ذكر الشيخ النبهانى بعض أحواله فقال فى " المبشرة الرابعة عشر " رأيتها — أى المبشرة — فى منامى ليلة الجمعة الثامن من شوال سنة ١٣٢٧ بعد أن عزلونى فى رمضان من رياسة محكمة الحقوق فى بيروت ظلما وعدوانا وكراهة للحق وأهله ولم يكن لى وجه لمعيشتى غير هذه الوظيفة وكانت تعيننى على هذه المؤلفات ونشرها .. رأيت فى منامى رجلا اسمه عبد القادر من أعيان بيروت فقال لى : انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال صلى الله عليه وسلم " أفدى النبهانى " بهذا اللفظ بصيغة المضارع يعنى هذا العبد الفقير وكنت قبل منامي أكثرت من قولى اللهم صلى وسلم على نبينا محمد قد ضاقت حيلتى أدركنى يا رسول الله ففرحت بهذه المبشرة وعلمت أنها تبشرنى بقرب الفرج فان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفدى العوالم

---

(١) الاغانى ج ١٤ ص ٢١٩ — ٢٢١ منشورات دار الفكر ودار مكتبة الحياة بيروت ١٩٥٦م .

كلها بنفسه الشريفه وانما فدانى بشئ من الأشياء كما يفدى الاسير بشئ من المال ونحوه ليخلصنى به من هذا الكرب الذى ألم بى وفى هذا العام سنه ١٣٢٩ توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أفندينا عباس باشا الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش (١) معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع ما آخذه من خزينة دولتنا العلية العثمانية بحسب قاعدة المستخدمين عندها وهو معاش التقاعد لمن يبلغ مدة ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغتها مع زيادة وهو يزيد على ما رتبه الخديوى وبذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة ولو كلفت بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (٢) »

وقد ذكر لنا ما جرى بينهما من حديث فقال « ..... فانستنى بشاشته وملاطفته هيبة ذلك المقام التى كادت تمنعنى الكلام وشرحت له بأمره قصتى وأسباب غصتى وأنى بسبب عدم حكمى بالربا عزلت من وظيفتى ، ولولا قلة المعاش الذى رتبوه لى الآن لمددت ذلك من النعم الحسان فقد كفانى حكم نحو ثلاثين سنة فى مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتى فى الظاهر كانت رياسة محكمة الحقوق فى بيروت وفى الباطن تشرفضائله صلى الله عليه وسلم بين الانام والرد على أعدائه الكفرة والمبتدعة اللئام ، فقال نعم نعم أنا أعرف ذلك وسترجع ان شاء الله قريبا مسرورا فأدخل على غاية السرور بهذا الكلام .... ومد رأسه الكريم بجباء معجل وترتيب معاش وافر كل شهر على الدوام (٣)

وعلى هذا لو فرضنا أن راتبه التقاعدى الذى كان يتقاضاه من الدوله العليه من ١٤ ــ ٢٠ جنيها يكون مجمل دخله الشهرى من ٢٤ ــ ٣٠ جنيها وهذا المبلغ يعد ممتازا فى عصره اذ أن المرتبات كانت ضئيله فميزانية الازهر والمعاهد الدينية حتى عام ١٨٩٢ كانت ٤٢٧٨ جنيه وفى عام ١٩٠٢ / ١٤٠٠١ جنيه وفى عام ١٩١١ كانت ٥٢٤٧٠ جنيه (٤) وعن مرتبات العلماء يقول الاستاذ محمود أبو

---

(١) وهو المبلغ نفسه الذى رتبه رياض باشا رئيس الوزراء فى مصر عام ١٢٨٨ ــ للسيد جمال الدين الافغانى الاعلام الشرقية ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ١٤ ــ ١٥

(٣) العقود اللؤلؤية ص ٤ ــ ٥ .

(٤) الجامع الازهر نبذة فى تاريخه الاستاذ / محمود أبو العيون .

العيون " كانت قرتبات العلماء ضئيلة فى ذلك المعهد فكان مرتب ذى الدرجة الاولى خمسين ومائة قرش وذى الدرجة الثانية مائة قرش وذى الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشا (وفى ذلك المعهد رلم يكن فيه احالة على المعاش فالعالم يتقاضى مرتبه الى الوفاة وبقى الحال كذلك الى سنة ١٩٠٩ "[1]

(١) المرجع السابق

# الفهـــرس

———